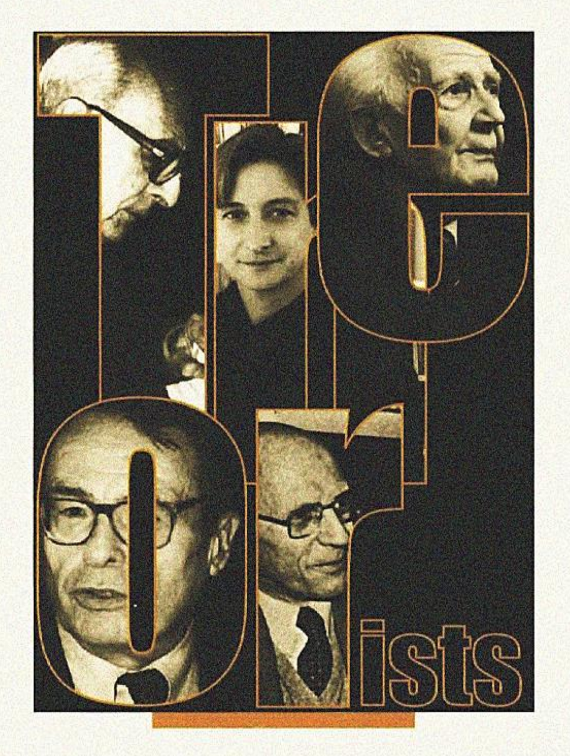
خمسون عالماً اجتماعياً أساسياً

المنظّرون المعاصرون



تحرير: جون سكوت



الشبكة العربية للأبحاث والنشر
ARAB NETWORK FOR RESEARCH AND PUBLISHING

خمسون عالماً اجتماعياً أساسياً

المنظّرون المعاصرون

خمسون عالماً اجتماعياً أساسياً

المنظّرون المعاصرون

تحرير: جون سكوت

ترجمة: محمود محمد حلمي

مراجعة: جبور سمعان



الفهرسة أثناء النشر - إعداد الشبكة العربية للأبحاث والنشر

خمسون عالماً اجتماعياً أساسياً: المنظّرون المعاصرون/تحرير جون سكوت؛ ترجمة محمود محمد حلمي؛ مراجعة جبور سمعان.

٤٢٤ ص.

ISBN 978-9953-533-19-3

١. علم الاجتماع . أ. سكوت، جون (محرر). ب. حلمي، محمود محمد (مترجم). ج. سمعان، جبور (مراجع).

301

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الشبكة العربية للأبحاث والنشر»

Fifty Key Sociologists
The Contemporary Theorists

Authorised Translation From the English Language
Edition published by Routledge, a member of the Taylor & Francis Group

الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٩

الشبكة العربية للأبحاث والنشر

بناية «سادات تاور»، شارع ليون، ص.ب.: ٥٢٨٥ ـ ١١٣
الحمراء ـ بيروت ٢٠٣٧ ٤٠٠١ ـ لبنان
هاتف: ٧٨٩٤٥٣ (١ ـ ٩٦١)
فاكس: ٧٨٩٤٥٤ (١ ـ ٩٦١)
E-mail: info@arabiyanetwork.com

المحتويات

حول المشاركين

بول أتكينسون (Paul Atkinson): أستاذ باحث في علم الاجتماع بجامعة كارديف، ومدير مشارك لمركز الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لعلم دراسة الجينات التابع لـ (The Economic and Social Research Council (ESRC))، وآخر أعماله:

Everyday Arias (AltaMira, 2006).

وهو بمثابة دراسة إتنوغرافية لشركة الأوبرا الوطنية الويلزية.

لي باك (Les Back): أستاذ علم الاجتماع في كلية غولدسميث، قام بأبحاث سابقة في كلية بيركبك وجامعة لندن، ودرس في جامعة برمنغهام في قسم الدراسات الثقافية. قام بنشر مؤلفات ذائعة الصيت عن العرقية وثقافة الحضر، وشارك في تحرير كتاب:

The Authority Cultures Reader (with Michael Bull, Berg Publishers, 2003).

وكتاب: *Out of Whiteness Politics, and Culture* (with Vron Ware, University of Chicago Press, 2002).

ومؤلف مشارك لكتاب:

The Changing Face of Football Racism, Identity, and Multiculture in the English Game (with T. Crabbe and John Solomos, Berg Publishers, 2001).

بيتر باهر (Peter Baeher): أستاذ ورئيس قسم السياسة وعلم الاجتماع بجامعة لنجنان في هونغ كونغ، وتتضمن منشوراته:

The Portable Hannah Arendt (Penguin, 2000), and *Dictatorship in History and Theory* (co-edited with Melvin Richter, Cambridge University Press, 2005).

باتريك بارت (Patrick Baert): محاضر جامعي متخصص في علم الاجتماع، ومدير دراسات في العلوم الاجتماعية والسياسية بكلية سيلوين في جامعة كمبردج. تعلم في جامعتي بروكسل وأكسفورد، وكان يدرس في كمبردج منذ العام ١٩٩٢. وتتضمن منشوراته الأخيرة:

Social Theory in the Twentieth Century (Polity Press, 1998), *and Philosophy of the Social Sciencs: Towards Pragmatism* (Polity Press, 2005).

جانيت بورغرسون (Janet Borgerson): محاضرة بجامعة مدرسة إكستر للأعمال والاقتصاد؛ حصلت على دكتوراه الفلسفة من جامعة ويسكونسن، في ماديسون، ثم أكملت أعمالها العلمية بعد الدكتوراه في التأويل الوجودي بجامعة براون. وظهرت

أبحاثها في:

European Journal of Marketing; *Advances in Consumer Research*; *Consumption Markets and Culture*; *International Marketing Review*; *Culture and Organisation*; *Journal of Knoweldge Management*; *Organisation Studies*; *Gender Work and Organisation*; *Feminist Theory*; *Radical Philosophy Review*; and *Journal of Philosophical Research*.

جوان بسفيلد (Joan Busfield): أستاذة علم الاجتماع في جامعة إيسيكس. تدربت بداية متخصصة في علم النفس بمستشفى في مصحة تافيستوك، وركزت أبحاثها على المرض النفسي والخلل العقلي. تتضمن أعمالها الرئيسة كلاً من:

Managing Madness: Changing Ideas and Practice (Hutchinson, 1986); *Men, Women, and Madness* (Macmillan, 1996), and *Health and Health Care in Modern Britain* (Oxford University Press, 2000).

وهي محررة:

Rethinking the Sociology of Mental Health (Blackwell, 2001).

إيمون كارابين (Eamonn Carrabine): محاضر في قسم علم الاجتماع بجامعة إيسيكس. تتعلق أبحاثه وعمله بصفته مدرساً في مجالات علم الجريمة والدراسات الثقافية. وتتضمن مؤلفاته كلاً من:

Crime in Modern Britain (with Pamela Cox [et al.], Oxford University Press, 2002); *Criminology: A Sociological Introduction* (with Paul Iganski [et al.], Routledge, 2004), and *Power, Discourse, and Resistance: A Genealogy of the Strangeways Prison Riot* (Ashgate, 2004).

ويعمل حالياً على وضع كتاب حول الجريمة ووسائل الإعلام:

Crime and the Media: Interrogating Representations of Transgression in Popular Culture.

جيمس ج. كريس (James J. Chriss): أستاذ مشارك في علم الاجتماع بجامعة ولاية كليفلاند، ومجالات اهتمامه الرئيسة هي النظرية الاجتماعية، والجريمة والجنوح، وعلم اجتماع الشرطة، وعلم الاجتماع الطبي. سينشر عمله القادم *Social Control: History and Current Controversies* ـ في دار نشر بوليتي (Polity).

نيك كروسلي (Nick Crossley): أستاذ علم الاجتماع في جامعة مانشستر. درس سابقاً في قسم الطب النفسي بجامعة شيفلد. وتتضمن منشوراته الأخيرة كلاً من:

Intersubjectivity: The Fabric of Social Becoming (Sage, 1996); *The Social Body, Habit, Identity and Desire* (Sage, 2001); *Making Sense of Social Movements* (Open University Press, 2002), and *Reflexions in the Flesh: Embodiment in Late Modernity* (Open University Press, Forthcoming).

سارا ديلامونت (Sara Delamont): قارئة في علم الاجتماع في جامعة كارديف، وكانت أول امرأة تتولى رئاسة جمعية البحوث التعليمية البريطانية في العام ١٩٨٤. أحدث مؤلفاتها:

Feminist Sociology (Sage, 2003).

ماري إيفانز (Mary Evans): درست علم الاجتماع ودراسات المرأة في جامعة كنت منذ العام ١٩٧١. تتركز اهتماماتها الرئيسة في الروايات المعنية بالحياة الاجتماعية والتجربة الشخصية، وتعمل في الوقت الحاضر على «قصص» حول المرض، ودراسة ـ منفصلة تماماً ـ عن جين أوستن.

مارسيل فورنيه (Marcel Fournier): أستاذ علم اجتماع في جامعة مونتريال، وحاصل على منحة كيلام وكرسي باثي في جامعة برنستون في الفترة الممتدة ما بين ٢٠٠١ و ٢٠٠٣. وهو مؤلف:

Cultivating Differences (with D. White, Universiy of Chicago Press, 1992); *Quebec Society* (Prentice Hall, 1996); *Émile Durkheim, Letters à Marcel Mauss* (Presses Universitaire de France, 1998), and *Marcel Mauss A Biography* (Princeton University Press, 2005).

سارا فرانكلين (Sarah Franklin): أستاذة الدراسات الاجتماعية للطب الحيوي، ومشرفة الطب الحيوي والعلم الحيوي والمجتمع في مدرسة لندن للاقتصاد. تتعلق أبحاثها بمجالات الفهم المساعد والجينات،

وتُعد أساساً للعديد من الإصدارات، مثل:

Embodied Progress: A Cultural Account of Assisted Conception (Taylor and Francis, 1997); *Technologies of Procreation: Kinship in the Age of Assisted Conception* (with Jeanette [et al.], Manchester University Press, 1998), and *Global Nature, Global Culturern* (with Celia Lury and Jackie Stacey, Sage, 2000).

وآخر أعمالها هو كتاب: *Born and Made: An Ethnography of Pimplantation Genetic Diagnosis* (قيد الطبع).

أنتوني هيث (Anthony Heath): أستاذ مشارك في كلية نفيلد، وأستاذ علم الاجتماع ورئيس قسم علم الاجتماع في جامعة أكسفورد، وهو مؤلف العديد من المقالات والكتب حول نظرية العمل المنطقي، والتعليم، والتعبئة الاجتماعية والهويات الاجتماعية. أحدث مؤلفاته كتاب:

Ireland North and South: Perspectives from Social Science (Co-edited with Richard Breen and Chris T. Wheelan, Oxford University Press, 1999).

ديفيد هوارث (David Howarth): محاضر في جامعة إيسيكس، ويتخصص في التناول التنظيري للسياسة والحركات الاجتماعية في جنوب أفريقيا، وتتضمن منشوراته:

Discourse (Open University Press, 2000); *South Africa in Transition* (Co-edited with Aletta Norval, Macmillan, 1998),

and *Discourse Theory in European Politics: Identity, Policy and Governance* (Co-edited with Jacob Torling, Palgrave, 2005).

سيفجي كيلك (Sevgi Kilic): عالمة أنثربولوجيا اجتماعية، تتمتع بخبرة في مجالات الجندر، والإسلام في الشرق الأوسط، وهي محاضرة في برنامج دراسات النوع في قسم التاريخ بجامعة ملبورن، وكانت قبل ذلك تعمل باحثة في معهد دراسات المرأة بجامعة لانكستر في المملكة المتحدة.

جوزيه لوبيز (José López): أستاذ مساعد في قسم علم الاجتماع بجامعة أوتاوا، وهو مؤلف كتاب *Society and Its Metaphors.* شارك في تأليف كتاب *After Postmodernism: An Introduction to Critical Realism*، ويقوم حالياً بالبحث والكتابة في الطبيعة اللغوية للتنظير الاجتماعي وظهور المعالجات الأخلاقية المتعلقة بالبيولوجيا والتكنولوجيا المتناهية الصغر *(Nanotechnology)*.

ستيفن لويال (Steven Loyal): محاضر في علم الاجتماع بالكلية الجامعية في دبلن. حصل دراساته العليا في جامعتي سوسيكس وإكستر. تتضمن أعماله: *The Sociology of Anthony Giddens* (Pluto, 2003), *and The Sociology of Norbert Elias* (Co-edited with Stephen Quilley, Cambridge University Press, 2004).

نينا لايك (Nina Lykke): أستاذة في مجالي النوع والثقافة، ورئيسة قسم الدراسات النوعية في جامعة لينكوبينغ بالسويد،

وكانت رئيسة سابقة للدراسات النسوية في جامعة ساوثرن بالدانمارك، وهي مؤلفة كل من:

Between Monsters, Goddesses and Cyborgs (Co-edited with Rosi Braidotti, Zed Books, 1996), and *Cosmodolphins, Feminist Cultural Studies of Technology, Animals and the Sacred* (Co-authored with Mette Bryld, Zed Books, 2000).

إ. ستينا ليون (E. Stina Lyon): أستاذة تطوير التعليم في علم الاجتماع، وعميدة كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة لندن ساوث بانك. تشمل اهتماماتها المنهجية البحثية، وعلم اجتماع التعليم، والنوع، والعرق، والعرقية، وأيديولوجية رفاهية الدولة. وتركز أبحاثها الحالية على الإسهامات الفكرية لجونار وألفا ميردال، وهي محرر مساعد في:

Methodological Imaginations (with Joan Busfield, Macmillan, 1996), and *Gender Relations in Public and Private* (with Lydia Morris, Macmillan, 1996).

وليام ميرين (William Merrin): محاضر في قسم دراسات وسائل الإعلام والاتصال بجامعة سوانسي، درّس سابقاً في جامعة ليدز، وهو مؤلف:

New Media: Key Thinkers (with Nick Jane, Berg Publishers, 2006).

وهو محرّر: *The International Journal of Baudrillard Studies*، ويعمل الآن على وضع كتاب عن جان بودريار.

ميشيل نيومان (Michael Newman): أستاذ السياسة، وأستاذ جان موني لدراسات التكامل الأوروبي في جامعة لندن المتروبوليتانية، وتتضمن منشوراته:

Ralph Miliband and the Politics of the New Left (Merlin Press, 2002); *Harols Laski-A Political Biography* (Macmillan, 1993), and *Socialism-A Very Short Introduction* (Oxford University Press, 2005).

آن نيلسن (Ann Nilsen): أستاذة في معهد علم الاجتماع بجامعة بيرغن في النروج، حيث كانت تعمل كذلك نائباً لعميد كلية العلوم الاجتماعية. اهتمت بالأبحاث المقارنة حول النوع والأبوة والعمل (التشغيل). ومن منشوراتها:

Young Europeans, Work and Family: Futures in Transition (Co-edited with Julia Brannen [et al.], Routledge, 2001), and «Individualization, Choice and Structure: A Discussion of Current Trends in Sociological Analysis» (with Julia Brannen), *Sociological Review:* vol. 53, no. 3 (2005).

لوسيندا بلات (Lucinda Platt): محاضرة في علم الاجتماع بجامعة إيسيكس، ومؤلفة:

Parallel Lives? Poverty among Ethnic Minority Groups in Britain (CPAG, 2002), and *Discovering Child Poverty* (Policy Press, 2005).

تركزت أبحاثها على الحرمان الذي تعانيه الأقليات العرقية، وعلى فقر الأطفال.

كارلو روزا (Carlo Ruzza): أستاذ مشارك في علم الاجتماع بجامعة تورنتو، وكان قد درس في جامعات إيسيكس، وسوري، وهارفرد، وتدور دراسته حول النزعة البيئية والحركات الاجتماعية والمجتمع المدني، وهو مؤلف كتاب:

Europe and Civil Society: Movement Conditions and European Governance (Manchester University Press, 2004).

جون سكوت (John Scott): أستاذ علم الاجتماع في جامعة إيسيكس. عمل في السابق أستاذاً بجامعة ليسيستر، وهو متخصص في علم الاجتماع الاقتصادي والنظرية الاجتماعية، وتتضمن أحدث مؤلفاته:

Power (Polity Press, 2001); *Sociology* (with James Fulcher, 3rd ed., Oxford University Press, 2007), and *Social Theory: Central Issues in Sociology* (Sage, 2006).

سوزي سكوت (Susie Scott): محاضرة في علم الاجتماع بجامعة سوسكس، ولها اهتمامات بحثية بالتفاعل، والأداء، والحياة اليومية. تتضمن كتاباتها مقالات متنوعة حول الخجل، ولها كتاب بعنوان:

Shyness and Society (Palgrave, 2007).

ويس شاروك (Wes Sharrock): أستاذ علم الاجتماع في جامعة مانشستر. نشر أعمالاً كثيرة حول قضايا المنهجية الإثنية والنظرية الاجتماعية، ومن مؤلفاته:

Garfinkel and Ethnomethodology (Sage, 2003), *Understanding Classical Society* (with John Hughes and Pete Martin, Sage, 2003), and *Understanding Modern Sociology* (with John Hughes and Pete Martin, 3rd ed., Sage, 2003).

بيري ٦ (Perri 6): أستاذ السياسة الاجتماعية في جامعة نوتنهام ترنت. درس سابقاً في جامعة برمنغهام، وقدم أبحاثاً في ديموس، وهو مؤلف:

Towards Holistic Governance (with Diana Leat [et al.], Palgrave, 2002); *E-governance: Styles of Political Judgment in the Information Age Polity* (Palgrave, 2004); *Managing Networks of Twenty First Century Organisations* (with Nick Goodwin [et al.], Palgrave, 2006), and *Beyond «Delivery»* (with Edward Peck, Palgrave, 2006).

ويقوم حالياً بدراسة السياسات الحكومية العاملة على تشكيل سلوك المواطنين.

ستيفن سمول (Steven Small): أستاذ مشارك في الدراسات الأفريقية الأمريكية بجامعة كاليفورنيا في بيركلي. درس سابقاً في جامعات ماساشستس، ووورويك، وليسيستر. من أعماله الأخيرة:

Representations of Slavery: Race and Ideology in Southern Plantation Museums (with Jennifer Eichstedt, Smithsonian Institution Press, 2002), and *Race and Power: Global Racism in the Twenty-First Century* (with Gargi Bhatta-charyya and John Gabriel, Routeldge, 2004).

دينيس سميث (Dennis Smith): أستاذ علم الاجتماع في جامعة لوغبورو، ومحرر في مجلة *Current Sociology* الصادرة عن المنظمة السوسيولوجية الدولية. وتتضمن مؤلفاته:

The Rise of Historical Sociology (Polity, 1991); *Zygmunt Baumn: Prophet of Postmodernity* (Polity, 1991); *Capitalist Democracy on Trial* (Routledge, 1990), and *The Chicago School: A Liberal Critique of Capitalism* (Macmillan, 1988).

ومن بين اهتماماته البحثية الحالية موضوع العلاقة بين العولمة وآليات الإذلال.

ديفيد شوارتز (David Swartz): أستاذ مشارك في قسم علم الاجتماع بجامعة بوسطن، درّس سابقاً في الجامعة الويزلية وفي السوربون. وهو مؤلف كل من:

Culture and Domination: The Social Theory of Pierre Bourdieu (University of Chicago Press, 1997), and *After Bourdieu: Influence, Critique, Elaboration* (co-edited with Vera L. Zolberg, Springer, 2004).

وهو محرر لمراجعات الكتب في مجلة **النظرية والمجتمع**.

بيوتر سزتومبكا (Piotr Sztompka): أستاذ علم الاجتماع النظري في الجامعة الجاجيلونية بكراكوف في بولندا، والرئيس الحالي للمنظمة السوسيولوجية الدولية، وهو مؤلف كل من:

Trust: A Sociological Theory (Cambridge University Press, 1999).

ومؤلف مشارك في:

Cultural Trauma and Collective Identity (with Jeffrey C. Alexander [et al.], University of California Press, 2004).

تيزيانا تيرانوفا (Tiziana Terranova): محاضرة في علم اجتماع الإعلام، والثقافة، والأفلام في جامعة إيسيكس. تستفيد حالياً من منحة بحثية في جامعة الدراسات الشرقية بنابلي في إيطاليا، كجزء من برنامج الحوافز القومي. وهي مؤلفة كتاب:

Network Culture: Politics for the Information Age (Pluto Press, 2004).

بول تيري (Paul Terry): درّس في العديد من المدارس والكليات في أكسفوردشاير، ووريكشاير منذ حصوله على الدكتوراه من جامعة شيفلد في العام ١٩٩٩، وهو حالياً رئيس قسم الفلسفة في مدرسة وودلاندس في كوفنتري.

كينيث طومبسون (Kenneth Thompson): أستاذ شرف في علم الاجتماع في الجامعة المفتوحة وجامعة ييل، وأستاذ زائر في جامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس. تتضمن مجموعة أعماله العديدة حول النظرية الاجتماعية وعلم اجتماع الثقافة ما يلي:

Moral Panics (Routledge, 1998); *Emile Durkheim* (Routledge, 2002), and *The Uses of Sociology* (co-edited with Peter Hamilton, Blackwell, 2002).

فرانك وبستر (Frank Webster): أستاذ علم الاجتماع في جامعة سيتي. درّس سابقاً في جامعة برمنغهام، حيث كان رئيس قسم

الدراسات الثقافية وعلم الاجتماع، وهو أستاذ زائر في قسم الصحافة ووسائل الإعلام بجامعة تامبير في فنلندا، ومن مؤلفاته:

Theories of the Information Society (2nd ed., Routledge, 2002); *The Virtual University* (co-edited with Kevin Robins, Oxford University Press, 2002), and *The Information Society Reader* (ed., Routledge, 2004).

إيان ويلكنسون **(Iain Wilkinson)**: محاضر في علم الاجتماع في جامعة كنت بكانتربري، ومن مؤلفاته:

Anxiety in a Risk Society (Routledge, 2001), *Suffering: A Sociological Introduction* (Polity Press, 2005); and *Risk Vulnerability and Everyday Life* (Routledge, 2006).

ألفورد أ. يونغ **(Alford A. Young, Jr.)**: أستاذ وأستاذ مشارك في قسم علم الاجتماع ومركز الدراسات الأفروأمريكية والأفريقية في جامعة ميتشغان، وهو مؤلف كل من:

The Minds of Marginalized Black Men: Making Sense of Mobility, Opportunity, and Future Life Chances (Princeton University Press, 2004); *From the Edge of the Ghetto: African Americans and the World of Work* (Rowman and Littlefield, Forthcoming), and *The Souls of W.E.B. DuBois* (with Elizabeth Higginbotham [et al.], Paradigm Publishers, 2006).

مقدمة

واضعو النظريات الذين يشتمل عليهم هذا العمل هم من قدموا أهم وأحدث الإسهامات الفكرية التأسيسية، ولقد وردت أسماؤهم في قائمة كتاب **خمسون عالماً اجتماعياً أساسياً: المنظّرون المعاصرون**. وهم «معاصرون» بفضل دوام ابتكاراتهم التنظيرية في العمل السوسيولوجي الحالي. استقوا أفكارهم النظرية من الإسهامات الرئيسة لعلماء الاجتماع المؤسسين، ثم عمدوا إلى توسيع مجال النقاش، أو طوروا مفاهيم جديدة تماماً أساساً لأعمالهم.

لا ينبغي أن يُنظر إلى النظرية المعاصرة بديلاً من النظرية التي سبقتها، فهي لا تنفيها ولا تحل محلها كلية، بل يجدر النظر إلى العمل التنظيري المعاصر باعتباره امتداداً وتطويراً للعديد من الموضوعات التي طورها الكتّاب المؤسسون، وتطويراً للأدوات التنظيرية المتاحة أمام علماء الاجتماع. لهذا السبب، اعتمدت معظم المقررات المتعلقة

بالنظرية الاجتماعية بناءً زمنياً تتبعت من خلاله تطور الأفكار؛ منذ فترة التأسيس وحتى الزمن المعاصر.

لقد تحقق هذا التقدم النظري في كل مجالات التنظير الاجتماعي الرئيسة، إذ أثار فهم الثقافة، والبناء الاجتماعي، والتحول الاجتماعي، والعمل، والصراع والتغير ـ على سبيل المثال ـ جدالاً كبيراً وأحدث تطوراً نظرياً ملموساً. واتضح بالطبع أن العديد من الأفكار القديمة مضللة أو جزئية، فتمّ استكمالها برؤى نظرية جديدة. وطرأ بالفعل تطور في مجالات النظرية الاجتماعية كلها منذ الفترة التأسيسية. بيد أنه برز مجالان من بين سواهما، يمكن الوقوف عليهما في أعمال هؤلاء الكتّاب الذين تناولوا في كتاباتهم موضوعي النوع (Gender) والعرقية (Ethnicity) ، وجعلوهما محور الاهتمام.

وكانت هاريت مارتينو، من بين واضعي النظريات المؤسسين، رائدة في محاولة فهم وضع المرأة، واتبع خطوتها الريادية عدد قليل من واضعي النظريات الآخرين. وكانت مثل هذه الاهتمامات غائبة بصورة ملحوظة عن التيار الرئيس للنقاش النظري، غير أنه مع حلول الموجة الثانية من الحركة النسوية في السبعينيات، كان للأفكار الصياغية الجديدة بخصوص النوع والجنسانية والأبوة تأثير رئيس في علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية الأوسع نطاقاً. كما كانت كل من سيمون دي بوفوار وفيولا كلين من أُوليات الرائدات اللاتي تبنين الأساليب الجديدة في تناول مثل هذه القضايا، وأثرت أفكارهما في البحوث اللاحقة لكاتبات متنوعات، أمثال: شولاميث فايرستون، وآن أوكلي، ودوروثي سميث، ودونا هاراواي، وجوديث باتلر.

ولم يكن واضعو النظريات المؤسسون، من جهة أخرى، يتجاهلون مصطلح «العرق»، فاستفاضوا في تناول هذا الموضوع. غير أن ما كتبوه عن العرق كان يميل الى عكس النماذج البيولوجية السائدة آنذاك للعرق والعرقية. وهناك من بين واضعي النظريات مؤسسون أمثال وليام ديبوا ممن رفضوا مثل هذا التحديد وأكدوا أهمية البناءات الاجتماعية. وبزغت أفكار كتلك التي ألهمت جيلاً جديداً من واضعي النظريات لتناول بناءات التحول العرقي والتكوين العرقي وعمليات الضم والاستبعاد لمن يرتبطون بها. وحمل لواء هذا التوجه كُتّاب مثل فرانز فانون، وس. ل. ر. جيمس، وبول جيلروي، وأورلاندو باترسون، فيما عمد كتّاب آخرون ـ مثل وليام يوليوس ويلسون - إلى سبر أغوار النتائج الإمبريالية لمثل هذه العمليات.

وكان التطور النظري الذي طرأ على التحليل الثقافي وراء زيادة الأعمال حول النوع والعرق، إذ كانت الثقافة دائماً قضية مركزية بالنسبة إلى علماء الأنثربولوجيا الاجتماعية وعلماء الاجتماع المؤسسين. إلا أن هذين الموضوعين لم يحظيا بتناول نظري مكثف إلا في الفترة المعاصرة، على يد كتاب من أمثال باسل بيرنشتاين وماري دوغلاس بوصفهما نموذجين مهمين عن هذا الاهتمام العلمي الجديد بالموضوعين. من ناحية أخرى، هناك كتاب تأثروا ببنيوية كلود ليفي ـ شتراوس الذي كان له أعظم الأثر، إذ قدم رونالد بارثز ـ الذي كان يعمل في نطاق البنيوية ـ إسهامات رئيسة في النقاشات النظرية، بينما كان لكتّاب أمثال ميشيل فوكو وجان بودريار - بطرقهم المختلفة ـ دور

رائد في «ما بعد الحداثة» ومقولات «ما بعد الحداثة»التي ساعدت في إعادة توجيه مجالات كاملة من النقاش.

وحصلت تطورات وثيقة الصلة بهذا التقدم النظري في عملية التنظير للعرق التي حملت اسم «ما بعد الاستعمار»، وتناول هذا العمل - على وجه الخصوص ـ السياقات الإمبريالية للعلاقات العرقية، كما تناول أفكاراً متعلقة بالاختلافات العرقية. وكان لافتاً للانتباه، في هذه النقاشات، إسهام إدوارد سعيد وغاياتري سبيفاك اللذين كانت لهما خلفية جيدة في نظرية الأدب.

من المهم تضمين هذا الكتاب لكتاب رئيسيين من خارج حدود علم الاجتماع، حيث تطور علم الاجتماع بوصفه تخصصاً علمياً يركز على بناء نظرية اجتماعية، على الرغم من أن هذا أيضاً قد كان بمثابة تطوير لعلوم اجتماعية متخصصة. ولهذا السبب تضمن هذا الكتاب عدداً من الفلاسفة، وعلماء النفس الاجتماعيين، وعلماء الأنثربولوجيا، وغيرهم ممن كان لأفكارهم تأثير رئيس في الأفكار التي نوقشت داخل علم الاجتماع نفسه. ومن ثم كان تضمين أنثربولوجيين مثل كلود ليفي ـ شتراوس وكليفورد غيرتز، والمحللة النفسية ميلاني كلاين، والفيلسوف جيل ديلوز، وعالمة البيولوجيا دونا هاراواي في كتاب يتناول كبار علماء الاجتماع، حتى لو كانوا هم أنفسهم والكثير من الشارحين (المعلقين) يرفضون تعريفهم بهوية «عالم الاجتماع». يتعلق الأمر بأفكارهم وتأثير هذه الأفكار في الجدل السوسيولوجي الذي أهّلهم كي يُدرجوا في هذا الكتاب.

وبالطبع يعكس اختياري الخاص لعلماء الاجتماع الرئيسيين اهتماماتي. غير أنني استمعت لنصح الآخرين كي أتأكد من أن اختياري هؤلاء سيكون له صفة تمثيلية بقدر المستطاع. واستند اختياري المبدئي للكتاب إلى توصيات زملائي في جامعة إيسيكس، وهي الجهة الرئيسة المعنية بعلم الاجتماع في بريطانيا. وطلبت من الزملاء أن يصوتوا للشخصيات التي يجب تناولها من وجهة نظرهم، وكذلك للشخصيات التي يجب استبعادها. كما طلبت منهم أيضاً تحديد أي كتّاب آخرين يشعرون أنه يجدر تضمينهم في هذا الكتاب. وقمت بإعداد قائمة منقّحة بناء على هذه الاقتراحات، ثم أرسلت القائمة إلى الهيئة لتأخذها في الحسبان. وأخيراً، قسمت القائمة النهائية إلى قائمتين ـ **الأولى** للكتّاب «المؤسسين» **والثانية** «للمعاصرين» ـ وتم اختيار قائمة بأهم خمسين مفكراً من القائمتين ووضعهم في قائمة واحدة.

وعكف على إعداد مداخل هذا الكتاب العديد من الخبراء على مستوى العالم، ممن يتباينون في أسلوبهم وتنسيقهم، إلا أنهم انتهجوا جميعاً أسلوباً واحداً؛ يشمل تفاصيل شخصية أساسية حول حياة وعمل كل من واضعي النظريات، وعرضها في سياقاتها التاريخية والفكرية. ويهدف المساهمون أيضاً إلى تحديد الأفكار والدراسات الرئيسة التي قام بها كل كاتب، وإظهار الطرق التي ظهرت وتطورت بها أفكاره، بالإضافة إلى إعداد قائمة لكل من الشخصيات تتضمن تفصيلات مبسطة؛ مثل الاسم الأول واللقب.

ويختتم كل مدخل بقائمة بالأعمال الرئيسة لكل شخصية وبعض المقترحات لقراءات إضافية. وتمت الإشارة إلى الصلات مع واضعي نظريات آخرين تحت عنوان «انظر أيضاً»، وتتضمن هذه الإحالة المرجعية المتنوعة مراجع لكتّاب ساهموا في إعداد هذا الكتاب.

لويس ألتوسير Louis Althusser

ولد لويس ألتوسير في برمندريس بالجزائر عام ١٩١٨. واجتاز بنجاح اختبار مسابقة القبول بمدرسة نورمال العليا ذائعة الصيت بباريس عام ١٩٣٩، غير أن التحاقه بالخدمة العسكرية منعه من بدء دراساته على الفور، كما تأجلت تلك الدراسات بسبب استمرار الحرب العالمية الثانية. وأسر ألتوسير في فانس عام ١٩٤٠، ثم قضى السنوات الخمس التي تلت هذا الأسر في معسكرات الاعتقال الألمانية. وبعد الحرب، طرأت على حياة ألتوسير ثلاثة أحداث ظلّت محورية في ما تبقى من حياته؛ كان **أولها** عودته إلى مدرسة نورمال العليا، حيث ظل يدرس فيها حتى عام ١٩٨٠، **وثانيها** مقابلته لهيلين ريتمان التي ظلت شريكته، في علاقة صعبة، حتى وفاتها المأساوية، **وثالثها** خروجه على الكاثوليكية والتحاقه بالحزب الشيوعي الفرنسي الذي ظل عضواً فيه طوال حياته، وإن لم يكن على وفاق دائم معه.

ظهر ألتوسير في المشهد الثقافي عام ١٩٦٥، بعد نشره كتاب *For Marx* الذي أعقبه بسرعة بكتاب *Reading Capital*. وفي هذين الكتابين، عمد ألتوسير إلى النقد الشديد لما اعتبره فهماً غوغائياً ـ يقصد التصور الستاليني ـ للنظرية الماركسية، خفض التركيز الاجتماعي إلى مجرد قوى اقتصادية إنتاجية تأخذ شكلاً اقتصادياً، كما شن نقداً لاذعاً ضد قراءات هيغل لماركس. وكان الماركسيون الغربيون قد اعتمدوا كثيراً على هيغل، كما شجع ابتعاد الأحزاب الشيوعية الماركسية في الغرب عن ستالين على هذا التقارب. ودفعت قراءة ألتوسير النقدية أعمال ماركس إلى مرحلة انتقالية جديدة، وضع خلالها فاصلاً بين ماركس الشاب الأيديولوجي، وماركس الناضج العلمي. ورأى ألتوسير أن التحرك نحو المنهج «العلمي» تطلب أن يتخلى ماركس عن هيغل والأنثروبولوجيا الفلسفية والنزعة الإنسانية التي تسود كتاباته في الفترة السابقة على العام ١٨٤٥. ومن هنا، فإن الدفاع عن القراءة الهيغلية أو الإنسانية لماركس تتطلب الابتعاد التام عن أهم الإنجازات العلمية لماركس، ألا وهو مفهوم المجتمع بوصفه بناء معقداً، تم تحديده بصورة شمولية.

وادعى ألتوسير أنه قد عاد إلى ماركس للتمييز بين الماركسية الحقيقية والأيديولوجية. إلا أن هذه العودة لم تكن تراجعاً عن شيء كان معروفاً وأصبح الآن منسياً، فمن وجهة نظر ألتوسير، افتتح ماركس «قارة جديدة» من المعرفة العلمية، ومهمة كتب ألتوسير هي كشف ووضع خرائط للاحتمالات النظرية التي تتضمنها. ويتطلب هذا الكشف عن حقيقة أفكار ماركس ثلاثة مصادر فكرية ماركسية،

وهي: نظرية المعرفة التاريخية، والفلسفة السبينوزية، والتحليل النفسي اللاكاني (Lacanian Psychoanalysis).

قام ألتوسير بوضع مفهوم «القطع» (Break) انطلاقاً من نظرية المعرفة التاريخية ـ وعمل غاستون باشلار على وجه التحديد ـ الأمر الذي يعني في المقام **الأول** أن العلم ليس امتداداً للحياة اليومية، لكنه ينقطع عن الخبرة اليومية لقيامه بوضع أطر مفهومية ونظرية. ثم «تتجسد» هذه الأطر في صورة أدوات، ووسائل، وتجارب. ويرى ألتوسير أن ذلك هو ما يقف وراء الاختلاف بين العلم والأيديولوجيا، فالأخيرة تعتبر مهارة تعيد إنتاج الحياة اليومية بصورة مقبولة، في محاولة لاستقرار العلاقات المتضادة، مثل العلاقة بين رأس المال والعمال.

ويؤرخ المعنى **الثاني** للانقطاع المعنى الأول، ويرى باشلار أن أي كلمة لا تشكل مفهوماً علمياً في حد ذاتها، وإن ما يمنح هذه الكلمة معنى علمياً محدداً هو علاقاتها بالمفاهيم الأخرى، إذ يتصل كل مفهوم بمجموعة من المفاهيم التي يصفها ألتوسير بأنها «قضية». كما عمد إلى تحديد قطع معرفي لدى ماركس في العام ١٨٤٥ ليتطور إلى قضية جديدة بعد العام ١٨٥٧. ونظراً إلى إمكان أن تتشارك القضايا المختلفة في العبارات، فإنه من الضروري القيام «بقراءات دالة» تهدف إلى استخراج «عدم الوعي» النظري للنص الذي يكوِّن أنواع القضايا المفروضة، ويحد من مدى إطار المفاهيم والإجابات الممكنة. لا تحمل كلمة «فضاء» المعنى نفسه في فيزياء نيوتن، كما في نظرية النسبية، إذ لا يقوم المعنى في نظرية النسبية على فيزياء نيوتن، بل هو ينفصل عنها.

حددت قراءة ألتوسير الدالة لماركس قضية تنفصل عن النزعة الإنسانية والهيغلية، فالنزعة الإنسانية التي توقن بأن الأفراد هم الذين يقومون بصنع التاريخ لا تتفق مع التقصي النظري غير الإنساني للعلاقات الاجتماعية لدى ماركس الناضج. وترتبط النزعة التاريخية بالهيغلية، أو بملاحظة أن التاريخ هو تحقق جوهر الإنسانية، مثل الإبداع أو حب الحرية. وتقدم النزعة التاريخية التاريخ بوصفه عملية متواصلة نحو هدف ما، ويعتقد أن «الجوهر» هو الذي يحدد أوجه الحياة الاجتماعية كلها، في ما يسميه ألتوسير «شمولية معبرة». ورأى أن كذا وكذا من العناصر (اقتصادية، سياسية، قانونية، أدبية، دينية،...إلخ وفقاً لهيغل) [يعادل] الجوهر الداخلي للكل».

وذكر ألتوسير أنه اكتشف في كتاب رأس المال أنه يمكن اعتبار العمل النظري نوعاً من الإنتاج، وهو العملية التي يتم فيها توظيف المادة الخام (مثل «الحقائق»)، والوثائق، والخبرات، والأيديولوجيات) وفقاً لبناء نظري يوظفها وينظمها معاً. إن هذا التحويل العملي لما يسميه «التعميم الأول» باستخدام «التعميم الثاني» ينتج المعرفة العلمية التي يسميها «التعميم الثالث». وهكذا، يعتبر العمل المفهومي ـ النظري (من خلال الانفصال عن الأيديولوجيا) عاملاً رئيساً في إنتاج المعرفة العلمية. إلا أن ألتوسير سينتقد في أعمال تالية التنظير المفرط لهذا المنحى.

ورأى ألتوسير، استناداً إلى ماركس وماو ولينين وبصورة خاصة إلى فلسفة سبينوزا المادية، أن مفهوم ماركس لنمط الإنتاج قد مثّل قضية، حيث يمكن أن تصاغ المجتمعات بوصفها كليات متناقضة معقدة

التنظيم، إذ يتم تقرير كل عنصر أو توظيفه من قبل العديد من العناصر الأخرى. إن القطاعات المختلفة في المجتمع (اقتصادية وسياسية وأيديولوجية) تحدَّد دائماً، وتقوم بتحديد الآخرين، وليس هناك تناقض واحد فحسب، بل مجموعة من التناقضات أيضاً. وهو ليس بناء واحداً فحسب، بل بناء لمجموعة من البناءات أيضاً. ولم يرَ ألتوسير ذلك بوصفه تعبيراً، بل بوصفه بناء سببياً، وأكد أن المستوى الاقتصادي لعلاقات الإنتاج يتحدد دائماً في المرحلة الأخيرة. وهكذا فإن المستوى السياسي هو السائد في ظل الإقطاع، ومع ذلك «فإن الساعة المفردة (الوحيدة) في المرحلة الأخيرة لا تأتي أبداً من البداية إلى النهاية»، وبعبارة أخرى، يبني الجانب الاقتصادي مجالاً من التحديد المتبادل الذي تكون فيه الجوانب الأخرى صاحبة نوع من الاستقلال الذاتي النسبي. إن الشكل الاجتماعي يفكك بصورة شاملة، ولا يوجد سبب أول أو أخير، بل هناك «سبب غائب» أو ـ وفق لغة تعتمد على فلسفة سبينوزا ـ «ليست الآثار خارج البناء، بل إن البناء متضمن في تأثيراته».

وغالباً ما يشار إلى أفكار ألتوسير ـ بغض النظر عن علاقتها الصعبة لها مع البنائية ـ بوصفها «ماركسية بنائية»، وقد صدمت أفكار ألتوسير هذه الماركسية وأثارت جدلاً نظرياً حولها. إلا أنها ـ مع أواخر السبعينيات ـ فقدت الكثير من أهميتها، وكان هذا راجعاً إلى مجموعة من الأحداث: التحول الحاد ضد الماركسية في الأكاديمية الفرنسية، وتغير المجالات السياسية وكذلك المشكلات النظرية الداخلية المهمة في موقف ألتوسير نفسه. واعترف ألتوسير بهذه النقطة الأخيرة في العديد من كتابات النقد الذاتي.

وكانت فترة ألتوسير ثرية، فمن خارج دائرته من المقربين ـ أمثال إتين باليبا وبيار ماشيري ونيكوس بولانتزاس وميشيل بيكو ـ كانت كتاباته مؤثرة في علماء، أمثال جورن ثيربورن، وتيري إيغلتون، وإيريك أولن رايت، وستفن رسنك، وريتشارد ولف. وتطور تشديد ألتوسير على اعتبار المعرفة ممارسة منتجة على يد روي بسكر، كي تصبح أساساً للواقعية النقدية. وكان لأعماله حول الأيديولوجيا ـ كما رسمت في **من أجل ماركس**، وتطورت في دراسته **الأيديولوجيا وأجهزة الدولة الأيديولوجية** تأثير كبير من خلال وصف وظيفة «أجهزة الدولة الأيديولوجية» (مثل الكنيسة والأسرة والتعليم) وإسهامها في إعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية الاستغلالية. ويقوم، في هناك مجال آخر، ابتكار ألتوسير على التحليل النفسي اللاكاني (Lacanian Psycho-analysis) لكشف الأيديولوجيا باعتبارها ممارسة مادية، تجعل من الأفراد موضوعات. إن تعريف ألتوسير للأيديولوجيا على أنها «تمثيل للعلاقة المتخيلة للأفراد مع ظروف وجودهم الحقيقية» برهن على أهميته الكبيرة. وتبقى محاولته تطوير مادية غير مختزلة (Non-reductionist Materialism) عبارة عن برنامج بحثي مهم متواصل. علاوة على ذلك، قدم ألتوسير مساهمة مهمة ـ إضافة إلى آخرين، أمثال جيل ديلوز وإتين باليبا وأنتونيو نيغري ـ في المادية السبينوزية المعاصرة.

عانى ألتوسير الإحباط الهوسي الجنوني، وخضع لمزيد من العلاجات التي لم تستطع منع التدهور المستمر، والهبوط الحاد، وفترات المكوث في المستشفى. وبينما كان ألتوسير يواجه أزمة عقلية، قام في تشرين الثاني/نوفمبر من العام ١٩٨٠ بقتل زوجته

هيلين. وقدمت معالجة نفسية إثباتاً لمعاناته النفسية، الأمر الذي حال دون مثوله في محاكمة بتهمة القتل. ووصلت شخصيته الأكاديمية إلى نهايتها، وأفرج عنه في العام ١٩٨٣، وعاش في شمالي باريس في عزلة نسبية، حتى وفاته إثر أزمة قلبية في ٢٢ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٠.

ونشرت **السيرة الذاتية** لألتوسير في العام ١٩٩٢، وقال فيها إن النص يتيح له «التدخل شخصياً وعلناً لتقديم شهادتي الخاصة». إن النص ـ كما قال إليوت ـ هو «إعادة كتابة الحياة من خلال مؤشر براق لحطام الحياة»، وإذا كانت **السيرة الذاتية** تختزل أكثر مما تظهر، فإن النصوص الأخرى تلقي الضوء على جوانب مهمة من مشروع ألتوسير الفكري والسياسي. وفي نصوص مثل «The Subterranean Current of the Materialism of the Encounter» و*Machiavelli and Us*، حاول ألتوسير تتبع وتحديد ملامح «مادية النقيض» وغيرها. وبعبارة أخرى، تناول قضية كيف يمكننا استخدام المعرفة النظرية للإسهام في ظهور شيء جديد (مثل مجتمع أكثر عدالة) نتيجة عمل تطوعي أو ظاهرة عشوائية كلية. وكان ما سبق هو تحدي ألتوسير النظرية الماركسية والفكر الاجتماعي على نطاق أوسع.

انظر أيضاً: **مانويل كاستلز؛ إرنستو لاكلو؛ كلود ليفي ـ شتراوس.**

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists*(*).

(*) سيصدر هذا الكتاب (باللغة العربية) عن الشبكة العربية للأبحاث والنشر قريباً.

■ أهم الأعمال:

For Marx (1969). Translated [from the French] by Ben Brewster. London: Allen Lane.

Reading «Capital» (1970). With Etienne Balibar; translated [from the French] by Ben Brewster. London: New Left Books.

Lenin and Philosophy, and Other Essays (1971). Translated from the French by Ben Brewster. London: New Left Books.

Essays in Self-criticism (1976). Translated by Grahame Lock. London: New Left Books; Atlantic Highlands, NJ: Humanities Press.

The Future Lasts a Long Time (1994). London: Vintage.

Machiavelli and Us (1999). Edited by François Matheron; translated with an introduction by Gregory Elliott. London; New York: Verso.

■ قراءات إضافية:

Alex Callinicos (1976). *Althusser's Marxism*. London: Pluto Press.

Ted Benton (1984). *The Rise and Fall of Structural Marxism: Althusser and his Influence*. London: Macmillan.

Gregory Elliot (1987). *Althusser: The Detour of Theory*. New York; London: Verso.

Roy Bhaskar (1989). *Reclaiming Reality: A Critical Introduction to Contemporary Philosophy*. London; New York: Verso.

Gregory Elliot (ed.) (1994). *Althusser: A Critical Reader*. Oxford: Blackwell.

Warren Montag (2002). *Louis Althusser*. London: Palgrave.

José Lopez (2003). *Society and its Metaphors: Language, Social Theory and Social Structure*. New York; London: Continuum.

Jason Read (2003). *The Micro-politics of Capital: Marx and the Prehistory of the Present*. Albany, NY: State University of New York Press.

نوربرت إلياس Norbert Elias

وصفت مقاربة إلياس بأنها علم اجتماع «تصويري (مجازي)» ـ (Figurational) ولكنه فضل مصطلح «علم اجتماع المعامل» (Process Sociology) (المعالج بواسطة عمليات)، وحظي بشهرة بناء على نظريته التي تحمل اسم «عمليات التحضر». ويؤكد الأسلوب التصويري أن الكائنات البشرية ولدت في ظل علاقات التبعية المتبادلة، وأن البناءات الاجتماعية التي يكونونها مع بعضهم بعضاً، ذات آليات ناشئة، لا يمكن التقليل من شأنها، باعتبارها أفعالاً أو دوافع فردية. وتشكل هذه الآليات الناشئة نمو، وتطور، ومسار حياة الأفراد. ويؤكد أن التصورات في حال سيولة وتحول دائم، وأن التحولات الطويلة المدى في التصورات الاجتماعية البشرية غير مخطط لها وغير منظورة في أغلب الأحوال. وينظر إلياس إلى تطور المعرفة على أنه يتم داخل مثل هذه التصورات.

ولد إلياس في ٢٢ حزيران/يونيو عام ١٨٩٧ لأبوين يهوديين في برسلاو بألمانيا (حينذاك) ـ وهي روكلاو في بولندا حالياً ـ وعمل

جندياً شاباً في الحرب العالمية الأولى، ثم درس الطب والفلسفة، وتخرج بدكتوراه الفلسفة عام ١٩٢٢. وانتقل إلى هيدلبرغ، حيث عمل مع ألفريد فيبر (أخ ماكس فيبر الأصغر) قبل أن يصبح مساعداً أكاديمياً لكارل مانهايم في فرانكفورت عام ١٩٢٩. أدى صعود النازية إلى فراره إلى باريس عام ١٩٣٣، ولكنه استقر في إنكلترا عام ١٩٣٥، وحصل على منحة جامعية بحثية في مدرسة لندن للاقتصاد. وسمحت له ثلاث سنوات من البحث في المتحف البريطاني بإكمال ما يعتبر عمله الكبير *The Civilising Process* الذي نشر في سويسرا عام ١٩٣٩، ولم يصدر باللغة الإنكليزية حتى عام ١٩٧٨. وحصل عام ١٩٥٤ على منصب أكاديمي في جامعة ليشستر، ثم حصل في ما بعد على مناصب جامعية في غانا وفرانكفورت وبيلفيلد وأمستردام، وتوفي في ١ آب/أغسطس عام ١٩٩٠ في عمر الثالثة والتسعين.

انتهى من أول أعماله *The Court Society* وهو في الثلاثينيات، لكنه لم ينشر حتى عام ١٩٦٩، وهو يتناول الضغوط التي تواجه «نبلاء البلاط» خلال عصر لويس الرابع عشر، فنظّر لفهم البلاط للنبالة، حيث تحدد الرتبة والمكانة وفقاً لحجم الإنفاق، باعتباره نقيضاً للفهم الاقتصادي للبرجوازية، حيث يخضع نمط الاستهلاك للدخل. وقدم تحليل مجتمع البلاط تصحيحاً ملموساً لمناقشات ماكس فيبر العقلانية الأدواتية (Instrumental Rationality)، والقيمية (Value Rationality)، وكذا تعديل التناقض الثنائي البسيط لدى ماركس بين الإقطاع والرأسمالية. وكانت هذه التنظيرات محل اهتمام

كتاب **عملية التحضر** الذي اعتمد على ماركس ومانهايم وفيبر وسيميل وفرويد في تناول التحولات السيكولوجية والسلوكية بين الطبقات العليا العلمانية في الغرب. وأظهر أن هذه التنظيرات مرتبطة معاً بعمليات تهدئة داخلية وتكوين الدولة. وتساءل كيف أن طبقات بعينها في الدول المتقدمة في غرب أوروبا تفكر في نفسها على أنها «متحضرة»، وكيف يصبح ذلك معمماً بوصفه دلالة على التفوق الغربي على الثقافات غير الغربية.

ورصد إلياس تحولات بعيدة الأجل في الأساليب والقوانين السلوكية، وفي حدود التعارض بخصوص الوظائف الجسدية (المادية)، وهي مرتبطة كلها بعملية التحول الداخلي (Internalization) للقيود الاجتماعية. وتتبعت أعماله تأسيس عادة مميزة متعلقة بتزايد قيود الأنا العليا (Superego) على الدوافع والموجهات الفاعلة (بما فيها السلوك العنيف) باعتباره جانباً مكملاً لمجتمع البلاط. وأصبحت أساليب الطبقة العليا وحساسيتها المؤثرة ـ من خلال عمليات التمييز والتقليد ـ معممة بوصفها نماذج للسلوك المهذب، وأصابها اللبس المنتظم من خلال طبقة (Stratum) أخرى. وهذا التحول الأعمى وغير المخطط له ـ ومع هذا فهو مبني وموجه ـ للوسائل هو الموضوع الرئيس للكتاب **الأول** من **عملية التحضر**، بالرغم من أن إلياس لم يكن مهتماً بتاريخ الوسائل. وانتقل في الكتاب **الثاني** إلى تشكيل الدولة «والأصول الاجتماعية» (Sociogenesis) للدول الاستبدادية، وإلى إظهار كيف أن عملية التحول الداخلي

للقيود والتحول الناتج في القوانين السلوكية مرتبطة بالتحولات في تقسيم العمل، والتحولات الجغرافية، والتهدئة المجتمعية (Societal Pacification)، والتحضر، والنمو التجاري، والاقتصاد النقدي. أدى نمو الاقتصاد النقدي الحضري إلى تسهيل إنجاز السلطة المركزية في الدولة واحتكار العنف. وكان تزايد استخدام مثل هذه الدوائر الاقتصادية قد أتاح المجال أمام تزايد الموارد العسكرية للنبلاء المحاربين الذين كان مصدرهم الأساسي للسلطة الاقتصادية والعسكرية هو التحكم في الأرض. وأدى هذا إلى تغيير الطبقة المحاربة المستقلة سابقاً إلى طبقة عليا تابعة للبلاط، ويسهل الهدوء الأكبر حجماً التجارة والنمو الاقتصادي، الذي يؤدي ـ بدوره ـ إلى تأمين السلطة الاقتصادية والعسكرية للسلطة المركزية، ويؤدي إلى تزايد سلطة الطبقات الوسطى. وعندما تتعادل كل من السلطة الأرستقراطية المتدهورة، وسلطة الطبقة المتوسطة المتزايدة تقريباً، فإنه يمكن للأسر الحاكمة أن تطالب بـ«السلطة المطلقة». وعادت هذه التطورات المنتظمة على نبلاء البلاط بمزيد من الأنماط المقيدة للسلوك. أخذت القيود الخارجية ـ المرتبطة بعلاقات السلطة لتكوين الدولة ـ في التحول داخلياً، بصورة تدريجية، بوصفها قيوداً ذاتية، مسببة تحولاً مميزاً في العادات وبناء الشخصية.

ويقدم كتاب **عملية التحضر** رصداً غير محدود لمسارات التنمية المختلفة في بريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، بعيداً عن كونه نظرية عالمية للتطور أو التقدم الأخلاقي والثقافي، كما يشير بعض الشارحين، ولا يمكن فهم الفكرة الرئيسة للكتاب من دون الرجوع إلى معرفة

تجربة إلياس بالأزمة الاجتماعية والسياسية للمجتمع الألماني والتأثر العالمي بصعود النازية، إذ تتطور كتاباته الأخيرة وتتوسع من هذا الموضوع ذاته. وكانت مساهمته في علم الرياضة (Sport) في مؤلفه *Quest for Excitement* تطبق فكرة أن عمليات التحضر الغربية تربط بين «التحول البرلماني» (Parliamentarization) للسياسة الإنكليزية وتقنين (Codification) رياضات مثل الملاكمة والكركيت. ويؤكد إلياس أن عمليات التحضر ترتبط ـ في أحد جوانبها ـ بعمليات التحول الروتيني (Routinization) التي تؤدي إلى مشاعر بالتفاهة الشعورية بين الناس، ونتيجة ذلك، قامت المؤسسات بتطوير ما يؤدي وظيفة تفكيك التحول الروتيني من خلال الحركة، والقدرة الاجتماعية، والإثارة، والتجديد. وهو ما يضعنا أمام ملامح مشتركة لبعض الأنشطة الرفيعة، مثل الفنون، والأنشطة الدنيا، مثل الرياضة. وجعل تحليله مواكباً للأحداث في مؤلفه *The Germans*، وكان اهتمامه المحوري ينصب على تطوير العادات الألمانية ودمجها مع مواصفات عسكرية، وكيف شكل ذلك أساساً مهماً لإعلاء شأن النازية.

إن أفضل تقديم لأسلوبه النظري هو مؤلفه *What is Sociology?*، حيث يعيد رأيه بوجوب أن يتفادى علماء الاجتماع معاملة الأفراد أو المجتمعات ككل، بوصفهم معطيات ثابتة. وهذا ـ كما يرى إلياس ـ انعكاس للغة، وصياغة مفهومية غير ملائمة، تقلل من العمليات التي تقوم بها الدول. كما يتطلب علم الاجتماع العلمي (Scientific Sociology) أن تحل رؤية قائمة على التعددية للناس عامة، بدلاً من الرؤية

الفردية المقربة (Closed Person View). وهذا هو أساس الرؤية المتصلة للسلطة المرتبطة بوظائف الأفراد بعضهم ببعض، وهو اعتراف بأن سيكولوجية الأفراد «وطريقة الرؤية» تظهر من منطلقات تصورية، يكون فيها الفرد مشاركاً، بما يسمح لإلياس بتناول مشكلاتي وتاريخي لعلوم المعرفة الفلسفية التقليدية التي تفترض أن الذكر الغربي البالغ هو أساس نظرية المعرفة العالمية المفترضة.

وارتبط أحد أهم جوانب أعمال إلياس بالمشكلات التي يشير إليها علماء الاجتماع ذوو التفكير الفلسفي باعتبارها ـ المشكلات ـ مرتبطة بعلم المعرفة، ولكن تلك التي يفضل إلياس نفسه صياغتها بوصفها نظرية معرفة سوسيولوجية. وفي مؤلفاته *Involvement and Detachment*، و*The Symbol Theory*، و*Time: An Essay* حاول تضمين نظرية كومتية (Comtean Theory) للمعرفة مع عمليات علم اجتماع المعرفة. تُظهر عملية علم المعرفة التاريخية أن المراحل المبكرة من التطور البشري كانت تتسم بالروحانية (Animistic) (الاعتقاد بأن الروح أو النفس هي المبدأ الحيوي المنظم للكون)، وبالأفكار السحرية ـ الأسطورية، وبالشعور بدرجات عليا من الخيال. وحدث بمرور الوقت تغير منتظم في التوازن، من التورط العاطفي إلى «انفصال»، جعل من الممكن حدوث زيادة منتظمة في الفهم المرتبط بواقع (ويتفادى إلياس استخدام كلمة «الحقيقة») «القوى الطبيعية»، وبالتبعية درجة أكبر من السيطرة على هذه القوى. وظلت عمليات المعرفة الاجتماعية أقل استقلالاً نسبياً، ولا يزال الناس

خاضعين بدرجة كبيرة لرحمة «القوى الاجتماعية». وتوصل إلياس إلى أن علماء الاجتماع يحتاجون إلى عمل إجراءات واتفاقات مهنية، تماماً كما هي الحال في العلوم الطبيعية. وهذا سيعزل، إلى حد بعيد، عملية المعرفة عن العمليات الاجتماعية الواسعة، وسيسمح للباحثين ببناء مخازن من المعرفة للاستخدام العملي.

إن قدرة إلياس على المزج بين الأوصاف الجزئية والأوصاف الكلية للعمليات الاجتماعية، وعلى تجاوز الانقسام الثنائي بين الفرد والمجتمع، وعلى المزج بين الرؤية النظرية العميقة والسعة المذهلة للبرهان التجريبي، وعلى تقديم وصف اجتماعي وتاريخي دقيق وثابت للعالم، قد ظهرت في: **عملية التحضّر**، وفي دراسته عن الموسيقار النمساوي، موزار: **بورتريه للعبقرية**. وهو ما كفل له مكاناً بين كبار المفكرين السوسيولوجيين.

انظر أيضاً: **زيغمونت باومان**.

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists:* Karl Mannheim, Georg Simmel, Max Weber.

■ **أهم الأعمال:**

What Is Sociology? (1978). Translated [from German] by Stephen Mennell and Grace Morrissey; with a foreword by Reinhard Bendix. London: Hutchinson.

The Civilizing Process (1982). Translated by Edmund Jephcott. Oxford: Blackwell. 2 vols.

Vol. 1: *The History of Manners.*

Vol. 2: *State Formation and Civilization.*

Quest for Excitement: Sport and Leisure in the Civilizing Process (1986). With Eric Dunning. Oxford: Blackwell.

The Society of Individuals (1991). Edited by Michael Schröter; translated by Edmund Jephcott. London: Continuum.

The Symbol Theory (1991). Edited with an introduction by Richard Kilminster. London; Newbury Park: Sage Publications. (Theory, Culture and Society)

Time: An Essay (1992). Translated in part from the German by Edmund Jephcott. Oxford: Blackwell.

Mozart: Portrait of a Genius (1993). Edited by Michael Schröter; translated by Edmund Jephcott. Berkeley, CA: University of California Press.

The Established and the Outsiders: A Sociological Inquiry into Community Problems (1994). With John L. Scotson. London: Sage. (Theory, Culture and Society)

The Germans: Power Struggles and the Development of Habitus in the Nineteenth and Twentieth Centuries (1996). Oxford: Blackwell.

Early Writings (2005). Translated by Edmund Jephcott. Dublin: University College Dublin Press. (Collected Works of Norbert Elias; v. 1)

The Court Society (2006). Translated by Edmund Jephcott. Dublin: University College Dublin Press. (Collected Works of Norbert Elias; v. 2)

■ قراءات إضافية:

Peter R. Gleichmann, Johan Goudsblom and Hermann Korte (eds.) (1977). *Human Figurations*. Amsterdam: Amsterdams Sociologisch Tijdschrift.

Johan Goudsblom (1977). *Sociology in the Balance*. Oxford: Blackwell.

Stephen J. Mennell (1989). *Norbert Elias: An Introduction*. Dublin: University College Dublin Press.

Steven Loyal and Stephen Quilley (2004). *The Sociology of Norbert Elias*. Cambridge, MA: Cambridge University Press.

آن أوكلي Ann Oakley

ولدت آن أوكلي عام ١٩٤٤، وكان والدها ريتشارد تيتموس عالم اجتماع نافذاً، وكتب عدة أعمال كبيرة حول دولة الرفاهية، بما في ذلك عمله *The Gift Relationship* الذي أعيد نشره في طبعة بالتعاون مع أوكلي عام ١٩٩٧. ويمكن تلمس تأثير والديها في نموها الفكري في سردها لسيرتهما الذاتية في كتاب بعنوان *Man and Wife*. كانت الدراسة الجامعية الأولى لأوكلي في جامعة أكسفورد قد أعقبتها دراسة دكتوراه في جامعة لندن عن العمل المنزلي، وأسفرت عن كتابين هما *Housewife* و *The Sociology of Housework* كان لهما تأثير كبير في علم الاجتماع. وقد عكست هذه الأعمال التزامها بعلم الاجتماع النسوي الذي لا يزال محور فكرها وأعمالها. تضمنت حياتها العملية الأكاديمية التالية فترات من العمل في بدفورد كوليج بجامعة لندن، وفي جامعة أوكسفورد. وتولت منصباً مرموقاً في معهد التعليم بجامعة لندن عام ١٩٨٥، وظلت تعمل فيه منذ ذلك

الوقت. كونت وحدة أبحاث العلوم الاجتماعية عام ١٩٩٠ وتولت رئاستها حتى بداية عام ٢٠٠٥، كما أسست مركز أدلة وتنسيق المعلومات السياسية والعملية (The Evidence for Policy and Practice Information and Co-ordinating Centre) - (مركز إيبي EPPI-Centre) عام ١٩٩٣. وحافظت على اهتمامها المبكر بالكتابة القصصية، إلى جانب كتابتها الأكاديمية، فنشرت عام ١٩٨٨، على سبيل المثال، رواية *The Man's Room* التي تحولت إلى مسلسل تليفزيوني، كما كتبت أعمالاً تمزج بين القصص والكتابة غير القصصية، والأبحاث الأكاديمية والكتابة الإبداعية.

تقسم أوكلي نفسها إسهامها الفكري إلى أربعة أقسام هي: «الجنس والجندر»، «العمل المنزلي والحياة الأسرية»، «ولادة الأطفال والأمومة والطب»، «وممارسة العلوم الاجتماعية». وبينما توجد صلات واضحة بين هذه الأقسام - على سبيل المثال فإن أعمالها الذاتية تعكس توجهاتها إزاء المنهجية المتعلقة بالعلوم الاجتماعية واهتماماتها بمسألة الجندر تسود في أعمالها - فإن هذه الأقسام الأربعة تعكس التوجهات التي جعلت من إسهامات أوكلي في علم الاجتماع مميزة ومؤثرة.

اكتسبت أوكلي صدقية كبيرة بإدخالها مفهوم «الجندر» في العلوم الاجتماعية، وميزت بين «الحقيقة» البيولوجية للجنس (الذي لا يكون تمييزاً واضحاً ومزدوجاً في حد ذاته) وتعبيرات وتوقعات محددة ثقافياً «للذكورة»، «والأنوثة»، والتي تحدد وفقاً للجنس البيولوجي ومن ثم تبدو على أنها ثابتة. وتقوم بكشف العملية التي «يتم من خلالها توثيق الروابط بين الفعل الموروث بالميلاد وفعل تنظيف المنزل»

كما هو محدد بشكل من أشكال الإحالة الاجتماعية غير المرتبطة بالقدرات الفردية والقابلة للتغيير. كما دافعت أوكلي عن مفهوم الجندر باعتباره مفهوماً سوسيولوجياً قيماً ضد الانتقادات الموجهة ضده ورفضه من قبل منظري ما بعد الحداثة (بمن فيهم أنصار ما بعد الحداثة النسوية) وعلماء البيولوجيا الاجتماعية (Socio-Biologists). وواصلت التأكيد أن تمييز الجندر ـ الجنس لا يزال ذا قيمة تحليلية، بالرغم من الاعتراف بالطبيعة الجمعية (Contingent Nature) للجنس في حد ذاته. وترى أن تمييز الجندر ـ الجنس له دور حاسم في تعريف وكشف التفاوت المادي المتواصل وأسبابه الفكرية.

وأثارت أوكلي، وفق ما تورده هي عن نفسها في سيرتها، اضطراب المؤسسة الأكاديمية بدراستها عن العمل المنزلي في رسالتها الدكتوراه. على أي حال، فإن قيامها بكل من اعتبار العمل المنزلي شكلاً من أشكال العمل الذي يتطلب هدراً جسدياً وعاطفياً، وحسابها عدد الساعات التي تقضيها النساء في العمل، إضافة إلى، أو بدلاً من، العمل المدفوع، أدى إلى تكوين مكان سوسيولوجي للعمل المنزلي، وكان إسهامها في ذلك مؤثراً للغاية. ويتمثل أحد أمثلة هذا التأثير في عمل إيفان إليش *Gender*، الذي اتضح فيه بصورة كبيرة تأثره بتناول أوكلي للعمل المنزلي من حيث الفكر والكتابة.

وأظهرت أوكلي في دراستها العمل المنزلي، وهو الموضوع الذي لم يؤخذ جدياً بالاعتبار في علم الاجتماع، ما عرف بالنزعة الذكورية (Masculinism) لهذا التخصص العلمي، إذ إنه ليست أغلبية علماء الاجتماع الكبار من الرجال فحسب، بل إن الموضوعات التي

درسوها والطريقة التي تمت بها هذه الدراسة كانت ذكورية في أساسها. ومن هنا فإن الموضوعات أو جوانب الموضوعات التي لا تتفق مع الرؤية الذكورية العالمية كانت تتعرض في أغلب الأحوال للتجاهل، أو تعتبر خارج مجال علم الاجتماع. وإضافة إلى ذلك، فإن هذه الموضوعات التي كانت تعتبر جديرة بالدراسة تمت معاملتها بطرق دعمت من وجهات نظر الطرف الأقوى. ويمكن أن ينظر إلى أعمال أوكلي على أنها تشكل تحدياً على الجبهتين معاً.

لقد انعكس ذلك في أعمالها حول الأمومة التي أعقبتها بأبحاث عن العمل المنزلي. وارتبطت أوكلي لفترة طويلة بعلم الاجتماع الطبي ودراسات الرعاية الصحية التي بدأتها بدراسة ٦٦ امرأة من لندن أنجبن رضيعهن الأول. وأظهر هذا البحث التزامها النسوي تجاه رفاهية النساء وتجاه دور العلوم الاجتماعية داخله. وفر هذا البحث فهماً سوسيولوجياً جديداً للأمومة، كما هي الحال في دراسة العمل المنزلي، كما تحدى حالة الحياد لخبرات التدخل والرعاية الطبية العالية النوعية (Highly Gendered)، وتساءلت عن العلاقة القائمة بين العلوم والتجربة الإنجابية النسائية. وأكد تناولها تجارب الاتصال للرعاية الصحية الإنجابية والولادة للأمهات أنفسهن. وتواصلت مع عالم موضوعاتها من خلال المقابلات وملاحظات الأطباء للمرضى، وهو ما كان جانباً مهماً في دراستها، وكان التشديد على المنهج الملائم والتأثير المحتمل للتناول، سواء أكان من العلوم الاجتماعية أم العلوم الطبية، واضحاً أيضاً في مجموعة إفاداتها من المشاركين في الدراسة حول تجربتهم (غالبيتهم من النساء) بأن يكونوا محل بحث.

كانت دراسة أوكلي عن العمل المنزلي قد أظهرت بالفعل اهتمامها بالمنهجية، وهو الأمر الذي انعكس على ملاءمة منهجها، مع رصد مفصل لمنهجها والمدى الذي يمكن الاعتماد فيه على نتائج دراستها. كانت أوكلي تؤكد باستمرار أنه من المهم للغاية وجوب أن تسهم جميع الأبحاث في المعرفة، وهي المعرفة التي يمكن أن تستخدم في تقييم وتحدي المعتقدات الخرافية (Myths)، وترى أن أي شيء آخر هو أمر غير أخلاقي. وباعتبارها نسوية الاتجاه، فإنها واصلت التوكيد أن للأبحاث العلمية التجريبية الجيدة التصميم دوراً مهماً لتؤديه في توثيق وقائع حياة النساء التي تم عيشها في خدمة إنتاج حقائق عملية ذات احتمال بتحقيق الانعتاق. وهي قدمت بذلك وسيلة لرفض الصراع بين المنهجين النوعي والكمي وتوجه النسوية لأن تكون مرتبطة، بصورة لا تنفصم، مع البحوث النوعية. وبدلاً من ذلك، فإنها ترى أن ذلك هو ما يناسب هدف بحوث العلوم الاجتماعية واحتمالية تعرضها للتحدي ـ بدلاً من الدعم ـ من جانب الأبنية والعلاقات الشخصية المهيمنة والقمعية، وهي القضايا التي تؤخذ بالاعتبار.

وبما يتسق مع اهتمامها بالمنهج وإنتاج معرفة قابلة للاستخدام، يمكن أن تؤثر في السياسة، فإنها دافعت عن التجارب التي يتحكم فيها عشوائياً بوصفها أداة للبحوث النسوية، وأكدت أن العلوم الاجتماعية البريطانية تغفل التجريب بصورة كبيرة. كما اعتبرت أن هناك دروساً يجب تعلمها من محاولات المؤسسة الطبية لتكوين قاعدة شواهد أكثر دقة لعمل المقاربات. وكان تأسيس مركز (EPPI) يستهدف إدخال مبادئ ومكاسب التحليل الماورائي (Meta-Analysis) في العلوم

الاجتماعية. وحاولت أوكلي بذلك أن تظهر احتمالية جمع المناهج الكمية مع المادة النوعية. وعارضت جندرة بحوثها الخاصة في سياق توكيدها على احتمالية تجميع الأساليب المنهجية، وأكدت مدى إمكان استخدام المناهج البحثية، والمجالات البحثية أيضاً، في ما يتعلق بالسياقات التاريخية التي أنتجتها وشكلتها. ومع استمرارها في الحفاظ على استخدام مفهوم الجندر، فإن تطبيق مقولتها المنهجية هو عبارة عن حالة من البحث النسوي وليس تأنيثاً لمناهجها، ومن هنا، فإنه سيعرض التفاوت الذي تحاول تحديه للخطر طبيعياً.

انظر أيضاً: **سيمون دي بوفوار**.

■ **قراءات إضافية:**

Sex, Gender and Society (1972). London: Temple Smith. (Towards a New Society)

The Sociology of Housework (1974). Oxford: Martin Robertson.

Housewife (1974). Harmondsworth: Penguin.

Becoming a Mother (1979). Oxford: Martin Robertson.

Women Confined: Towards a Sociology of Childbirth (1980). New York: Schoken.

Subject Women (1981). Oxford: Martin Robertson.

The Captured Womb: A History of the Medical Care of Pregnant Women (1984). Oxford: Basil Blackwell.

Experiments in Knowing: Gender and Method in the Social Sciences (2000). Cambridge, UK: Polity Press.

بعض الاقتباسات من أعمالها موجود في: *The Ann Oakley Reader: Gender, Women and Social Science* (2005). Foreword by Germaine Greer. Bristol, UK: Policy Press.

أورلاندو باترسون Orlando Patterson

أورلاندو باترسون هو أستاذ علم الاجتماع في جامعة هارفرد التي علّم فيها منذ العام ١٩٦٩. ولد عام ١٩٤١، وأكمل دراسته المبكرة في جامايكا، وحصل على بكالوريوس في الاقتصاد عام ١٩٦٢ من جامعة جزر الهند الغربية. حصل على درجة الدكتوراه في علم الاجتماع من مدرسة لندن للاقتصاد عام ١٩٦٥، ودرس لفترة قصيرة فيها وفي جامعة جزر الهند الغربية قبيل انتقاله إلى هارفرد. وبينما كانت غالبية أعماله سوسيولوجية في الأساس ـ وتحديداً في مجال ما يطلق عليه حالياً علم اجتماع تاريخي ـ فإنه قام أيضاً بكتابة ثلاث روايات، وأصبح معروفاً حالياً على نطاق واسع بوصفه مفكراً شعبياً من خلال دراساته النقدية الموجزة المتعاقبة في الصحف الكبرى، مثل **نيويورك تايمز** و**نيو ريببلك** وحوارته التليفزيونية عن قضايا معاصرة على قدر كبير من الاهتمام العام بها. وكانت كتبه حول الرق المقارن، وحول الحرية تتناول أبنية كبيرة، وعمليات ضخمة وفترات زمنية طويلة، جعلته يعرف بتوسيعه نطاق النقاشات

حول موضوعات راسخة وطرح فرضيات، لم يسبق في أغلب الأحوال تناولها أو تم تناولها بشكل جزئي. منح العديد من الجوائز بسبب إنجازه العلمي، بما في ذلك جائزة الإسهام المميز للعلم التي تمنحها الجمعية السوسيولوجية الأمريكية (جائزة سوروكين)، وجائزة الكتاب الوطني. وهو زميل في الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم، كما عمل مستشاراً خاصاً للسياسة والتنمية الاجتماعية لرئيس الوزراء في جامايكا في السبعينيات، ومنحته حكومة جامايكا وسام التميز (طبقة قائد) عام ١٩٩٩ تقديراً لخدماته العامة للشعب الجامايكي. وبينما عمل مستشاراً خاصاً لحكومة جامايكا، فإنه نشر عدداً من التقارير العلمية والسياسية.

كانت أول مجموعة مهمة من كتابات باترسون تتناول مجتمعات الرقيق الكاريبية مع تشديد خاص على جامايكا، أكبر مجتمعات الرقيق في البحر الكاريبي المتحدثة باللغة الإنكليزية. وانتقلت اهتماماته الأكاديمية التالية في العديد من الاتجاهات بما فيها الدراسة المقارنة للرق في جميع العصور والأماكن في العالم، ودراسة جذور وتطور مفهوم الحرية، وبخاصة في المجتمعات الغربية، وتحليل العرق والعلاقات الإثنية في الولايات المتحدة منذ العام ١٩٦٦.

نشرت دراسة الدكتوراه لباترسون بعنوان *The Sociology of Slavery*، عام ١٩٦٧، تناول فيها بناء ووظيفة مجتمع الرقيق الجامايكي والوقائع ذات الصلة المسؤولة عن تطوره في ظل الاحتلال البريطاني. كما تناول الأسس الاقتصادية للربح وعلاقات الإنتاج

الاجتماعية والمؤسسات الاجتماعية وآليات المقاومة لدى العبيد. وبينما كانت المادة تاريخية في جوهرها، فإن الموضوع كان سوسيولوجياً، إذ كان مهتماً بتحليل القيم الاجتماعية والتغيير الاجتماعي في هذا المجتمع والاهتمامات التنظيرية الأكثر أصولية للنظام الاجتماعي والسيطرة الاجتماعية. اعتبر كتاب *Slavery and Social Death* الذي نشر في عام ١٩٨٢ عملاً علمياً لافتاً ومتعدد الأبعاد، اعتمد على شواهد من العوالم القبلية والقديمة وما قبل الحديثة والحديثة لمناقشة الديناميات الداخلية للرق في ٦٦ مجتمعاً بمرور الوقت، وهو يبدأ بتوكيد مقولة مهمة:

«لقد وجد الرق قبل بزوغ فجر التاريخ الإنساني حتى القرن العشرين، وفي أكثر المجتمعات بدائية وأكثرها تمدناً. ولا يوجد إقليم على سطح الأرض، لم توجد فيه مؤسسة الرق لفترة زمنية ما».

تشمل هذه المجتمعات اليونان وروما وأوروبا في العصور الوسطى والصين وكوريا والممالك الإسلامية وأفريقيا وجزر البحر الكاريبي وأمريكا اللاتينية. ويهدف باترسون إلى «تحديد وتناول طبيعة ديناميات الرق الداخلية بصورة تجريبية من جميع جوانبه، والأنماط المؤسسية التي تدعمه». ومن أهم النتائج التي توصل إليها في هذا الكتاب أن الاسترقاق في جميع المجتمعات، على الرغم من اختلافاتها، كان يؤدي إلى الحرمان الاجتماعي (Desocialized) والشخصي (Depersonalized) للرقيق، وأن يصبحوا ميتين

اجتماعياً، وليس لهم وجود خارج نطاق وجود سادتهم. ويواجه باترسون القول الغامض إن العبودية كانت كلية الوجود في كل المجتمعات، وإنها كانت عاملاً محورياً في تشكيل بعض أوثق معتقدات المجتمع الغربي، مثل الحضارة والحرية.

نشر أول مجلدين لعلم الاجتماع التاريخي حول الحرية، في حزيران/يونيو عام ١٩٩١ بعنوان *Freedom in the Making of Western Culture*. يحلل باترسون الصلة بين الحرية والرق في هذا الكتاب مميزاً بين العديد من أنواع الحرية المختلفة (شخصية، سيادية مدنية، ...إلخ)، وتحليل الشرور المحتملة التي توجد في كل منها. وأكمل حالياً المجلد الثاني من هذا الكتاب الذي يتعامل مع العالم الحديث.

تمت تغطية تحليله العرق والهجرة والتعددية الثقافية في الولايات المتحدة المعاصرة في مجلدين هما *The Ordeal of Integration* و *Rituals of Blood*. يتناول الكتاب **الأول** منهما التقدم والمكاسب التي حققها الأمريكيون الأفارقة في إنجاز المساواة المدنية والاقتصادية. بينما يتناول الكتاب **الثاني** التكاليف البشرية لفترة العنصرية في الولايات المتحدة، مركزاً على أزمة علاقات الجندر (Gender Relations) السوداء كما تتضح في المعدلات المرتفعة للمواليد لأمهات قبل الزواج ومعدلات الطلاق المرتفعة، وعلى صعيد العديد من التصورات حول الأمريكيين الأفارقة في المجتمع حالياً. والمقولة الرئيسة لباترسون هي أن الفقر، وليس العرق، هو

السبب الرئيس في فشل الاندماج. ولا تزال هناك أعداد كبيرة من البيض والسود يعانون الفقر، حتى من بين الأسر التي تضم شخصين عاملين على الأقل. وينتقد عمله ذاك الزعماء الوطنيون والعلماء الاجتماعيون المستفيدون من مجتمع ثنائي العرق. يعتبر المضي قدماً في نشر جو التفاؤل اعترافاً منه بالمكاسب الحقيقية وأهمية تناول الفقر والبحث عن التغيرات في الاقتصاد القومي والممارسات الثقافية، على سبيل المثال، من خلال مواجهة المعتقد الرومانتيكي والطارئ لدى المراهقات الحوامل.

لم يتردد باترسون في تناول القضايا السياسية الملحة، بوصفه مفكراً شعبياً، وكان يتدخل في النقاشات حول العمل المؤثرة في علاقات الجندر في المجتمع الأسود. وكانت مكانته أعلى كثيراً من المحللين التقليديين، بدليل تلقيه غالبية الأسئلة عقب النقاشات. على سبيل المثال، فإنه يتساءل عما إذا كانت الشواهد ذات الصلة لمكاسب العمل الحاسم تفوق التكاليف أم لا. كما ركز على العقبات التي تواجه النساء السود من الطبقة الوسطى واللواتي يواجهن حالياً مشكلة النقص في الرجال السود ذوي التعليم والمؤهلات المكافئة لهن كشركاء على المدى الطويل أو أزواج. كما انتقد مراراً كلمات أغاني موسيقى الهيب هوب مصنفاً إياها على أنها معادية للنساء وتدعو للكراهية.

يواصل باترسون تأثيره اللافت في البحوث الأكاديمية حول الرق والحرية، ويقتبس من أعماله على نطاق واسع من قبل جيل

كامل من الكتّاب حول هذين الموضوعين، وعلى وجه الخصوص من تدربوا في عدد كبير من أقسام علم الاجتماع والتاريخ في الجامعات البريطانية في السبعينيات والثمانينيات.

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists*: Oliver Cox, Max Weber.

■ أهم الأعمال:

The Sociology of Slavery: An Analysis of the Origins, Development and Structure of Negro Slave Society in Jamaica (1967). London: MacGibbon and Kee. (Studies in Society)

Slavery and Social Death: A Comparative Study (1982). Cambridge, MA: Harvard University Press.

Freedom in the Making of Western Culture (1991). New York: Basic Books. (Freedom; v. 1)

The Ordeal of Integration: Progress and Resentment in America's «Racial» Crisis (1997). Washington, DC: Civitas/Counterpoint.

Rituals of Blood: The Consequences of Slavery in Two American Centuries (1998). Washington, DC: Civitas/Counterpoint.

جوديث باتلر Judith Butler

ولدت جوديث باتلر عام ١٩٥٦، وهي فيلسوفة وعالمة في دراسة الظاهرات ومنظرة للجنس (Gender)، وتقدم تفكيرا معقدا ذكيا وشاملاً. وهو ما ينطبق على كتاباتها حول قضايا مثل تكوين الذات البشرية، والقوة المنتجة أو الهدامة للغة، ودراسات حول الفلسفة الهيغلية. وتجابه أعمالها الفهم السائد للهوية والوجود، والثقافة والبيولوجيا، والعلاقات بين النوع والجنس. بعبارة أخرى، ترتبط مظاهر الأنوثة (Femininity) كافة بالأنثى، وترتبط الذكورة بالذكر. وكان تحليلها البارع لمفاهيم سيغموند فرويد والفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو قد قادتها إلى آراء مهمة وابتكارات أصيلة في العديد من المجالات، وقدمت إضافات ملموسة إلى مجال علم الظواهر، وهو علم دراسة حركة الوعي من خلال الوقت، بما فيه كيف تبدو لنا الأشياء.

تتناول أعمال باتلر ـ التي قد تبدو راديكالية ـ القضايا الكلاسيكية لعلم الوجود ونظرية المعرفة وفلسفة اللغة. وبعد دراستها

للفلسفة في السبعينيات في كلية بنينغتون في فيرمونت وجامعة ييل، سافرت باتلر إلى جامعة هيدلبرغ بألمانيا، بمنحة علمية من هيئة فولبرايت، وشاركت في محاضرات وحلقات نقاشية حول الفيلسوف هانز ـ جورج جادامر. وعند عودتها إلى ييل للتدرب على التخرج شاركت بصورة متفرقة في محاضرات واضعي النظريات جاك دريدا وبول دومان، وحصلت على درجة الدكتوراه في الفلسفة بإشراف موريس ناتانسون، وهو عالم بارز في علم دراسة الظاهرة، وهسرل وهو عالم كان قد درس مع ألفريد شوتز.

وبعد ثلاث سنوات من نشرها بحث الدكتوراه كتاباً حول التصور الفرنسي لهيغل، أصبحت باتلر مشهورة بسبب نشرها كتاب *Trouble: Feminism and the Subversion of Identity*. وبالرغم من صعوبة قراءته، فإن هذا الكتاب أصبح من أكثر الكتب الأكاديمية مبيعاً. علاوة على ذلك، ظهر الكتاب نصاً تأسيسياً في نظرية النوع، وتبناه الكثيرون بوصفه كتاباً مهماً لفهم النوع كأداء. وبالرغم من تقديمها مساهمات أخرى في هذا المجال الناشئ، أوضحت باتلر أن مثل هذا الفهم لا يزال يعتبر غير شامل بالمرة، وغير ممثل بشكل صحيح لمقولات الكتاب عند قراءته من دون معرفة صلاته بالهيغلية أو القضايا الأساسية لدراسة علم الظاهرات.

وانضمت باتلر إلى آخرين يتخصصون في دراسة علم الظاهرات ويتناولون المعاني، والعلاقات المتبادلة، وقضايا علم الوجود، مثل المطلق وغير المطلق أو الوجود والعدم، والذات والآخر، والأبيض والأسود في عالم «معاد للأسود». ورأت باتلر ـ

مدفوعة بالاهتمامات النظرية المشابهة ـ أنه في سبيل فهم هذه التعقيدات ـ وبخاصة في ما يتعلق بالأنوثة والذكورة في تشكيل موضوع يقوم أساساً على النوع يجب الاعتماد على فرضيات علم الوجود. وطبقاً لما تورده باتلر، فإن سهولة فهم الموضوع تكون محددة بعوامل السلوكيات والإشارات (Gestures) التي تطلق عليها «التكرارات الأدائية» (Performative Iterations). وفي عملية تحقيق الطريقة التي تنتج من خلالها «القيود» مجالات من سهولة الفهم، مثل تصرف الآخرين كحد أو قيد بالنسبة إلى الذات، تكتب باتلر:

«إن هذا المجال الأخير ليس معارضاً للأول، وبالنسبة إلى النقائض، فإنها ـ فوق كل شيء ـ جزء من الوضوح؛ إن الأخير هو مجال ممنوع وغير مقروء يلازم المجال الأول كطيف لاستحالته، وكحد أقصى للوضوح، لقوامه الخارجي.

ليست التكرارات الأدائية مجرد تصرفات تتم في العالم، وتبدو التكرارات على أنها «تكرار منتظم ومقيد للمعايير» التي تنتج هويات وتمنع أخرى، وتبقي وهم التصنيفات الطبيعية للكائن الحي والسلوك، بما فيه النوع.

يظل استخدام باتلر مصطلح «الأدائية» استخداماً فنياً، يشتق من التمعن الإشاري الدقيق في الصلة بين الكلمات والأشياء أو بين الكلمات والإشارات الأخرى ذات الأساس اللغوي. وهكذا، تؤدي الإشارات (Semiotics) ـ علم الإشارات ـ ونظريات اللغة الأخرى دوراً رئيساً في بناء نموذج مترابط من التشكيل الموضوعي. ويتحقق

الموضوع الفردي بوصفه «فرصة لغوية» تأخذ شكلها من اللغة والإشارات التي يقوم بها الجسد، والأفعال القولية، والعمليات الانعكاسية والسلوك الأدائي الآخر. وهكذا، لا يمكن تجسيد الوظيفة التي تقوم بها الأدائية (Performative) بكلمة الأداء (Peformance). غير أنه من اللافت استدعاء عمل إرفنغ غوفمان حول: تمثيل الذات في الحياة اليومية الذي ركز على أن جوانب الهوية وكيفية تعامل الذات مع هذا الأداء يشكلان وظيفة مهمة جداً في إنتاج «ذات» يمكن تقديمها.

وتذكرنا باتلر دوماً بأن نقص الوجود أو الجوهر لفاعل أو ذات، هو تماماً نقص لوجود «كائن وراء الفعل». وهذه وجهة نظر شائعة في الفلسفة الوجودية: «إن الوجود يسبق الجوهر»، أو «إن الفعل يأتي قبل الكائن». وبالنسبة إلى باتلر، لن يحصل «الكائن» أبداً على التماسك أو الاكتمال أو الجوهر، وإن «الوجود» نشط ومستمر في التكرار. وهكذا، فإنه لن يكون هناك أبداً فاعل أو ذات تقوم بالأداء: تحول التكرارات الأدائية الفاعل إلى كائن. وبالنسبة إلى باتلر، فإن «هذا التكرار لا يقوم به الفاعل، لكن هذا التكرار هو ما يمكّن فاعل ما ويشكل حالة مؤقتة للفاعل». ويلفت التكرار الانتباه إلى الافتقاد إلى تصنيف أصيل أو «طبيعي» أو مثالي، يوجد قبل الظهور أو التكرار.

وتظهر أعمال باتلر حول تكوين هوية الفاعل عبر التكرارات الأدائية الجوانب الأساسية لوجهة نظرها النظرية. وإذا تحتم تكرار بناء أو مثال أو هوية فاعل، فإنه يجب ألا يكون ـ كما ترى باتلر ـ مطلقاً أو مثالياً، لأن الوجود في التكرار، وهو تكرار لا ينتهي. إن التكرار

ضروري. وأخذت باتلر فكرتها الرئيسة من دريدا، وهي الفكرة التي تؤكد أن القدرة المتبادلة تقابل المثال الجوهري البنيوي، مثل انتظار لحظة الوصول. إن تكرار توقع الانتظار هو في مجمله «اللحظة» الموجودة فعلياً. وفي الواقع ، فإن توقع اللحظة التي ننتظرها تكون لحظة: انتظار جودو (مسرحية لبيكيت) أينما كان. إن الافتقاد إلى المثل (Ideals) ـ بصفة عامة ـ يعمل بصورة مشابهة بما فيها مثال النوع. تشكل الهويات التي تتكون عبر التكرار بمرور الوقت ومن خلال الأداءات المتكررة للسمات المبنية اجتماعياً والإشارات والعلامات الملائمة، وتقدم هذه الملاحظة انفتاحاً على فرص الحدوث. وتطلب باتلر أن نلاحظ النتاج المتوقع للاختلاف الناشئ عن أنماط السلوك المطلوبة. وقد تكون مثل هذه الاختلافات والانحرافات هدامة، لكن ليس من الضروري فهمها بوصفها صوراً مقصودة للمقاومة. وبالنسبة إلى باتلر، فإن الأمل الذي يظهر في هذا السيناريو شيء يشبه ما يلي: إذا حدث تبدل أو تغير لتكرارات معينة، فإن الفئة المحددة سلفاً ـ المثال الجلي ـ قد تتبدل أيضاً وتفتح احتمال إشارات وسمات مختلفة، وتسمح بحدوث تغير بمرور الزمن.

تعمل باتلر حالياً أستاذاً للبلاغة والأدب المقارن بجامعة كاليفورنيا في بيركلي، أي أنها تعمل خارج بيتها الأكاديمي (الفلسفة)، وتكتب لجمهور عريض، وكونت لنفسها فضاءات لإعادة التفكير في تاريخ الأفكار وتوسيع المشاهدات حول تجربة الحياة اليومية أيضاً، كما أن لديها مواقع إلكترونية ومقررات جامعية وإشرافاً على رسائل دكتوراه تتناول أفكارها.

انظر أيضاً: ميشيل فوكو؛ إرفنغ غوفمان.

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists*: Alfred Schutz.

■ أهم الأعمال:

Subjects of Desire: Hegelian Reflections in Twentieth-century France (1987). New York: Columbia University Press.

«Foucault and the Paradox of Bodily Inscriptions.» (1989). *Journal of Philosophy*: vol. 86.

Gender Trouble: Feminism and the Subversion of Identity (1990). New York: Routledge. (Thinking Gender)

Bodies that Matter: On the Discursive Limits of «Sex» (1993). New York: Routledge.

The Psychic Life of Power: Theories of Subjection (1997). Stanford, CA: Stanford University Press.

Undoing Gender (2004). New York; London: Routledge.

Giving an Account of Oneself (2005). New York: Fordham University Press.

اقتباسات أخرى موجودة في: Sara Salih (ed.) (2004). *The Judith Butler Reader*. Oxford: Blackwell.

■ قراءات إضافية:

Jacques Derrida (1978). «Structure, Sign, and Play.» in: *Writing and Difference*. Translated, with an introd. and additional notes by Alan Bass. Chicago. IL: University of Chicago Press.

Maurice Natanson (1986). *Anonymity: A Study in the Philosophy of Alfred Schutz*. Bloomington, IN: Indiana University Press (Studies in Phenomenology and Existential Philosophy)

Lewis Gordon (1995). *Bad Faith and Antiblack Racism*. Atlantic Highlands, NJ: Humanities Press.

رولاند بارثز Roland Barthes

كان بارثز ناقداً أدبياً فرنسياً وواضع نظريات ثقافية، يتمتع برؤية شخصية مبدعة، وقام بتطوير أفكار بنيوية حول الكتابة والثقافة الشعبية لأحد أهم الحركات الثقافية في القرن الماضي. وكان إسهامه في علم الاجتماع متعدد الجوانب؛ يمتد من اهتمامه المبدئي بطبيعة اللغة والتمثيل، من خلال تحليل النظم المميزة، مثل الموضة وصولاً إلى تصوراته لما بعد البنيوية في ما يتعلق بالنصية واللذة والذاتية. وبالرغم من وجود توجه لتقسيم عمل بارثز إلى مراحل محددة أو أجزاء (مثل الناقد، واضع النظريات، والكاتب)، إلا أن ذلك يضفي الغموض على بعض المراحل المتواصلة المهمة في فكره وطريقة تحول أسلوبه الأدبي تلقائياً من التأسيسية الجامدة، الشديد الجفاء والمنطقية الجديدة إلى أسلوب دافئ ومرن. وهناك بالطبع تغيرات في اتجاه شخصيته، لكنها تظل تحتفظ بعناصر محورية ثابتة.

وربما كانت أهم توجهاته هي تلك التي ترتبط باللغة، إذ كان له موقف نقدي إزاء قواعد الاتصال، حيث كان يؤكد ضرورة تجاوز

الأضرار التي تنتج من اللغة. ومن البداية، أولى بارثز نفسه مهمة كشف «الإحساس المشترك» البرجوازي، وخلخلة «المسكوت عنه» لإثبات أن ما يبدو مجرد تمثيل تافه للحياة اليومية، إنما يرتبط بعلاقات قوية. وكان هدفه هو «الوضوح المزيف»، ومن ثم كان اعتراضه على الأدب الواقعي على أساس ادعائه تمثيل الواقع من خلال إخفاء علامات الصنعة به. ولا شك في كون هذه ازدواجية غير صحية بالمرة. وأصبحت الواقعية تتسم بالأيديولوجية من خلال قمع الممارسات المميزة للغة عبر الظهور على نحو طبيعي. وتعتبر أهمية العلاقة بين اللغة والثقافة ـ كما تناولها بارثز طوال عمله ـ أحد النماذج المؤثرة لما يسميه الفيلسوف ريتشارد رورتي «التحول اللغوي» في الإنسانيات والعلوم الاجتماعية.

ولد رولاند بارثز في شيربورغ، مانش، عام ١٩١٥ في أسرة بروتستانتية من الطبقة المتوسطة، وبعد مقتل والده ـ ضابط بحري ـ في معركة، عام ١٩١٦، قضى بارثز طفولته مع أمه وجديه في بايون. وفي العام ١٩٢٤ انتقلوا إلى باريس حيث تكسبت والدته قوتها من خلال العمل في تغليف الكتب. وأشارت الكتابات كلها إلى أن بارثز قضى هذه السنوات في فقر مدقع، وهناك عدد قليل من السجلات التي تشير إلى سنوات دراسته في المدرسة، إلا أنه من الواضح أنه كان طالباً نبيهاً، حيث تأهل للمسابقة التي أهلّته للالتحاق بمدرسة نورمال العليا عام ١٩٣٤. غير أن حالته الصحية السيئة في العام نفسه منعته من مواصلة خططه الأكاديمية. وأصيب بارثز في الأعوام ١٩٣٤ ـ

١٩٣٥ و١٩٤٢ ـ ١٩٤٦ بأمراض مختلفة، إلا أن ذلك لم يمنعه ـ خلال فترات تعافيه ـ من مواصلة سعيه للحصول على درجات جامعية في الأدب الكلاسيكي والتراجيديا الإغريقية والنحو والفلسفة، كما كوّن جماعة مسرحية وبدأ في الكتابة وتشكيل جماعة معادية للفاشية. ومع اندلاع الحرب عام ١٩٣٩، تم إعفاء بارثز من الخدمة العسكرية، وتعلم في مدارس مختلفة في بيارتز وباريس. على أي حال، تمكن بارثز خلال سنوات الاحتلال الألماني لفرنسا، اعتباراً من عام ١٩٤١، من قضاء خمسة أعوام في مصحات في جبال الألب، متفرغاً للقراءة، حيث أصبح وجودياً وماركسياً.

وبعد تماثله للشفاء في باريس، شغل بارثز وظائف مختلفة لتدريس الفرنسية في الخارج، حيث بدأ هذا العمل في رومانيا عام ١٩٤٧. ودرس في مصر لمدة عامين، تعرف خلالها على المحاضر ألجردو جريما الذي عرفه باللغويات المعاصرة. وبعد عودته إلى باريس، عام ١٩٥٠، للعمل في وزارة التعليم، حصل على منحة عام ١٩٥٢ لإعداد دراسة متعلقة بمفردات الجدل الاجتماعي في أوائل القرن التاسع عشر. وأنجز القليل من الدراسة، لكنه سرعان ما نشر كتابين حول النقد الأدبي، وهما *Writing Degree Zero* و*Michelet*. وعندما لم يتم تجديد عقده بوصفه باحثاً، عمل لدى أحد الناشرين، فقام بكتابة مقالات بانتظام لصالح *Les Lettres nouvelles*، وقد تم جمعها في مؤلفه *Mythologies*. وفي العام ١٩٥٥، حصل على منحة علمية اجتماعية لدراسة الموضة، ونشرها بعد اثني عشر عاماً بعنوان

The Fashion System. وفي نهاية المنحة العلمية، تم تعيينه في مدرسة براتيك للدراسات العليا عام ١٩٦٠، ثم أصبح مديراً للدراسات عام ١٩٦٢، حيث تخصص في دراسات «علم اجتماع الإشارات والرموز والتمثيلات». وظل بارثز في منصبه حتى انتخابه لكرسي أحد فروع الأدب في كوليج دي فرانس عام ١٩٧٦. ثم مات متأثراً بإصابات خلفها حادث مروري خارج الكلية عام ١٩٨٠.

ذاع صيت بارثز على المستوى الدولي إثر خلاف شهير ـ ذاع في الصحف ـ مع رايموند بيكار السوربوني التقليدي في منتصف الستينيات، وكان بيكار قد هاجم بارثز في كتيب بعنوان *New Criticism or New Fraud?*، وبهذا أصبح بارثز ـ كما يقول كوليه ـ «ممثلاً لكل ما هو راديكالي وغير تقليدي في الدراسات الأدبية». ويمثل موقف بيكار رد المؤسسة الأكاديمية على «علم الأدب» البنائي الذي طبقه بارثز طوال العقد الفائت، والذي فصله في كتابه: *Criticism and Truth*.

وأصر بارثز على وجود مقاربتين لدراسة الأدب الفرنسي، هما: النقد الأكاديمي الموضوعي والنقد التفسيري (الذي سرعان ما تم وصفه بالنقد الجديد)، وقد أسفر النقد الأخير عن تصوراته الفلسفية والأيديولوجية سواء أكانت ماركسية أم قائمة على التحليل النفسي. ومن الجهة الأخرى، فإن النقد الأكاديمي يدعي لنفسه الموضوعية ومعرفة جوهر الأدب من خلال تطبيق أيديولوجية «الشعور المشترك». إضافة إلى ذلك، فإن قيم النقد الأكاديمي تأخذ في

اعتبارها حياة الكاتب والعصر الذي يعيش فيه واستخدامها للتوضيح السببي لملامح النص. وينفصل النقد التفسيري عن هذه الآليات لصالح منطق الأهمية، ولا يتعمق كثيراً في التفاصيل الزائدة الكامنة في النص (مثل مصادر المؤلف) التي يمكن تقييمها بكل بساطة من خلال الاختبارات الجامعية. وبدلاً من ذلك، يرتبط التفسير بدراسة العمل الشاملة، بهدف كشف العلاقات الداخلية القائمة بين الموضوع والمجاز والبناء. ونتج مما يطلق عليه أحياناً «النقد الجديد» ـ الذي كان بارثز هو المتحدث الرئيس باسمه ـ «ثورة كوبرنيكية» في النقد الأدبي، من خلال إزاحة المؤلف عن بؤرة الاهتمام العلمي.

وكما يقر الكثيرون حالياً، كان هذا الشجار تعبيراً عن نزاع أوسع نطاقاً في الحياة الثقافية الفرنسية بين نوعين من الأكاديميين: مؤسسة بيكار القديمة والمحافظة، وراديكالية بارثز الحديثة والهامشية، ولم يكن هناك غموض بشأن أي طرف سيتبع في الستينيات، وتم وضع الفروق الواضحة بينهما بكل يسر. غير أن القضايا التي فرضها النزاع لم تحل أبداً، وظلت تشكل محوراً لنزاعات كثيرة، ومع هذا فإن هذا الخلاف جعل من بارثز مدافعاً محورياً عن منهج التحليل البنيوي الذي كان مكتسحاً ما عداه في الفكر الفرنسي لفترة زمنية. وكانت أحد الملامح المميزة لهذه الحركة هي الأهمية الممنوحة للغة في الممارسات الاجتماعية قيد التناول.

واتخذ «التحول اللغوي» عدة اتجاهات، لكن كانت له جذوره في اللغويات البنيوية لفرديناند دي سوسير، وفي النقد الأدبي الروسي الأكاديمي، مثل أعمال أوسيب بريك ورومان جاكوبسون

وفيكتور شكلوفسكي. وظهر الأكاديميون قبل الثورة البلشفية عام ١٩١٧، وبرز عملهم في العشرينيات، غير أن ستالين أسكتهم تماماً. وكان ابتكارهم هو النظر إلى اللغة الأدبية بوصفها مجموعة من التحريفات المنتظمة في استخدام اللغة التي تحاكي اللغة اليومية. وبناء على ذلك، قلّل الأكاديميون من قدر دراسة المحتوى الأدبي لتعميق بناءات الشكل الأدبي. أما مفهوم سوسير للغة، فإنه يتأثر بشدة بهذا الفهم للمعنى الثقافي والتطورات التالية له في البنيوية.

درس اللغويون، قبل سوسير، كيفية تطور اللغات عبر الزمن. وبالنسبة إلى سوسير، فإن هذا المنحى التاريخي لا يمكنه تفسير كيفية اكتساب الأشياء معانيها أو وظيفتها في العالم. ورأى أن اللغة لا يمكن فهمها إلا بشكل مترابط من خلال فحص العلاقات بين الأجزاء المختلفة، مثل نظام «التزامن». وأكد أن المعنى ينتج من نظام اختلافات هيكلية في اللغة. إن النتائج الملموسة من القواعد المحدودة هي التي تنظم اللغة، مقارنة بعدد غير محدد من القواعد التي يستخدمها الأفراد في أفعالهم الكلامية. ويرى سوسير أن لعلم الإشارات (Semiology) تطبيقات واسعة، لكنه كان سيدهش لرؤية حجم انتشار أفكاره بعد وفاته.

وكانت أعمال كلود ليفي ـ شتراوس هي التي منحت البنيوية زخماً، إذ تناولت علاقات القرابة، وممارسات الطبخ والقصص الخرافية بوصفها تراكيب لغوية، وتوصلت إلى أن العقل الإنساني يعمل على تقليل البيانات بنوع من الترتيب. كما أن الفيلسوف والماركسي لويس ألتوسير قد عرّف لغة الرأسمالية، حيث نظر إلى المجتمعات الرأسمالية الفردية بوصفها ذات أفعال قولية خاصة، بينما

أكد جاك لاكان، وهو محلل نفسي بارز، أن اللاوعي له بناء كاللغة تماماً. كما ادعى ميشيل فوكو أنه قد توصل إلى القوانين البنائية التي تحكم التفكير في مجال معين ، في كتابه *The Order of Things*.

وبالرغم من وجود اختلافات رئيسة بين هؤلاء المفكرين، إلا أن البنيوية تبدو بالنسبة إلى القراء الأنكلو ـ أمريكيين بوصفها حركة ثقافية واحدة، خرجت من فرنسا. وفي هذا السياق، طور بارثز علم الإشارات إلى دراسة أنواع نظام الإشارات كلها، من أجل وصف البناءات الأساسية لمجموعة من الأنشطة الإنسانية. وسينأى بنفسه بعدئذ ـ تماماً كما فعل العديد من الشخصيات الرئيسة الأخرى ـ عن البنيوية، وإن كان هناك جزء مما سيسمى «ما بعد البنيوية» ما زال حاضراً في هذه الكتابات المبكرة.

كان طموح بارثز الواضح، لفترة من الزمن، تأسيس «علم أدب» بنيوي، في جهد لتمييز المقاربة عن النقد الأكاديمي القائم على التمييز الواضح والفهم الأيديولوجي «للموضوعية»، و«الذوق الحسن». ووضع ذلك في كتابه الواسع الانتشار *Mythologies* الذي يتضمن مجموعة من الدراسات القصيرة حول الجوانب المختلفة للثقافة الشعبية، وكذا تحديد مفاهيم علم الإشارات (مثل العلامة، المميز، والمتميز) التي يقوم عليها تحليله. وكان الهدف هو إظهار كيف أن الصور والنصوص تحتوي على قوانين وممارسات متشابكة (معقدة)، تثير العقائد التي تعمل على ترجمة قيم محددة (غالباً قيم برجوازية) مثل الطبيعية والكونية والخالدة. وهناك مثال جيد على ذلك المنهج، يوجد في مناقشته بعنوان «The Writer in Holiday»:

«لكي يظهر الكاتب للعامة بمظهر جيد فإنه يود أن يشرب النبيذ الأبيض ويأكل اللحم غير الناضج، وهو الأمر الذي يبدو أكثر أهمية من إنتاجه الفني. وبعيداً عن تفاصيل حياته اليومية التي تجعله أكثر اقتراباً ووضوحاً بالنسبة إلي، فإن حالته الفردية هي التي تمنح الكاتب مثل هذه الثقة. ولا يسعني أن أعزو وجود بعض هؤلاء، إلا الى شيء إنساني عظيم، عندما يرتدون بيجاما زرقاء في اللحظة ذاتها التي يعبرون فيها عن أنفسهم بوصفهم ضمير العالم».

ما يظهره بارثز هنا ـ على أحد المستويات ـ هو كيف يراكم الواثق من نفسه الحقائق الصغيرة لمجرد إعلاء شأن «إنسان الأدب الأعظم» (The Great Man of Literature).

ومن اللافت أيضاً كيف أن مثل هذه القطعة تفصح عن الموضوعات التي سيطورها بارثز خلال نزاعه مع نقد الأدب الأكاديمي ـ الذي أدانه لاحقاً من خلال إعلانه الشهير عن «وفاة الكاتب». وقبل ذلك، فإنه قدم تناولاً بخصوص علم الإشارات في مؤلفه *The Elements of Semiology*، أعاد فيه تحديد فهمه العلاقة بين المعبر والمعبر عنه والأسطورة، من خلال وضع تمييز واضح بين الدلالة (بالمعني الحرفي) والمضمون (بالمعني الثقافي) في نظم التمييز. وكانت دراسته النافذة التأثير «مقدمة للتحليل البنائي للرواية»، التي نشرت عام ١٩٦٦ وتضمنت مجموعة مقالات نصية حول الصورة الموسيقية، قد قدمت مبادئ لتصنيف أنماط الرواية المتعددة في العالم، ولكن بعدها بفترة وجيزة، انتقل بارثز من رؤيته العمل الأدبي بوصفه هوية مغلقة

ذات معانٍ واضحة وقواعد عامة، يمكن أن ينتهجها الناقد حتى بلوغ رؤية النص، بوصفه يمتلك تنوعاً في المعاني التي لا يمكن خفضها لتصبح معنى «ثيولوجياً ـ دينياً» واحداً رئيساً أو جوهرياً («رسالة» الكاتب ـ الله)، وإنما لتصبح مساحة متعددة الأبعاد، يمكن أن تتصادم وتتمازج فيها أنواع مختلفة من الكتابات التي لا يكون أي منها أصيلاً».

ويتضح التحول في الاتجاه على نحو ما من خلال التطورات النظرية الأخرى، وبخاصة عمل جاك دريدا لتفكيك قواعد البنيوية الثابتة، وتصميمه على أن المعنى المتكرر باستمرار يكون ذا تأثير واضح. أما مفهوم جوليا كريستيفا حول التداخل النصي، فإنه يجعل الكاتب مجهولاً، ويظهر أن النص مشتق ويرجع إلى نصوص أخرى سابقة، وقد أثرت في نظرية بارثز ما بعد البنيوية. أما تحليل بارثز الأكثر طموحاً في هذه الحال، فهو التعليق المضني على قصة بلزاك القصيرة «Sarrasine»، حيث يقسم النص إلى وحدات صغيرة لتوضيح كيف أنها تحمل العديد من المعاني المختلفة في آن واحد.

وبالفعل، إن القضايا التي تم تناولها في هذا الصدد (قصة بلزاك) تشكل عمله التالي الذي تناول المتعة الناجمة عن النص وذاتية القارئ الشخصية. ووردت هذه الموضوعات في ثلاثة كتب، صدرت قبل وفاته، وهي **السيرة الذاتية لرولاند بارثز بقلمه**، و *A Lover's Discourse*، و *Camera Lucida*. وانتقلت هذه الكتب الثلاثة الأخيرة إلى مرحلة أكثر ابتعاداً عن النقد التقليدي إلى تحدي التمييزات المتعارف عليها بين الناقد والمبدع، والحقيقة والخيال، والأدب واللغة. إضافة إلى ذلك، تبتعد سيرته الذاتية تماماً عن انتهاج

منهج تقليدي، بترتيبها ترتيباً أبجدياً بدلاً من ترتيبها زمنياً. ولن يدهشنا معرفة أنه قد راجعها وتوصل إلى أن الكاتب «لم يكن قادراً إلا على قول شيء واحد، وهو أنه كان الشخص الوحيد غير القادر على أن يتحدث عن نفسه بأمانة».

ولا يُعد تقييم مثل هذا الجهد مهمة يسيرة، ومن الواضح أن بارثز قد أثر في أتباعه من خلال بحثه الدؤوب عن مواقف جديدة وقابلة للاقتداء بها. ومع هذا، يعتبر عمله المبكر من بين مؤسسي الدراسات الثقافية، ويظل اهتمامه بالدور المتآكل للعقيدة في المجتمع الحديث مهماً. وبالرغم من أن بارثز قد عرض علم الإشارات الذي تبناه منهجاً علمياً، إلا أنه لم يتم تحويله إلى الواقع الممارس. ولم يوضح سبب تفضيله لمنهج علم الإشارات أكثر من المناهج الأخرى، وهو ما مثّل مأزقاً حقيقياً، لأن عمله الأخير يؤكد تعددية المعاني.

وهناك ميل وزعم آخر متعلق بهذا المنهج، هو اختزال ظاهرة ثقافية إلى بنى تحتية أساسية، الأمر الذي أبقاه في تعقيدات سطحية. ومن الصعب أحياناً، عدم التشارك مع رؤية بيكار في كون أغلب ما يتم عرضه له أولوية علمية، أهم مما هو خفي (غائب). وبالفعل، عندما أقرأ بارثز، فإنني أولع أكثر بالأسلوب السطحي (Surface Arguments) لمقولاته، مقارنة بمحاولاته اختصار المعنى إلى صيغ مجردة (كما في عناصر علم الإشارات). إن الطبيعة المرنة لكتاباته الأخيرة التي أصبحت معنية أكثر بالرغبة، واللذة، والذاتية، قد استعملت مسبقاً بعض الموضوعات التي استكشفها أنصار ما بعد الحداثة والتيار النسوي. إن هذا العمل، المرفوض من قبل البعض

باعتباره انغماساً ذاتياً، يقدم فهماً دقيقاً للذات المتجزئة التي فات موعد تقييمها الاجتماعي.

انظر أيضاً: لويس ألتوسير؛ ميشيل فوكو؛ كلود ليفي - شتراوس.

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists*: Emile Durkheim, Ferdinand de Saussure

■ أهم الأعمال:

Writing Degree Zero (1953). New York: Hill and Wang.

Michelet (1954). New York: Hill and Wang.

Mythologies (1957). London: Village.

Elements of Semiology (1964). New York: Hill and Wang.

Criticism and Truth (1966). London: Athlone Press.

The Fashion System (1967). London: Jonathan Cape, 1985.

S/Z (1970). London: Jonathan Cape.

Roland Barthes (1975). London: Macmillan.

Image, Music, Text (1977). Essays selected and translated [from the French] by Stephen Heath. London: Fontana. (Fontana Communications Series)

A Lover's Discourse: Fragments (1977). London: Jonathan Cape.

Camera Lucida: Reflections on Photography (1980). London: Fontana.

وهناك اقتباسات من أعماله موجودة في: Susan Sontag (ed.) (1982). *A Barthes Reader*. New York: Hill and Wang.

■ قراءات إضافية:

Jonathan Culler (1983). *Roland Barthes*. London: Fontana.

Louis-Jean Calvet (1994). *Roland Barthes: A Biography*. Cambridge: Polity Press.

Rick Rylance (1994). *Roland Barthes*. London: Harvester Wheatsheaf

Graham Allen (2003). *Roland Barthes*. London: Routledge.

تالكوت بارسونز Talcott Parsons

على الرغم من شهرة بارسونز بأسلوبه الصعب الفهم، وبسكه مصطلحات متخصصة للغاية، يصعب على غير المتخصصين فهمها، فقد أصبح أحد أكثر علماء الاجتماع نفوذاً من بين أبناء جيله. وظلت أفكاره تلهم الكثير من المنظرين الآخرين. ويعكس أسلوب بارسونز في الكتابة حقيقة أنه كان من أوائل من حاولوا نقل النظرية الاجتماعية إلى مستوى أكثر تحليلية من التنظير العام والأعلى رسمية. وتطلبت هذه الاستراتيجية استخداماً أكثر ثراء للمفاهيم في ما يصعب التعبير عنه ببساطة لغة الحياة اليومية، نظراً إلى مستواها في التجريد. وفي هذه الأيام، أصبح التنظير الرسمي والمجرد أكثر شيوعاً، ولم تعد لغة بارسونز تظهر بهذه الكثافة والتخصصية، وبصورة خاصة عندما نقارنها بلغة بعض المنظرين الفرنسيين والألمان الذين عملوا في إطار تعقب أفكاره. ويعتبر التحول الحالي نحو أفكار بارسونز مفاجأة سارة للسهولة النسبية التي يمكن بها فهم أفكاره الأساسية.

ولد تالكوت بارسونز في كولورادو عام ١٩٠٢، لأحد رجال الدين الذي أصبح مسؤولاً عن كلية صغيرة في أوهايو. خطط بارسونز لدراسة علم الأحياء أو الطب، فذهب إلى كلية أمهرست في ماساشستس للبدء في الحصول على درجته، وفي أمهرست أصبح مهتماً بالاقتصاد وعلم الاجتماع وحول اهتماماته الأكاديمية إلى هذا الاتجاه. أصبح بارسونز من خلال قراءاته سومر، وكولي، ودوركهايم، وفبلن، مولعاً بقضية العلاقة بين الاقتصاد وعلم الاجتماع والقضية الشاملة للتحول المؤسسي للعلاقات الاقتصادية في السياق الاجتماعي الأوسع. وبعد تخرجه في أمهرست، انتهز فرصة الدراسة في أوروبا وقضى عام ١٩٢٤ ـ ١٩٢٥ في مدرسة لندن للاقتصاد دارساً مع ليونارد هوبهاوس وعالم الأنثربولوجيا برونسلاو مالينوفسكي، وانتقل للدراسة في هيدلبرغ حيث كان تأثره بماكس فيبر لا يزال قوياً، وأصبحت رؤية فيبر لعلم اجتماع الاقتصاد ذات تأثير بالغ في فكر بارسونز. كانت النظرية الاجتماعية الأوروبية ـ وبخاصة تلك التي تخص كل من فيبر ودوركهايم ـ قد أصبحت محور اهتمامه الرئيس، ورأى أن يعمل من خلال تطبيقات أفكارهما في أطروحته للدكتوراه. وفي العام ١٩٢٧، حصل على وظيفة في جامعة هارفرد في القسم الذي يرأسه بيتيريم سوروكين، وبدأ العمل في دراسته الرئيسة التي حملت عنوان *The Structure of Social Action*، والذي نشر بعد ذلك بعشرة أعوام.

كانت مقولة بناء العمل الاجتماعي تقوم على القول إن أعمال علماء الاجتماع المعياريين قد وضعت الأسس لقسم جديد في

النظرية الاجتماعية. واعتبر كل من فيبر ودوركهايم، بجانب فلفردو وباريتو والاقتصادي ألفرد مارشال، أهم ممثلي الاتجاه المعياري في علم الاجتماع والقائمين ـ من عدة أوجه ـ على وضع أسلوب جديد ومتطور للنظرية الاجتماعية. وكانوا قد قاموا، كلاً بأسلوبه المختلف، بتسوية «مشكلة النظام لدى هوبس» التي اعتبرها بارسونز موروثة في نظريات النزعة الفردية للفعل الذاتي للنوع (Self-Interested Action of the Kind) الذي تمت دراسته في الاقتصاد. ويرون أنه لا يمكن تجنب الصراع والفوضى إلا بتقييد ممارسة المصلحة الفردية بإطار أخلاقي من القيم الثقافية المشتركة. وأظهر كل من دوركهايم وفيبر ـ على وجه الخصوص ـ أن هذه القيم المعنوية ـ وهي دينية في الأصل بصورة كبيرة ـ تعتبر عناصر رئيسة لتحقيق النظام الاجتماعي. ويتشارك الأفراد اجتماعياً في نظم من القيم الثقافية وبناء من الطموحات المعيارية التي تكونت في صورة مؤسسات اجتماعية، ينظم من خلالها العمل الفردي.

رأى بارسونز أن مهمته تكمن في تفصيل هذا البناء النظري الناشئ، ومواصلة تجميع ما كان قد أصبح ظاهراً في أعمالهم الفردية. ووصف النظرية الاجتماعية الجديدة على أنها النظرية «ذات النزعة الطوعية» (Voluntaristic) للعمل. وما قصده بارسونز بذلك هو أن الفاعلين الأفراد ليسوا مرتبطين في أفعالهم بالظروف المادية أو تحولهم الاجتماعي، أي أنهم يقومون بالاختيار بين البدائل المتاحة أمامهم، ويجب أن ينظر إليهم على أنهم يقومون بالأفعال طواعية. إن الاختيارات الذاتية التي يقوم بها الأفراد تقوم على القيم التي أصبحت

لديهم خلال تحولهم الاجتماعي، لكنها ليست محددة بها. ويرتبط العمل الطوعي بالاختيارات بين غايات أو أهداف بديلة، واستخدام وسائل لتحقيق هذه الأهداف الملائمة في ما يتعلق بالظروف التي يجد الأفراد أنفسهم في محيطها، والقيم الأخلاقية التي يلتزمون بها.

وفصلت هذه الأفكار في تناول للنظرية الاجتماعية التي وضعت مفهوم «النظام الاجتماعي» في بؤرة اهتمامها، وكانت فكرة «النظام الاجتماعي» قد فصلها عالم الطبيعة في هارفرد لورانس هندرسون الذي اعتمد بقوة على أفكار باريتو، كما كان متأثراً بالأعمال المبكرة لأشخاص مثل جورج هومانز. ووفقاً لوجهة النظر هذه، فإن أفعال الأفراد والمجموعات مترابطة معاً بالمؤسسات والبناءات الأخرى المتكونة من خلال أفعالهم، ومن ثم، فإنه يمكن تحليلها في ضوء العلاقات النظامية بين هذه العناصر. وبدأ بارسونز عقب نشر كتابه *The Structure of Social Action*، في تطوير هذه الفكرة في مجموعة مقالات وضع فيها منهجاً بحثياً لما أطلق عليه «الوظيفية البنائية».

نظر بارسونز إلى الوظيفية البنائية على أنها تقريب أول للنظرية العامة الحقيقية للنظم الاجتماعية. ورأى أنه في مرحلة بلوغ الفهم السوسيولوجي، فإنه سيكون من الأفضل التوجه مباشرة نحو نظرية عامة ـ يمكن أن تكون رياضية ـ للنظام الاجتماعي. قدم العديد من الفرضيات المبسطة بما يسمح ببناء نموذج واقعي، وإن كان مصغراً. وهدف التحليل الوظيفي البنائي هو تحديد «أجزاء» بنائية بعينها

للنظام الاجتماعي (مثل الأدوار والمؤسسات الاجتماعية) التي لها «أهمية وظيفية» بالنسبة إلى النظام. وترتبط الأهمية الوظيفية نفسها بمشكلتين متمايزتين: العلاقة بين النظام وبيئته (واصطلح على تسميته «بالتكيف») والصلات المتبادلة بين أجزاء النظام في حد ذاته (واصطلح على تسميته «بالتكامل»). وهكذا، فإنه يمكن تصنيف الأدوار والمؤسسات وفقاً لأهميتها التكيفية أو التكاملية بالنسبة إلى النظام، وإن أفضل وصف لأي نظام ينطلق بداهة من أبنيته التكيفية والتكاملية. يرى بارسونز وجوب أن تكون جميع العمليات داخل النظام إما مساهمة في إنتاج وتنميط تطور النظام أو أن تكون «مفشلة» (Dysfunctional) له. إن العنصر الديناميكي في التحليل الوظيفي ـ البنائي يشكله التحول الاجتماعي للأفراد إلى أنماط دافعية، تسمح لهم بإعادة إنتاج البناءات الاجتماعية. وينتج الانقطاع وعدم النظام من «فشل» هذا التحول الاجتماعي.

طور بارسونز هذا النموذج في أشهر أعماله *The Structure of Social Action*. في هذا العمل، الذي اشتهر بأنه أصعب أعماله، بوضع مجموعة معقدة من الفئات التحليلية لتحليل العمل والتفاعل والبناء الاجتماعي. وكانت جميع العناصر والأجزاء البنائية المتنوعة مترابطة نظامياً بوظيفتي التكيف والتكامل، بالرغم من أن بارسونز بدأ في الانتقال بعيداً عن هذا، متجهاً نحو نظرية أكثر تعقيداً، تعتمد على أربع وظائف. وقام بهذه الخطوة بإدخال ما أطلق عليه «المتغيرات النمطية» (Pattern Variables). كانت هناك تصنيفات تحليلية لوصف العناصر المرتبطة باختيارات العمل الفردية. ويمكن

تحليل القيم والدوافع، ومن ثم الأدوار والمؤسسات، وفقاً لمجموعة محددة من التصنيفات التي تعرف الأطر التي يمكن التنوع في داخلها. وحدد بارسونز، معتمداً في ذلك على مقولات كتاب مثل فيبر وتونيس (Tonnies) حول التباين بين التقليدية والعقلانية، عدداً من ثنائيات المتغيرات النمطية: التأثرية ـ الحيادية، والخصوصية ـ العمومية، والتبرير ـ الإنجاز، والغموض ـ الدقة. ويرتبط الجزء **الأول** من كل من هذه الثنائيات بالقطب التقليدي أو «العاطفي»، وهي مرتبطة أساساً بأدوار ومؤسسات تكاملية محددة. ومن جهة أخرى، يرتبط الجزء الثاني من كل من هذه الثنائيات بالقطب العقلاني وبأدوار ومؤسسات تكيفية محددة أساساً. وبينما تعتبر مناقشة بارسونز المجردة هذه الأفكار معقدة للغاية، فإنه صور هذا الاستخدام في دراسة شهيرة ومؤثرة لعلاقات المريض ـ الطبيب ودور المرض.

أصبح بارسونز بتطويره كتاباته عن المتغيرات النمطية مدركاً بأنه لا يمكن ربطهم جميعاً بطريقة بسيطة. وبدلاً من مجرد ربط مجموعتين من المتغيرات (التكيفية والتكاملية) فإنه بدأ في تحديد أربع ثنائيات، وترتبط هذه الخطوة بالمشكلات الوظيفية التي وصفها بالتكيف وتحقيق الهدف والتكامل والحفاظ على النمط القائم. وفصلت هذه الصياغة المفهومية الجديدة للنظام الاجتماعي في مجلدين من أوراق العمل وفي دراسة شاملة كتبها نيل سملسر التي عادت إلى تحليله العلاقة بين الاقتصاد والمجتمع. طور بارسونز في هذه الكتب أشكاله التوضيحية للنظام الاجتماعي التي يشار فيها إلى كل «نظام فرعي» وظيفي بصندوق داخل صندوق أكبر (انظر الشكل الرقم (١)).

الشكل الرقم (١)

نظرية الوظائف الأربع

G تحقيق الهدف	A التكيف
I التكامل	L الكمون

يمكن التميز بين العمليات الاجتماعية تحليلياً وفقاً للمشكلة الوظيفية المحددة التي تعنى بها هذه العمليات أساساً. وتظهر الأبنية الاجتماعية للمجتمع التوجه المستمر بمرور الوقت للاختلاف مع التوجهات الوظيفية، أي أنها تتجه لأن تصبح متخصصة وظيفياً. وهكذا، ينظر إلى الأنشطة الاقتصادية على أنها تختلف عن المجتمع الأكبر، لأنها تصبح منتظمة في أدوار ومنظمات ومؤسسات تتعامل مع الشؤون التكيفية. ومن جهة أخرى، فإن الأنشطة السياسية هي تلك العناصر البنائية التي ستصبح متخصصة في قضايا تحقيق الهدف. يتكون قلب أي مجتمع من ملامحه «الجماعية» التي ترتبط بالقضايا التكاملية، وهي القضايا الأقل عرضة للاختلاف في المجتمعات الأكثر بساطة. ولا تعمل هذه القضايا إلا في المجتمعات الحديثة التي تصبح عرضة للاختلافات البنائية، وهو ما ينتج منه اختلاف نسبي للمؤسسات المتعلقة بالقرابة والقانون والتقسيم الاجتماعي من المؤسسات الاجتماعية الأخرى. وتظل الأنشطة المتعلقة بالحفاظ على النمط القائم خلال التحول الاجتماعي إلى قيم اجتماعية مشتركة هي القضية الأكثر غموضاً على الإطلاق، على

الرغم من أن المؤسسات الدينية كانت شكلاً مبكراً من الاختلاف البنائي حول هذه المشكلة.

وكان من أهم ملامح أعمال بارسونز أنه رأى أن هذه العمليات الوظيفية تتحقق على عدة مستويات متباينة. كما نظر إلى النظم الاجتماعية على أنها أحد أنواع العناصر في نظم العمل الأكبر التي نظر إليها، في المقابل، على أنها تختلف وتصبح نظماً شخصية وثقافية، ونظماً اجتماعية أيضاً. وهكذا، اعتبر علم النفس وعلم الاجتماع والأنثربولوجيا (علوم الثقافة) تخصصات علمية أكاديمية، تركز على مشكلات وظيفية محددة من العمل الإنساني. وأصبح هذا المنطق أساساً لإعادة تنظيم تدريس العلوم الاجتماعية في هارفرد خلال الخمسينيات، لأن بارسونز ـ بصفته رئيساً للقسم ـ قام بإنشاء قسم العلاقات الاجتماعية الذي يتناول هذه التخصصات العلمية المترابطة معاً.

بدأ بارسونز يشعر خلال الستينيات أنه من الممكن أن يتحرك متجاوزاً الوظيفية البنائية إلى منهج بحثي أكثر عمومية وتحليلية، كان قد أخذه في اعتباره في أعماله المبكرة. وكان ملهمه في دفع مشروعه الفكري إلى الأمام هو تطور نظرية النظام العام. بدأ بارسونز عمله انطلاقاً من نظامه ذي الأربع وظائف، وحاول تطوير نماذج ديناميكية لـ«التبادل المشترك» بين النظم الفرعية. ووفقاً لهذا النموذج، يعمل كل نظام فرعي وفقاً «لوسيط تبادل» خاص، ويولد «مخارج» تخدم «كمداخل» لنظم فرعية أخرى. ومن هنا، ترتبط النظم الفرعية

الأربعة بسلسلة من «التبادلات المشتركة المزدوجة» التي يمكن من خلالها تبادل المداخل والمخارج. على سبيل المثال، ينتظم الاقتصاد حول المال باعتباره وسيطاً للتبادل، منتجاً للسلع والخدمات التي تحتاجها النظم الفرعية الأخرى. ومن جهة أخرى، ينتظم النظام السياسي حول «السلطة» وينتج الحشد والدعم المطلوبين لتحقيق الهدف المجتمعي ومتابعة تحقيق الأنشطة الاجتماعية الأخرى. أصبح تحليل «وسائل الإعلام المعممة» جزءاً محورياً من أعمال بارسونز في الستينيات والسبعينيات، لأنه اتخذ من المال نموذجاً لهذه الوسائل، كالسلطة والنفوذ (أو المكانة) والالتزامات، وتناول القواعد الثقافية التي يبنى من خلالها كل وسيط، والأدوار والمنظمات والمؤسسات المرتبطة بتوليده، وتراكمه، وتوزيعه.

أصبح هذا التحليل للتبادل المشترك بين النظم الفرعية أساساً أعاد بناء عليه تشكيل نموذجه لنظام العمل لتوكيد الصلات الموقتة المرتبطة ببناء العمل الاجتماعي. ورأى أن هناك «تراتبية مقارنة» تكون النظم الفرعية شديدة «المعلوماتية» وفقاً لها قادرة على توجيه وضبط تطور النظام الكلي من خلال تشكيل الاختيارات القيمية والأنماط الذاتية للدافع. ومن جهة أخرى، تكون النظم الفرعية ذات «الطاقة» الكبيرة قادرة على تحديد أو تهيئة هذا التطور من خلال إتاحة الموارد وتوزيعها. ومن هنا، فإن التطور الكلي لأي نظام عمل عبارة عن ناتج لعاملي الضبط والتهيئة.

دفعت مبالغة بارسونز في التعميم والتجريد الكثيرين إلى رفض أسلوبه كله، كما أن توكيده التحول الاجتماعي والقيم المشتركة

والنظام الاجتماعي اعتبر دائماً نوعاً من المحافظة الاجتماعية (Social Conservatism) وفشلاً في الاعتراف بأهمية الصراع الاجتماعي والمقاومة المنظمة. وكان هناك بلا شك درجة ما من الحقيقة في هذه الانتقادات، كما اكتسح أعمال بارسونز المزيد من الأعمال الراديكالية خلال الستينيات والسبعينيات. غير أنه أعيد تقييم تطبيقات مقولاته، منذ وفاته عام ١٩٧٩، وأخذت في الاعتبار في أعمال الوظيفيين الجدد، مثل جيفري ألكسندر ومنظري النظام، مثل نيكلاس لوهمان.

انظر أيضاً: **ديفيد لوكوود؛ نيكلاس لوهمان؛ روبرت ميرتون.**

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists:* Emile Durkheim, Bronislaw Malinowski, Vilfredo Pareto, Max Weber.

■ **أهم الأعمال:**

The Structure of Social Action; a Study in Social Theory with Special Reference to a Group of Recent European Writers (1937). New York: McGraw Hill. (McGraw-Hill Publications in Sociology)

The Social System (1951). New York: Free Press.

Towards a General Theory of Action (1951). With Edward Sbus. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Working Papers in the Theory of Action (1953). With Robert F. Bales and Edward Sbus. New York: Free Press.

Essays in Sociological Theory: (Essays of 1938-53) (1954). Revised ed. New York: Free Press.

Family, Socialization and Interaction Process (1956). With Robert F. Bales. London: Routledge and Kegan Paul.

Economy and Society (1956). With Neil J. Smelser. New York: Free Press.

Structure and Process in Modern Society: (Essays of 1956-59) (1960). New York: Free Press.

Social Structure and Personality: (Essays of 1952-63) (1964). New York: Free Press.

Societies: Evolutionary and Comparative Perspectives (1966). Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall.

Sociological Theory and Modem Society: (Essays of 1959-65) (1967). New York: Free Press.

Politics and Social Structure: (Essays of 1942-68) (1969). New York: Free Press.

The System of Modern Societies (1971). Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall.

The American University (1973). With Gerald M. Platt. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Social Systems and the Evolution of Action Theory: (Essays of 1968-75) (1977). New York: Free Press.

Action Theory and the Human Condition: (Essays of 1968-76) (1978). New York: Free Press.

The Early Essays: (Essays of 1928-37) (2001). Edited and with an introduction by Charles Camic. Chicago, IL: University of Chicago Press. (Heritage of Sociology)

■ قراءات إضافية:

Peter Hamilton (1983). *Talcott Parsons*. London: Routledge.

Roland Robertson and Bryan S. Turner (eds.) (1991). *Talcott Parsons: Theorist of Modernity*. London: Sage. (Theory, Culture and Society)

Uta Gerhardt (2002). *Talcott Parsons: An Intellectual Biography*. Cambridge, UK; New York: Cambridge University Press.

زيغمونت باومان Zygmunt Bauman

امتهن زيغمونت باومان علم الاجتماع التخيلي ببراعة، فعهد إلى نفسه بمهمة تزويد القراء بخريطة فكرية وبوصلة أخلاقية للتعامل مع آخر مراحل الحداثة التي انتهى فيها إيمان المرء بالوعود الكبرى التي أطلقها السياسيون «بالتقدم» والتحسن العالمي. وكانت هذه المرحلة ـ التي يطلق عليها أحياناً اسم ما بعد الحداثة ـ إحدى أكثر المراحل إثارة للقلق بخصوص الذات والمجتمع. وفي محاولاته لتحليل هذه الحالة، اعتمد باومان على العديد من الكتابات السابقة بما فيها الأنثربولوجيا البنائية الفرنسية ومدرسة فرانكفورت للنظرية النقدية، من أدورنو حتى هابرماس، والماركسية الثورية لكل من غرامشي ولوكاش، وراديكالية علماء الاجتماع الأمريكيين، أمثال س. رايت ميلز.

ولد باومان في بولندا عام ١٩٢٥، وانتقل إلى الاتحاد السوفياتي عند بداية الحرب العالمية الثانية وعمره أربعة عشر عاماً.

وعندما بلغ الثامنة عشرة عاماً، كان يحارب في صفوف الفرقة البولندية في الجيش الأحمر ضد جيش هتلر. وبعد عودته إلى بولندا بعد الحرب، عمل باومان ضابطاً سياسياً في الجيش البولندي خلال أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات، وفي العام ١٩٤٨ تزوج جانينا لوينسون. أقيل من منصبه خلال حملة تطهير ضد اليهود عام ١٩٥٣، وأصبح بعدئذ مفكراً، يدعو للتصحيح ومدرساً في جامعة وارسو. قرر عام ١٩٦٨ الهجرة إلى الغرب، عقب حملة أخرى قادها النظام ضد اليهود، حيث اتهم باومان خلالها بأنه عدو الشعب.

وبدأ باومان منذ العام ١٩٦٨ مرحلته المهنية الثالثة، ولكن هذه المرة في الغرب. وكان بحلول العام ١٩٧١ أستاذاً لعلم الاجتماع في جامعة ليدز. نشر خمسة كتب خلال السبعينيات وأربعة خلال الثمانينيات، ونشر الكثير جداً منها إثر تقاعده رسمياً عام ١٩٩٠. وحصل باومان على جائزة أمالفي عن كتابه *Modernity and Holocaust* (١٩٨٩) الذي ركز فيه على توجه البيروقراطيات الحديثة نحو تحييد الحساسية الأخلاقية لدى من يعملون فيها، والسماح بإجراءات صارمة ضد مجموعات «لا تلائم» المخططات الاجتماعية والسياسية لمن يحكمون.

اتجه باومان نحو فكر ما بعد الحداثة في منتصف الثمانينيات، ومنذ ذلك الحين كان أحد اهتماماته كشف طبيعة موطن ما بعد الحداثة، حيث مقدر لنا أن نعيش. ويشغل هذا الموطن، من وجهة نظره، غرباء بلا جذور، ضلوا الطريق نتيجة أحمالهم الثقيلة من

الشك والازدواجية. ورسالة باومان لرجال ونساء ما بعد الحداثة هي كما يلي: اقبلوا مسؤولية القيام باختياراتكم في الحياة من دون توجيه آخر سوى ما تحكمون به، وسوى شعوركم بما هو «صواب». ويصاحب ذلك قوله: انظروا داخل أنفسكم لتعلموا كيف تعاملون الآخرين والتصرف إزاءهم. ويؤكد باومان أن حاجتنا إلى التعبير عن اهتمام وتحديد أخلاقيين مع احتياجات الآخر يعوقها في ظل الحداثة كل من العلم الوضعي والبيروقراطية المتعنتة. وإذا لم يصبح الآخرون «ملائمين» لمواصفات الحداثة المتفق عليها، فإنهم سيصبحون قابلين لأن يقضى عليهم.

ولم تكن لدى باومان دائماً رؤية متشائمة جداً إزاء قدرة الحداثة على إنتاج أمور جيدة، إذ ركزت مجهوداته طوال ما يزيد على ربع قرن قبل قيامه «بالتوجه نحو ما بعد الحداثة»، على توقعات «تحسن» الحداثة، فقام بتطوير استراتيجية لجعل الحداثة ديمقراطية واشتراكية: وهو جعلها أكثر حرية، وأكثر مساواة، وأكثر عدالة. وكانت هذه الاستراتيجية ـ التي اعتمدت على ماركس وغرامشي وهابرماس ـ قد خولت للمثقفين ـ وبخاصة علماء الاجتماع ـ دوراً رئيساً. وكانت مهمتهم تشجيع حوار مفتوح وقيِّم بين المجموعات الاشتراكية، بما يؤدي إلى تحديد المصالح المشتركة. والحوار هو أحد جوانب العوامل الخلاقة المؤدية إلى يوتوبيا اشتراكية.

وفي الواقع، بينما كان باومان لم يزل يعمل في التدريس والبحث باعتباره أحد كبار علماء الاجتماع في بولندا الشيوعية في

منتصف الستينيات، فإنه كان يطور مقولات، كانت السبب في شهرته. وفي عمله المنشور ـ على سبيل المثال ـ كان يثير ثلاث دعاوى رئيسة: أن الأيديولوجيا ـ التي تفرضها البيروقراطية تشجع على توافق وتحييد الشعور بالمسؤولية المعنوية الشخصية، وهي مهمة صعبة للغاية لتخطيط مجتمع ما بفاعلية/ عندما يكون التجانس الثقافي محدداً من خلال تنافر ثقافي فرعي، وأنه على كل شخص أن يتولى مسؤولية اختياراته الأخلاقية. وطوال عقدين تاليين، كانت هذه المقولات محورية في الأعمال *Modernity and the Holocaust*، و*Legislators and Interpreters*، و*Postmodern Ethics* على التوالي، أي أن بعض عناصر علم اجتماع ما بعد الحداثة لدى باومان كانت حاضرة بالفعل في العمل الذي نفذه في بداية عمله بوصفه عالم اجتماع والذي لم يجاوز ما وراء رؤية الحداثة، لكنه بدلاً من ذلك رأى يوتوبياه داخل حدودها.

وتناول باومان خلال الستينيات وأوائل السبعينيات آليات العلاقات الثلاثية بين بيروقراطية الدولة، والناس، والمفكرين. وكان يأمل في أنه في ظل نفوذ المثقفين المقنعين سيصبح المخططون البيروقراطيون معلمين متنورين.

وفي الواقع، كان العقد الاجتماعي بين الفلاحين والبيروقراطية قوياً ومركزياً للغاية في المجتمع البولندي، للدرجة التي كان فيها باومان ومن شاركوه طموحاته غير قادرين على العمل بفاعلية باعتبارهم قوة ثالثة. ولم يشعر الفلاحون أو البيروقراطيون

بأي حماسة إزاء المثقفين التقدميين الذين تحدثوا عن الحرية، ويبدو استمتاعهم بالمجهول.

وعندما هاجر باومان إلى الغرب، تمسك بالتزامه بهدف تحقيق الاشتراكية، وبجانب هذا الالتزام كانت هناك استراتيجية ونقد قد تطورا بداية في بولندا. كانت الاستراتيجية هي مواصلة اكتشاف الفرص الموجودة «موضوعياً» في الكشف عن ظروف تاريخية، في الشرق والغرب، أملاً في أن يكون التحليل التقدمي مسموعاً في الوقت المناسب. وسيتضمن هذا التحليل رؤية مؤكدة حول المجتمع الأفضل الذي تطرحه الاشتراكية.

أما النقد، فقد وجه في البداية نحو النظام الاجتماعي ـ السياسي الذي تكون في بولندا خلال الستينيات على يد بيروقراطية غير مستنيرة وسكان متطابقين بصورة كبيرة. وأشار باومان إلى أن الدولة الاشتراكية فشلت في مواجهة تحديات ثلاثة، هي: منع التخدير الأخلاقي، والتعامل مع تنافر ثقافي فرعي، وتشجيع الشعور بالمسؤولية الأخلاقية الشخصية. وعندما زاد باومان من النقد نفسه ضد المجتمعات الرأسمالية الغربية خلال الثمانينيات والتسعينيات، فإن ذلك النقد أدى دوراً مختلفاً في مقولاته الشاملة.

رأى باومان في الستينيات، أن هذه التحديات المذكورة سابقاً هي أمور عملية، يمكن التعامل معها، طالما أن الزعماء المعنيين يقومون بتبني استراتيجيات صحيحة ورؤية صائبة. غير أن باومان اتخذ في أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات توجهاً أكثر إطلاقاً مفاده أن

تفشي التخدير الأخلاقي جعل من الحداثة أمراً غير مقبول، كما أن التنافر الثقافي الفرعي قد أسهم في مناخ التناقض الذي يلم بالاعتقاد في الحداثة، وبتحدي افتراض أن المسؤولية الأخلاقية الشخصية كانت مهيبة للغاية لدى الرجال والنساء المعاصرين، للدرجة التي جعلتهم يخشون المواجهة بوصفها أمراً مفروغاً منه. وبعبارة أخرى، لم تعد هذه القضايا عملية يمكن تناولها في سياق الحداثة الاشتراكية، لكنها عيوب أساسية تجعل من الحداثة أمراً غير مقبول.

أما الذي كان قد تغير في الفترة ما بين العام ١٩٦٦ وأواخر الثمانينيات، فهو أن باومان فقد ثقته في أن هذا النوع الذي أراده من الاشتراكية يمكن أن يخرج إلى الوجود. وحاول مراراً جعله صالحاً للتطبيق، على الأقل، على المستوى الثقافي. وفي عمله *Socialism: The Active Utopia* ركز على طبيعة الشيوعية والرأسمالية، كما ركز، في الوقت نفسه، في عمله نحو علم اجتماع نقدي على العلاقات المعقدة بين الثقافة وعلم الاجتماع، فقام بتفكيك الاشتراكية الماركسية باعتبارها نظرية ثقافية، ونظاماً سياسياً، ونظاماً اجتماعياً، ونظر بصورة خاصة في دور الثقافة والمثقفين، ودور السلطة، ولا سيما السلطة البيروقراطية.

تألف تحليله النقدي من أربعة أجزاء: **أولها** أن النظم الشيوعية انتهجت التحول الصناعي بدلاً من الاشتراكية، **وثانيها** أنها جعلت من الحزب الحاكم مؤسسة لها قوة ذاتية حاولت تحجيم المجتمع المدني وهو مصدر النقد التصويبي، **وثالثها** أن النزعة الاستهلاكية

الغربية أغرت، في هذا الوقت، سكان المجتمعات الرأسمالية بدعم ذلك النظام، ورابعها أخيراً، أصبح استقرار الرأسمالية يتطلب أساساً ثقافياً.

كان هدف باومان هو خلق وجود اجتماعي يمكن الاشخاص العقلانيين والمتحررين من ممارسة حريتهم بطريقة خلاقة. أراد أن يشجع عملية الحوار داخل المجتمع المدني، فكان أمله أن يعمل المثقفون أمثاله على تشجيع الأفراد العاديين للقيام بمشاركة قوية ونشطة في جعل المجتمع أكثر حرية وأكثر مساواة وأكثر عدالة.

وطرأت في أوائل الثمانينيات تغيرات اجتماعية رئيسة في الشرق والغرب، على حد سواء، بوصول التضامن في بولندا ومارغريت تاتشر في بريطانيا. وعندما نشر باومان مؤلفه *Memories of Class*، كان يؤمن بأن نظام الإنتاج الاجتماعي وإشباع الحاجات ككل يواجهان أزمة حادة، وأنه قد حان الوقت لظهور مجتمع ديمقراطي يؤدي فيه المواطنون دوراً أكثر نشاطاً في إدارة شؤونهم. وبتعبير آخر، كانت أوائل الثمانينيات سنوات أمل باومان، وكانت كتاباته في هذه الفترة متفائلة. وبأي حال، فإن برنامج باومان لتحقيق حوار وعمل خلاقين كان يعتمد على إعادة بناء المحيط السياسي. وكانت الفكرة هي أنه مع تحول المجتمع ليكون أكثر ديمقراطية، فإن الدولة المركزية ستكون لديها مسؤولية أقل في تنظيم تفاصيل الحياة الاجتماعية، وبدلاً من ذلك، فإن المجالس المحلية من مختلف الأنواع سوف تصبح أكثر قوة. وستصبح الحياة اليومية لمعظم الناس أكثر

«سياسية»)، فيقوم الرجال والنساء باتخاذ المزيد من القرارات الجماعية بوصفهم مواطنين في مواقعهم.

اكتسحت النزعة الاستهلاكية وقوة الرأسمالية العالمية بسهولة المواطنة الفاعلة والديمقراطية التشاركية، ومثل اكتشاف ذلك صعوبات جادة بالنسبة إلى استراتيجية باومان الثقافية، إذ كان يعلم أن اشتراكيته ـ سواء في الأسلوب القديم منها أم الجديد ـ في محيط مناخ عام متطور للغاية، ستقودها دولة مركزية قوية. وكانت تلك هي الحال في روسيا السوفياتية قبل الحرب، وفي بولندا الاشتراكية بعد الحرب، وأيضاً في مجتمعات أوروبا الغربية ـ وبدرجة أقل ـ قبل الثمانينيات، وخلال فترة الإدارة المشتركة في دولة الرفاه الكينزية.

وكان باومان، قبيل نشره مؤلفه *Freedom*، قد شخّص حال الناس في الشرق وفي الغرب، على حد سواء، بوصفها حال أسر أو عجز، بالرغم من أنه لم يستخدم هذه المصطلحات. ففي الشرق، يُقمع الناس من قبل الدولة، وفي الغرب كان الاستهلاك يغريهم. فالمعوقات كثيرة أمام إنشاء مجتمع اشتراكي، ويمتلئ العالم بمشروعات «حديثة» نصف تامة أو غير متكاملة. إن المقيمين في هذا العالم المفكك يعيشون في دولة مضطربة كلياً، لا يفهمون ما يجري. وفي منتصف الثمانينيات، وضع باومان هذه الحقائق في مركز رؤيته، فاكتشف ما بعد الحداثة، بعبارة أخرى.

وتوقف عن محاولة التوصل إلى سبل لجعل الحداثة «تعمل»، إذ كان يعتقد أن مشروعات الحداثة الكبرى تكون ضارة أكثر عندما تكون أكثر فاعلية. وفي الواقع، يؤمن باومان بأن قدر الضرر الذي كان يمكن للمشرعين القيام به قد انتهى، منذ أن أصبحت الدولة شبه متقاعدة. على أي حال، كانت الحكومات الوطنية مجبرة على أن تنحني أمام قوة الشركات المتعددة الجنسيات والعابرة للقوميات، لأن هذه المؤسسات نمت أكثر وأصبحت أكثر قوة، وأصبحت الحاجة إليها أكبر.

وكما يرى باومان في مؤلفه *Globalization: The Human Consequences*، فإن في هذا العالم المتأثر بالعولمة لا يمكن السيطرة على أحد وأن الكوكب كله في حال خطورة مرتفعة، وعلى أي حال يمكن للمستهلكين أن يشتروا راحة قصيرة الأجل من السوق. وقد أغوتنا النزعة الاستهلاكية بقبول الحال غير المستقرة جداً لما بعد الحداثة، ولم توقفنا عن القلق. غير أنها تقدم لنا مجموعة من الحلول قصيرة الأجل لشعورنا بعدم الرضا.

وغيرت تجربة الهجرة والمنفى علاقة باومان بالمجتمعات التي يدرسها ويكتب عنها، وبعد أن كان «مطلعاً من الداخل»، أصبح «غريباً»، وأصبح بعيداً قليلاً عن موضوعه. ولم يكن عمل باومان الأخير مملوءاً بالتركيز على المجموعات الاجتماعية التي تعيش بطرق محددة في أماكن محددة، وبدلاً من ذلك امتلأ مؤلفه بأناس مختلفين، مثل السائحين واللاعبين والمستهلكين والأغنياء والفقراء. وهم

كيانات مختزلة، وتشخيص (Personification) لوجهات نظر مختلفة. ووفقاً لما كتبه، أصبح اليهود أنماطاً محددة سلفاً، إذ يعرض وضعهم بوصفهم صورة مصغرة أو تكثيفاً لوضع جميع البشر في ما بعد الحداثة: غرباء بلا جذور في عالم متناقض.

قام باومان برحلة فكرية ابتداء من متابعة التقدم داخل الحداثة، وصولاً الى البحث عن البقاء البشري في فترة ما بعد الحداثة. وكما يرى باومان، أسفر حدوث تغير في الظروف الموضوعية عن موطن ما بعد الحداثة، حيث يضطر هو ونحن للعيش فيه. أما مقاربته الأساسية، فتبقى هي ذاتها: تشجيع الاتصال الحر والعمل المبدع. ويمكن أن يكون العمل الفردي مبدعاً، بمعنى عندما أتصرف «أنا» بعناية من أجل «الآخرين»، فإنني سوف أقوي نسيج التضامن بين الأشخاص الذي يقع في إطاره السلوك الأخلاقي.

ومقارنة بالبرنامج الأكثر تفاؤلاً في السبعينيات، فإن تحدي باومان الأخلاقي بالنسبة إلى سكان موطن ما بعد الحداثة أصبح أكثر صعوبة، وممثلاً في أن الاختيار يرجع إليك. إن قوة الدفع هي بمثابة مستنبت زجاجي يحمي البذرة كي تزرع مستقبلاً. إنه برنامج للشتاء وليس للربيع.

واصل باومان في أوائل القرن الحادي والعشرين تمسكه برؤيته التي كانت قد تطورت جيداً في الستينيات، وهي أن الثقافة تمثّل المجال الرئيس الذي يتحدد في إطاره بناء المجتمع. كما كان لديه اعتقاد راسخ بأن المثقفين، وبخاصة علماء الاجتماع، سيبقون

قريبين من الرجال والنساء العاديين، ويقدمون وجهة نظر حول الأمور المشتركة المثيرة للنقاش. ولقد واصل باومان فعل ذلك في مجموعة من كتبه.

انظر أيضاً: **أولريخ بك؛ أنتوني غدنز؛ يورغن هابرماس.**

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists*: Theodor Adorno, Karl Marx.

■ **أهم الأعمال:**

Spoleczenstwo którym zyjemy (1962). [Warszawa]: Ksiazka i Wiedza.

Zarys marksistowskiej teorii spoleczensta (1964). Warszawa: Panstwowe Wydawn Naukowe.

Between Class and Elite: The Evolution of the British Labour Movement: A Sociological Study (1972). Translated [from the Polish] by Sheila Patterson. Manchester: Manchester University Press.

Culture as Praxis (1973). London: Boston, MA: Routledge and Kegan Paul. (Monographs in Social Theory)

Socialism: The Active Utopia (1976). London: Allen and Unwin. (Controversies in Sociology; 3)

Towards a Critical Sociology: An Essay on Commonsense and Emancipation (1976). London: Routledge and Kegan Paul (Routledge Direct Editions)

Hermeneutics and Social Science: Approaches to Understanding (1978). London: Hutchinson.

Memories of Class: The Pre-history and after-Life of Class (1982). London; Boston. MA: Routledge and Kegan Paul. (International Library of Sociology)

Legislators and Interpreters: On Modernity, Post-modernity, and Intellectuals (1987). Cambridge: Polity Press.

Modernity and the Holocaust (1989). Cambridge. UK: Polity Press.

Modernity and Ambivalence (1991). Ithaca, NY: Cornell University Press.

Intimations of Postmodernity (1992). London; New York: Routledge.

Postmodern Ethics (1993). Cambridge: Polity Press.

Postmodernity and Its Discontents (1997). Cambridge: Polity Press.

Consumerism and the New Poor (1998). Buckingham: Open University Press.

Globalization: The Human Consequences (1998). Cambridge: Polity Press.

In Search of Politics (1999). Cambridge: Polity Press.

The Individualized Society (2000). Cambridge: Polity Press.

Liquid Modernity (2000). Cambridge: Polity Press.

Community (2000). Cambridge: Polity Press.

Society under Siege (2002). Cambridge: Polity Press.

Wasted Lives (2003). Cambridge: Polity Press.

Liquid Love: On the Frailty of Human Bonds (2003). Cambridge: Polity Press

Identity: Conversations with Benedetto Vecchi (2004). Cambridge: Polity Press

Europe: An Unfinished Adventure (2004). Cambridge: Polity Press

Liquid Life (2005). Cambridge: Polity Press.

■ قراءات إضافية:

Denis Smith (1999). *Zygmunt Bauman: Prophet of Postmodernity.* Cambridge; Malden, MA: Polity Press. (Key Contemporary Thinkers)

Peter Beilharz (2000). *Zygmunt Bauman: Dialectic of Modernity.* London; Thousand Oaks, CA: Sage

Tony Blackshaw (2005). *Zygmunt Bauman.* London: Routledge.

أولريخ بك Ulrich Beck

ولد أولريخ بك عام ١٩٤٤، وعرف في البداية من خلال أطروحته حول **مجتمع المخاطر**. يرى بك أن هناك انقطاعاً أساسياً داخل التاريخ الاجتماعي للحداثة، وهو انقطاع ميّزه انحلال الصيغ الأقدم «للمجتمع الصناعي» ونمو مجتمع مخاطر جديد. ويرى بك أن الأجيال السابقة في المجتمعات الصناعية كانت غير مبصرة بالأضرار البيئية التي يسببها التصنيع، وهكذا بدأ الوعي الاجتماعي بالأضرار الصناعية الواسعة النطاق في فرض تأثير كبير في المواقف الثقافية للأفراد والسلوكيات الاجتماعية في مجتمع المخاطر الناشئ. ويبدو هذا جلياً بشكل خاص في العلاقة بالملوثات الكيميائية والتكنولوجيا النووية والهندسة الجينية. ينتج «وعي المخاطر» الجديد من تصور، تدعمه وسائل الإعلام التي تجعلنا نعيش في فترة زمنية تكون فيها أعباء التصنيع البيئية آخذة في تجاوز المكاسب الاجتماعية. إن الأطر المرجعية التي تشكل مقاربة بك في التعامل مع النظرية الاجتماعية،

وكذا مصطلحاته في التحليل السياسي، متجذرة في الاعتقاد أنه إذا لم يبصر أفراد المجتمع الصناعي مخاطر التحديث، فإن سكان مجتمع المخاطر يجب أن يتفاهموا مع مستقبل محتمل، حيث تلوح «الإبادة الذاتية» فوق الأفق الثقافي.

ويرى بك أن جدة الوضع تتطلب مراجعة للغة العلوم الاجتماعية حتى يتم التمكن من ابتكار مفاهيم أكثر ملاءمة لإدراك واقع العالم الذي نجد فيه أنفسنا حالياً. كما يرى أن العديد من مفاهيم علم الاجتماع الراسخة مثل «الطبقة الاجتماعية»، وأدوار النوع، والدولة القومية أصبحت حالياً مفاهيم قديمة. وبالفعل، فإنه يتمسك برؤية أننا وصلنا إلى مرحلة في تقدمنا الاجتماعي، تم خلالها تطوير ما يعرف باسم الأطر «الكلاسيكية» لتحليل علم الاجتماع، على يد كتّاب أمثال ماكس فيبر وإميل دوركهايم الذين لم يعودوا يمدوننا بأي رؤى مميزة حول التحولات الرئيسية التي تشكل البناء ككل، ونوعية حياتنا في المجتمعات المعاصرة. وبناء على ذلك، قد ينظر إلى كتاباته بوصفها محاولة لتزويد علم الاجتماع بنظريات عن المجتمع تتوافق بصورة أكبر مع الحساسيات الثقافية المعاصرة.

وتناولت مؤلفات بك، بنوع من الإسهاب، إرساء فكرة الخطر مفهوماً رئيساً للتحليل القائم على علم الاجتماع. واستخدم هذا المفهوم ليبدأ في خوض مجموعة متنوعة من السجالات النقدية حول الطبيعة الأساسية للمجتمع، والثقافة، والسياسة المعاصرة. ويستخدم تركيز بك على «الخطر» في تقديم رؤية متسعة للحياة الاجتماعية، حيث يمر الأفراد

فيها ـ بصورة متزايدة ـ بشعور واضح بعدم الأمن بخصوص الشؤون اليومية للحب والعمل، كما يستخدم ـ هذا التركيز ـ في جذب اهتمام علم الاجتماع لتناول مشكلات الأخطار البيئية. وبينما يرى بك أن وعي الناس بالأخطار يرتبط بمعرفتهم بالتهديدات المحيطة بالبيئة، فإنه يحدد أيضاً المدى الذي قد ينجم فيه «الوعي بالخطر» عن تجربة أنماط التوظيف والتحول «المرنة» في الحياة الأسرية. ويقدم بك ـ بجانب كتّاب مثل أنتوني غدنز وباومان ـ مقولة «مجتمع المخاطر» باعتبارها «طريقاً سريعاً عالمياً» للتغير الاجتماعي السريع: وهو عالم يكون فيه الأفراد مجبرين باستمرار على التفاوض حول البنود الأساسية لهويتهم الذاتية، والمعنى الثقافي، والانتماء الاجتماعي. ويؤكد أن الناس عليهم التفكير ـ أكثر من ذي قبل ـ بصدد حياتهم من خلال احتساب المخاطر.

ويمثّل «الوعي بالخطر» حساسية ثقافية متجذرة في عمليات «الفردنة» (Individualization) و«التحديث الانعكاسي» (Reflexive Modernization)، وتجد غالبية الناس الآن أن الترتيبات الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة لا توفر الوقت أو المتسع للأنماط التقليدية من العمل والحياة الأسرية. ونتيجة ذلك، فإن الأفراد يجبرون بشكل متزايد على القيام باختيارات مضطربة حول كيفية عيشهم حياتهم، وقيل إن مثل هذه العملية المعقدة من الفردنة هي مصدر واستجابة لعملية «تحديث انعكاسي» إضافية. ويرى بك أنه على الأفراد أن يدخلوا في سجالات نقدية أوسع نطاقاً حول التنظيم السياسي والنماذج الراسخة للتقدم الاجتماعي، كما أنه عليهم أن ينظروا برؤية نقدية إلى قيمة وهدف حياتهم. وبناء على ذلك، فإنه بينما يمكن أن ينتج التفكير النقدي من نمو

المعرفة المتعلقة بالتهديد بكارثة بيئية، ترتبط ثقافة مثل هذا التفكير، في الوقت نفسه، بالظروف الاجتماعية اليومية لحال عدم الأمن الواضحة.

وفي التحليل النهائي، إن قدراً كبيراً من شروح بك القائمة على علم الاجتماع هو إثارة المزيد من النقاش حول الإمكانات التي توجد داخل «مجتمع المخاطر» من أجل التغير الاجتماعي الراديكالي. وهناك تأصيل قوي لعمله هذا، إذ أوضح اهتمامه بتطوير حداثة «راديكالية» جديدة موجهة بمثل «التنوير البيئي». وانطلاقاً من اقتناعه بأن عملية التصنيع الغربي جعلتنا على شفا كارثة بيئية عالمية، فإن شعوراً بالخطورة، يميز بحثه من أي تطورات، تدل على نجاح المجتمع بضرورة أن يصلح من نفسه (وبخاصة في استخدامه للتكنولوجيا والعلوم)، وكذا ضرورة أن يضمن بقاء كوكبنا. وبينما يمكن الاعتراف بعنصر «اليوتوبيا» داخل نظريته الاجتماعية، وهي التي أزيلت تماماً من النماذج الماركسية المثالية التي ألهمت الأجيال الأولى من واضعي النظريات النقدية، وبينما كان يبحث عن تطوير وجهة نظر «كوزموبوليتية» جديدة حول السياسة والقانون الدوليين، فإنه أكد أن أفضل آمالنا بالنسبة إلى المستقبل تقوم على إمكان زيادة مشاركة المجتمع الدولي، متمثلاً في المنظمات غير الحكومية، داخل القرارات السياسية الرئيسة المواجهة للمجتمع العالمي. وفي هذا الصدد، فإن بذور التغير الاجتماعي الراديكالي بذرت فعلاً على يد منظمات، مثل السلام الأخضر، وجينووتش، وأوكسفام، ومنظمة العفو الدولية. وبقدر شدة مخاوفنا المشتركة على المستقبل، فإن الفرص يمكن أن تزيد أمام هذه البذور كي تنبت وتزدهر.

ويحيط الكثير من أوجه الجدل بأعمال بك، **أولها** بعض الاعتراضات على «الواقعية» القوية التي تغلف وصفه للأخطار البيئية، وبخاصة فشله في تناول التركيب التحليلي للنقاشات القائمة على علم الاجتماع حالياً، بخصوص البناء الاجتماعي لفهمنا الثقافي للخطر، **ثانيها** أن الدراسات العملية لتصور الخطر توصلت إلى شواهد قليلة للغاية لدعم التمثيل المفضل لبك للطرق التي يؤهل فيها الأفراد للخبرة ومعرفة المخاطر المحتملة بالنسبة إليهم وإلى الآخرين. وآخر أوجه الجدل هنا، هو أن البعض يعيب عليه أنه يتناول القضية بطريقة السرد التاريخي الذي يؤطر سرده لجدة «مجتمع المخاطر»، ويدفعه كل ما سبق وغيره إلى التأكيد أن نظرية علم الاجتماع «الكلاسيكية» ليست لها قيمة في فهم التطورات الاجتماعية المعاصرة. ومع هذا، فإنه ليس هناك شك في واقع أن أعماله معترف بها حالياً، على نطاق واسع، في ما يخص مهمة التنظير للعالم. إن أولريخ بك مثال رئيس لعالم الاجتماع الذي يمثل روح العصر (A Zeitgeist Sociologist). وبينما قد يتبنى غالبية الشارحين موقفاً نقدياً عريضاً تجاه مقولات فرضياته المحورية، فإنه من الواضح تماماً أنهم ينظرون إليه، على نطاق واسع، بوصفه ذا قدرة كبيرة بالنسبة إلى منظري علم الاجتماع على الخوض في مهمة «التفكير في المجتمع من جديد».

انظر أيضاً: **زيغمونت باومان؛ أنتوني غدنز**.

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists*: Karl Marx.

■ أهم الأعمال:

Risk Society: Towards a New Modernity (1992). Translated by Mark Ritter. London; Newbury Park, CA: Sage Publications. (Theory, Culture and Society)

Ecological Politics in an Age of Risk (1995). Translated by Amos Weisz. Cambridge; Malden, MA: Polity Press.

The Normal Chaos of Love (1995). With Elisabeth Beck-Gernsheim. London; Cambridge, UK: Polity Press.

Ecological Enlightenment: Essays on the Politics of the Risk Society (1995). Atlantic Highlands, NJ: Humanities Press.

The Reinvention of Politics: Rethinking Modernity in the Global Social Order (1997). Translated by Mark Ritter. Cambridge, UK: Polity Press; Cambridge, MA: Blackwell Publishers.

Democracy without Enemies (1997). Translated by Mark Ritter. Cambridge, UK: Polity Press; Cambridge, MA: Blackwell Publishers.

World Risk Society (1999). Cambridge, MA: Polity Press.

Power in the Global Age: A New Global Political Economy (2005). Translated by Kathleen Cross. Cambridge; Malden, MA: Polity.

Cosmopolitan Vision (2006). Translated by Ciaran Cronin. Cambridge, UK; Malden, MA: Polity.

■ قراءات إضافية:

Barbara Adam, Ulrich Beck and Joost van Loon (eds). (2000). *The Risk Society and Beyond: Critical Issues for Social Theory*. London; Thousand Oaks, CA: Sage.

Iain Wilkinson (2001). *Anxiety in a Risk Society*. London; New York: Routledge. (Health, Risk and Society)

Ulrich Beck and Johannes Willms (2004). *Conversations with Ulrich Beck*. Translated by Michael Pollak. Cambridge: Polity Press.

Gabe Mythen (2004). *Ulrich Beck: A Critical Introduction to the Risk Society*. London; Sterling, VA: Pluto Press.

جان بودريار Jean Baudrillard

هو فيلسوف، انبثقت أعماله من المؤسسة السوسيولوجية التقليدية التي عمل على تطويرها جذرياً وعلى مساءلتها في النهاية. ولد في ريم بفرنسا عام ١٩٢٩، وعلّم اللغة في المدارس الثانوية الإقليمية، قبل تحوله إلى دراسة علم الاجتماع. أتم في العام ١٩٦٦ أطروحته مع هنري ليفيفر (Henri Lefebvre) في جامعة باريس أكس بنانتير، حيث حاضر في علم الاجتماع قبل تقاعده عام ١٩٨٧ للتركيز على كتاباته ومحاضراته العامة. كانت مطبوعاته المبكرة حول نظرية الأدب وفي مجلة *Utopie* «المعارضة للواقع الراهن» (Pro-situ-ationiste)، ثم أعقبتها مجموعة من الكتب والدراسات التي طورت نقداً أصيلاً للمستهلك الغربي والمجتمع الإعلامي في فترة ما بعد الحرب العالمية. وواصل توسعة هذا المشروع، وطوره طوال عمله العلمي في أكثر من ثلاثين كتاباً والعديد من المقابلات والمقالات، وأصبح ـ بفضلها ـ واحداً من أهم المفكرين والشارحين المعاصرين، وأكثرهم إثارة للجدل.

ألّف بودريار أول كتابين له ـ *The System of Objects* و *The Consumer Society* على أساس عدد من التقاليد، منها: التحليل الإشاري لرولان بارت (القائم على علم الإشارات) للثقافة الشعبية، وتحليل اختراق السيطرة الاجتماعية و«التوجيه» في الحياة اليومية وأوقات الفراغ لدى هنري ليفيفر، وهربرت ماكوس، وجاي ديورد، وكذلك أطروحة تورشتاين فيبلن حول تنافسية «الاستهلاك المنافي للذوق» (Conspicuous Consumption)، وتحليل التكنولوجيا لدى كل من جاك إلول وجلبرت سيموندو، وأطروحة ثقافة الإعلام الإلكتروني المعاصر لدى دانيال بورستين ومارشال ماكلوان، والتحليل الفرويدي لمعاني الأشياء الثقافية. وتقدم كتب بودريار صورة للمجتمع الاستهلاكي المعاصر كما تم تحديده من خلال اختزال وتحويل المعنى والعلاقات «الرمزية» إلى عناصر «قائمة على علم الإشارات». واندمجت هذه الأخيرة لإنتاج أشياء إشارية، تنتظم في نظام بنائي، يتحكم فيه قانون لتحديد الأهمية، ويصبح لكل إشارة خصوصيتها، ويتم استهلاكها من قبل مستخدمها في إطار معانيها المحددة والمنتجة ثقافياً.

اختار بودريار الدفاع عن الرمزي، مقابل نمط الاتصال هذا، ونتاجه الإشاري للفرد والتحكم «الكلياني» في التجربة. وهذه الأخيرة عبارة عن علاقة حية ومزدوجة وفورية التحقق، كما أنها مستقاة ثقافياً من الأنثربولوجيا الاجتماعية المنتمية إلى دوركهايم في خطها الراديكالي المتصاعد، من دوركهايم ومارسيل موس وهنري

هوبرت إلى كلية علم الاجتماع وأعمال جورج باتيل وروجر كيلوي. وكانت تحليلاتهم للاحتفالات القبلية وعلاقات التهادي تقدم نموذجاً لهذا النمط من «التبادل الرمزي» الذي يعتبره بودريار بديلاً تاريخياً قائماً في الغرب، لكنه يظل حياً أيضاً داخله، بوصفه حاجة كامنة وقابلة للانفجار. ويمكن فهم عمل بودريار، على أفضل ما يكون، من خلال هذا التعارض والتضافر مع مصطلحاته. كانت شخصيته العلمية تلتزم تماماً بالثنائية والمشروع النقدي لتتبع العمليات المتسارعة للعالم الإشاري والبحث عن القوى الرمزية التي لا تزال قائمة، والتي تقاومها، وتعاكسها.

ويرتبط النقد المبكر للاستهلاك الذي طرحه بودريار بنقد، أوسع نطاقاً، «لاقتصاد العام»، وهي العمليات المتشابكة بين الإشارة والسلعة. وفي مؤلفه *For a Critique of the Political Economy of the Sign*، يواصل التبشير بنقد ما بعد البنيوية هذه التصنيفات، مظهراً كيف تعتمد كل منها على تصنيف مرجعي خارجي ـ «الحقيقي» و«قيمة الاستخدام» ـ لتطبيع عملياته، وكيف أن مثل هذه الفئة تعتبر فعلياً ناتجاً داخلياً لعملياتها الخاصة. ويؤدي ما سبق إلى تجدد الدفاع عن الرمزية بوصفها نطاقاً يتجاوز قيمته المميزة، وإلى مواصلة مزيد من التحليل للعالم الإشاري. ويتم ذلك في تنظير «ثورة القيمة البنائية» المعاصرة التي تكون فيها الإشارة ذات قدرة ذاتية على الاستيعاب لإنتاج «حقيقة» ما من خلال معرفة مميزاتها الخاصة. واقترح بودريار مبكراً، بخصوص المشابهة الإشارية الرمزية، أنها قد

تطورت إلى اهتمام أكبر بتوافق العناصر الإشارية لتحويل تجربتنا كلها إلى «الواقع».

وتوسعت هذه الأفكار بشكل كبير في مؤلفه *Symbolic Exchange and Death*، في صورة فوكوية (نسبة إلى فوكو) للتحول التاريخي للإشارة ـ ثم إنتاج الواقع ـ بدءاً من عصر النهضة، ومروراً بالمجتمع الصناعي، وانتهاء بالعالم المعاصر. وبالرغم من تبنيها لاحقاً، وتبسيطها في المناقشات حول ما بعد الحداثة، إلا أن هذه النظرية تشكل إسهاماً مهماً في النظرية الاجتماعية، إذ وضعت الأساس، تاريخياً وفلسفياً، لنقد العمليات المعاصرة للمستهلك والمجتمع الإعلامي، من خلال استعادة ودعم المفهوم القديم «للمحاكاة»، التي تعد الصورة الواضحة والمؤثرة والتي تتبنى قوة الواقع. ويظل تحليله التالي لإعادة الإنتاج المعاصر للواقع فاعلاً وملهماً. وكما أثرت مناقشته الأخيرة حول تأثير الأنماط المسبقة في تجربتنا، إلا أن تبنيه هذا المفهوم يعتبر أمراً حاسماً وجوهرياً، ويهدف إلى تناول تأثيره وتوغله في الحياة اليومية وتوظيفه نمطاً من أنماط الضبط والإندماج الاجتماعي.

أشهر إسهام لبودريار في علم الاجتماع هو مؤلفه *In the Shadow of the Silent Majorities* (١٩٧٨)، حيث كان يعيد عمله في التنظير التاريخي للمرور من المجتمعات الرمزية إلى الإشارية، مركزاً على نتائج إنتاج العلاقات الاجتماعية للحداثة.

ويرى أن الإنتاج المفرط وتعميم «الاجتماعي»، وكذلك «المعلومات» و«المعنى» في عالمنا الاتصالي، كل ذلك يؤدي إلى تفكيك هذه الأنواع. ويوضح بودريار فقدان الاجتماعي من خلال ذوبانه بفكرة «الجموع» التي أسفرت عنها سرعة وتأثير نظم المعلومات التي لا تكون حقيقتها معروفة خارج نظم وتمثيل الاتصال الاجتماعي الذي يكونها. وليست النتيجة مجرد نقد للمشروع المستمر لعلم الاجتماع في دراسة الاجتماعي، وإنما أيضاً هجوم راديكالي على اختراقاتها المنهجية للموضوعية والمعرفة العلمية. كما يؤكد بودريار تناول عمليات المحاكاة التي تقوم عليها. وبالرغم مما لحق من نقد بمفهومه للجموع، إلا أنه يظل ـ بالنسبة إلى بودريار ـ قوة إيجابية، تعمل من خلال الاستيعاب غير المباشر والصمت ومن خلال «التوافق الهائل» النشط لتفكيك استقرار البناءات الاجتماعية.

ويصعد بودريار، من خلال عمليه *Forget Foucault*، و*Seduction and Fatal Strategies*، من تصوره لنظام «إنتاجي» غربي، مرتبط بتجسيد الواقع. وتدفعنا هذه الصيغة إلى تزايد تأكيد وسائل الإعلام الجديدة وظهور نقد «للعملية» في النصوص الأخيرة، مثل *The Perfect Crime*. ويرتبط هذا، بقوة، بنقد الأحداث التافهة الغربية (Western non-events) والعالم الغربي (West's Global) والمشروع السياسي للسيطرة على الأفكار الخارجية كلها، وهو الأمر الذي اتضح تمام الوضوح في كتاباته

حول حرب الخليج ١٩٩١، وأحداث ١١ أيلول/سبتمبر، وحول حربي أفغانستان والعراق. ومنحته كتب مثل *The Gulf War Did not Take Place*، و*Power Inferno*، و*The Intelligence of Evil* صوتاً مثيراً للجدل، وتفسيراً أصيلاً، ونقداً للمجتمع الغربي، لم يزل حاضراً في بؤرة النقاشات المعاصرة بخصوص عمليات المجتمعات الغربية.

وبينما هيمنت قضية «ما بعد الحداثة» على نقاشات بودريار المبكرة، فإن إثارة العديد من القراءات العدائية والمبسطة لأعماله أدت إلى أدب نقدي أكثر تعقيداً، ليعكس تعقده ويتناول إسهامه لمجموعة من النقاشات والتخصصات العلمية. وأصبح بودريار شخصية لا يمكن عدم الاعتداد بها حالياً، ولا يزال شخصية مثيرة للجدل. إن معاداته للأمبيريقية وتحليلاته المتطرفة والذاتية، وتعلقه بتقاليد علم الاجتماع الراديكالي ونظرية الهامش، وتناقضات علم المعرفة والمنهجية لتحليله، تمثّل مشكلة أمام علم الاجتماع، والأمر نفسه بالنسبة إلى منهجيته. على أي حال، يؤدي مبدأه الرايكالي حول «العنف النظري» إلى مزيد من التمعن والأصالة والنظرية النقدية أكثر من المناهج العلمية التقليدية الأخرى.

انظر أيضاً: **جوديث باتلر**.

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists:* Theodor Adorno.

■ أهم الأعمال:

The System of Objects (1968). London; New York: Verso.

The Consumer Society: Myths and Structures (1970). London: Sage.

For a Critique of the Political Economy of the Sign (1972). Translated with an introduction by Charles Levin. St. Louis, MO: Telos Press.

The Mirror of Production (1975). St. Louis, MO: Telos Press.

Symbolic Exchange and Death (1976). London: Sage.

In the Shadow of the Silent Majorities (1978). Translated by Paul Foss, John Johnston and Paul Patton. New York: Semiotext(e). (Foreign Agents Series)

Simulations (1981). Translated by Paul Foss, Paul Patton and Philip Beitchman. New York: Semiotext(e). (Foreign Agents Series)

Fatal Strategies (1990). London: Pluto Press.

The Gulf War Did Not Take Place (1995). Translated and with an introduction by Paul Patton. Sydney: Power Publications.

The Perfect Crime (1996). Translated by Chris Turner. London; New York: Verso.

Spirit of Terrorism; and, Requiem for the Twin Towers (2001). Translated by Chris Turner. London; New York: Verso.

The Intelligence of Evil or the Lucidity Pact (2005). Oxford: Berg Publishers.

■ قراءات إضافية:

Mike Gane (1991). *Baudrillard's Bestiary: Baudrillard and Culture*. London; New York: Routledge.

Mike Gane (1991). *Baudrillard: Critical and Fatal Theory*. London; New York: Routledge.

Mike Gane (2000). *Jean Baudrillard: In Radical Uncertainty*. London: Pluto Press.

William Merrin (2005). *Baudrillard and the Media: A Critical Introduction*. Cambridge: Polity Press.

بيار بورديو Pierre Bourdieu

كان بيار بورديو مفكراً وباحثاً في العلوم الاجتماعية، غزير الإنتاج، وهو مؤلف لأكثر من ٣٥ كتاباً و٤٠٠ مقالة، ظهرت في العديد من اللغات. أسس بورديو وأدار جريدة *Actes de la recherche en siences sociales*، وسلسلة كتب Le Sens commun لمدة تتجاوز خمسة وعشرين عاماً. وأسس عام ١٩٩٦ دار نشر جديدة هي (Raisons d'agir) استمرت بعد وفاته. طور بورديو لغة مفهومية مميزة، مثل «الأبيتوس» (نظام الاستعدادات)، و«رأس المال الثقافي»، و«الحقل» (Field)، و«العنف الرمزي» وهي المصطلحات التي أصبحت شائعة للغاية في السوسيولوجيا والأنثربولوجيا. وتغطي أعمال بورديو التجريبية مجموعة كبيرة من الموضوعات، بدءاً من إتنوغرافيا الفلاحين في الجزائر إلى التحليل السوسيولوجي لفناني وكتاب القرن التاسع عشر، وأنماط الزواج في إقليم بير (مسقط رأسه)، والجامعات الحديثة، واللغات، والأذواق الاستهلاكية

والثقافية، وتحليل الطبقة والسياسة، وأسباب البؤس والفقر وسط البحبوحة في المجتمع الفرنسي الحديث. وكان بورديو منظراً اجتماعياً رئيساً، وباحثاً تجريبياً ذا قدرة فائقة على مزج النظرية الاجتماعية المجردة والتقصي التجريبي النقدي. وصنف عمله الأكثر شهرة، *Distinction*، سادس أهم عمل سوسيولوجي في القرن العشرين، وفقاً لدراسة مسحية قامت بها الجمعية السوسيولوجية العالمية. أما عمله *The Logic of Practice*، فاحتل المرتبة الأربعين، كما احتل عمله *Reproduction in Education, Society and Culture* المرتبة ٤٨. ولم يحتل من المفكرين الفرنسيين ـ بجانب بورديو ـ مرتبة متقدمة بين أهم خمسين عملاً سوى إميل دوركهايم وميشيل فوكو (انظر http://www.ucm.es/info/isa/books). أنجز بورديو العديد من أعماله بالتعاون مع آخرين، لأنه كان يدير مراكزه البحثية في مدرسة الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية وكوليج دي فرانس. وفي ضوء كثرة عدد المشاركين الذين عملوا معه طوال سنوات مديدة وشبكة علماء الاجتماع الأوسع نطاقاً الذين استقوا تأثيراً مباشراً منه في أعمالهم، فإنه ليس من قبيل المبالغة القول إن بورديو أسس مدرسة حقيقية في علم الاجتماع، هي الأهم في فرنسا منذ إميل دوركهايم.

ولم يقتصر عمل بورديو على مهنة علم الاجتماع فحسب، بل كان مفكراً سياسياً أيضاً، وكانت مشاركاته العامة ـ وبخاصة خلال السنوات الأخيرة من عمره ـ قد دفعته إلى أن يصبح في أواخر التسعينيات، المفكر البارز الرئيس لهيئة علم الاجتماع، على

رأس حركة مقاومة العولمة في فرنسا والدول الأوروبية الغربية الأخرى.

ولد بيار بورديو في العام ١٩٣٠ لأسرة من الطبقة الوسطى ـ الدنيا في إقليم بير الريفي النائي في جنوب غربي فرنسا. وكان طفلاً موهوباً، وحصل على فرصة الالتحاق بمدرسة نورمال العليا المخصصة للنخبة الأكاديمية، وهناك أعد للحصول على درجة علمية عالية في الفلسفة. مارس بورديو تعليمه، ليس فقط لأنه نجا بأعجوبة من نظام الاختيار الأكاديمي المرهق، بل باعتباره أيضاً، ثقافياً واجتماعياً، دخيلاً على عالم النخبة الفكرية الباريسية. وبالفعل، فإن تصوره الذاتي لكونه دخيلاً على العالم الفكري الفرنسي بات واضحاً للعيان طوال حياته، كما ظل موقفه النقدي الحاد، تجاه هذا العالم، مؤثراً في إنتاجه الفكري.

توقف بورديو عن التدريس عام ١٩٥٥، إثر استدعائه للخدمة العسكرية في الجزائر، حيث تمكن من الحصول على وظيفة تدريسية في (The Faculty of Letters) بالجزائر، وحيث بدأ أعماله العلمية الاجتماعية كإتنوغرافي ذاتي التعليم لمجتمعات القبائل الفلاحية. وأثرت هذه التجربة الميدانية مباشرة في عمله المعروف *The Algerians* والعديد من المقالات، وفي نظريته الشهيرة حول الممارسات في عمله «النظري» الأكثر شهرة *Outline of a Theory of Practice* وصياغته المنقحة *The Logic of Practice*.

أدت معارضته جهود الحرب الاستعمارية الفرنسية إلى عودته إلى باريس، ولم ينتهج طريقاً مقبولاً ـ من قبل الدولة ـ للحصول على

فرصة تدريس في الجامعة من خلال كتابة أطروحة دكتوراه دولة، لكنه أصبح بعد فترة وجيزة من التدريس في الجامعة أحد مديري الدراسات في مدرسة الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية، وأسس لاحقاً مهنته في المراكز البحثية وحجرات حلقات المناقشات بدلاً من قاعات المحاضرات الجامعية.

وكان نشره مؤلفه *The Inheritors* عام ١٩٦٤، بالتعاون مع جان كلود باسرون، مؤثراً للغاية في تشكيل الوعي الطلابي النقدي خلال ثورة الطلاب في أيار/مايو عام ١٩٦٨، لكنه لم يترجم إلى الإنكليزية، إلا بعد نشره بفترة طويلة من دون أي اهتمام أو نفوذ يمكن مقارنته بما حظي به عند بدء نشره. ونشر عام ١٩٧٠ ـ بالتعاون مع باسرون أيضاً، العمل البارز ـ الذي يعتبر أول كتبه المعروفة جيداً في اللغة الإنكليزية ـ والذي يحمل اسم *Reproduction: In Education, Society, and Culture*، وأصبح أحد الأعمال الكلاسيكية المعاصرة في علم اجتماع التعليم. وقام بإجراء دراسات مسحية عملية للممارسات الاستهلاكية، والأذواق وأنماط الحياة الثقافية المتراكمة في المجتمع الفرنسي في كتابه *Distinction: A Social Critique of the Judgement of Taste* الذي ساعده على تولي كرسي علم الاجتماع في كوليج دي فرانس عام ١٩٨١ (وهو المنصب الذي تولاه قبله مارسيل موس وريموند آرون) ليعتلي قمة الحياة الفكرية الفرنسية. وأخرج في الثمانينيات كتابين مهمين، أثريا المجتمع الثقافي والأكاديمي الفرنسي، وهما *Homo Academicus* و*The State Nobility*، وتحولت إحدى دراساته الكبيرة عن النهوض التاريخي للمجالات الفنية في فرنسا إلى

كتاب **قواعد الفن**. وكانت دعوته إلى ممارسة نقدية وانعكاسية للتحقيق السوسيولوجي قد وجدت تعبيراً لها في العام ١٩٩٢ من خلال العمل الذي شهد إقبالا كبيراً *An Invitation to Reflexive Sociology* (بالتعاون مع لوي واكوانت Loic Wacquant). وأدار مشروعاً كبيراً لعقد مقابلات مع أفراد الطبقة الوسطى ـ الدنيا حول موضوع المعاناة والاستبعاد الاجتماعيين، ولنشرها في كتاب *The Weight of the World* (١٩٩٣)، وحصل في العام نفسه على تقدير من المركز القومي الفرنسي للبحوث الاجتماعية بمنحه الميدالية الذهبية لإسهاماته غير المسبوقة في البحث العلمي. وأصدر العديد من الكتب في التسعينيات، منها *On Television, Pascalian Meditations, Masculine Domination, Acts of Resistance and Firing Back*، وكان آخر مشروعاته البحثية الكبيرة حول سياسة الإسكان العام في فرنسا قد أسفر عن نشر *The Social Structures of the Economy* عام ٢٠٠٠. وظهرت العديد من كتبه على قوائم الكتب الأفضل مبيعاً، الأمر الذي منحه صوتاً نافذاً، يتجاوز مجتمع البحث العلمي فقط، وتوفي في العام ٢٠٠٢.

اقترح بورديو علم اجتماع السلطة مع تركيز خاص على كيفية إسهام البعد الرمزي للهيمنة في إبقاء وتطوير التفاوت الاجتماعي (Social Inequality) من خلال تورية حقائقه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. ويتناول علم اجتماع «السلطة الرمزية» (الذي سكه بورديو) موضوعاً مهماً، هو العلاقات بين الثقافة والبناء الاجتماعي

والعمل. وكان التصور المسبق المحوري لدى بورديو (سواء أكان يقوم بدراسة الفلاحين الجزائريين أم أساتذة وطلاب الجامعات، أم الكتّاب والفنانين، أم القيادات الكنسية) هو: كيف تستمر النظم الاجتماعية للتراتبية والهيمنة، ويعاد إنتاجها عبر الأجيال من دون مقاومة فاعلة ومن دون المعرفة الواعية لأفرادها؟ ويمكن تلمس الإجابة عن هذا السؤال ـ كما يرى بورديو ـ من خلال تناول كيف أن الموارد والعمليات والمؤسسات الثقافية تضع الأفراد والمجموعات في تراتبيات هيمنة متنافسة. وواصل دعوته الجريئة بأن جميع الرموز والممارسات الثقافية، بدءاً من التذوق الفني وأسلوب اللبس وعادات الأكل إلى الدين والعلوم والفلسفة (وحتى اللغة في حد ذاتها) تجسد مصالح وتعمل لتعزيز التمايزات الاجتماعية. وتعيد نظريته المتعلقة بالسلطة الرمزية صياغة مفهوم العلاقات والجوانب الرمزية والمادية للحياة الاجتماعية من خلال توسيع فكرة المصلحة الاقتصادية لتشمل المجال الثقافي. وهناك مصالح رمزية تماماً كالمصالح المادية، وصاغ مفهوم الثقافة بوصفه شكلاً من أشكال رأس المال (رأس المال الثقافي) بقوانينه المحددة للتراكم والتبادل والممارسة.

ويعتبر بورديو أن العمل الحثيث على حدوث تمييز اجتماعي ـ أياً كانت صوره الرمزية ـ هو بعد أساسي للحياة الاجتماعية ككل، كما أن الصراعات الطبقية هي صراعات للتصنيف. ومن هنا، فإن القضية الأكبر هي علاقات السلطة بين الأفراد والجماعات والمؤسسات (وبخاصة النظام التعليمي). وفي واقع الأمر، يعتبر

بورديو أن السلطة ليست نطاقاً دراسياً منفصلاً، لكنها تقع في قلب الحياة الاجتماعية. تتطلب الممارسة الناجحة للسلطة تشريعاً، لذا فإنه اقترح أيضاً نظرية عن «العنف الرمزي»، و«رأس المال الرمزي» تؤكد الدور النشط الذي تؤديه الأشكال الرمزية بصفتها موارد يشكلانها معاً (العنف الرمزي ورأس المال الرمزي)، وتحافظ على بناءات السلطة. وبالنسبة إليه، ليست المصلحة والثقافة متعارضتين أساساً، لكنهما مترابطتان معاً، إذ لا ينفصل السعي لتحقيق المصلحة المادية عن الفهم الثقافي لما قد تكون عليه هذه المصلحة، ولا تخلو الثقافة ـ حتى في صورتها المجردة والمثالية ـ تماماً من المصلحة الثابتة.

ولهذا، تركز أعمال بورديو على كيفية وضع التحول الاجتماعي الثقافي للأفراد والمجموعات داخل تراتبيات وضعية تنافسية، وكيف أن مجالات الصراع المستقلة نسبياً تحصر الأفراد والمجموعات في التنازع على الموارد القيمة، وكيف أن مثل هذه النزاعات الاجتماعية يعاد تقسيمها بتصنيفات رمزية، وكيف يتبع الفاعلون (Actors) استراتيجيات لتحقيق مصالحهم داخل مثل هذه المجالات، ومن ثم، لا تخلو الثقافة من محتوى سياسي، لكنها تعبر عنه أيضاً.

وقدم بورديو أيضاً «نظرية الممارسة»، إذ ركز، من خلال التفكير في العمل الإنساني باعتباره ممارسات، على ما يفعله البشر بالفعل، بدلاً من توكيد ما يقولونه أو ما تطبقه النماذج النظرية الرسمية على أنشطتها التي تم تنميطها. ويرى أن معظم الأفعال الإنسانية تنبع من شعور عملي بالأشياء، ويسترشد في ذلك بمفهومه

الرئيس حول العادات ـ وبخاصة الراسخة منها ـ الناجمة أو المنقولة عن تأثيرات تحول اجتماعي سابق، تكون أيضاً مؤدية إلى عمل وتنظيم ممارسات، وهو ما يعطي العمل صفة استراتيجية، لأنه يتحقق في ظل ظروف مضطربة خلال الزمن والمكان. ويعني بورديو بالاستراتيجية ـ وهذا ما أربك النقاد ـ أن الفعل لا يتم احتسابه بوعي على نطاق كبير، ولا يكون محكوماً بقواعد مشددة، بل هو ارتجال مبني بشعور عملي، وليس حساباً معقولاً.

وتتم الممارسات في مجالات من الصراع تسمى «المجالات» (Fields). ويربط هذا المفهوم المحوري في علم اجتماع بورديو عمل العادات ببنائية السلطة في المجتمع الحديث، وهي صياغة مفهومية للمجتمع الحديث، باعتباره مجموعة من المفردات المستقلة نسبياً، لكنها تتكامل في ما بينها في مجالات إنتاج وتدوير واستهلاك أشكال عديدة من الموارد الثقافية والمادية. وتشتق الممارسات من التقاطع بين العادات والمجال، ومن ثم، فإن المجالات تتوسط العلاقة بين البناء الاجتماعي والممارسة الثقافية.

وقدم بورديو أيضاً تركيزاً منتظماً على فهم نظرية المعرفة ممارسات العلوم الاجتماعية. وهناك موضوع رئيس في أعمال بورديو يحذر من وجهات النظر الجزئية والمقسمة إزاء الحقيقة الاجتماعية الناتجة من الثنائية الرئيسة للفاعل ـ المفعول به التي غزت العلوم الاجتماعية منذ بدايتها الأولى. إن المداخلات المتعارضة من قبيل النظرية ضد الملاحظة التطبيقية، والمناهج الكمية ضد المناهج

النوعية، وعلم الاجتماع الجزئي ضد علم الاجتماع الكلي، والتفسير السببي ضد الفهم التفسيري، والمادية ضد المثالية، تعمل ـ هذه المداخلات ـ بوصفها تصنيفات اجتماعية (وهي سياسية بالفعل) ومفهومية تضيق وتقلل الانقسامات بين التخصصات العلمية والمجالات الفرعية والمدارس النظرية، فهي تقسم العلوم الاجتماعية إلى معسكرات متحاربة، حيث يستخدم البحث العلمي ليناصر طرفاً ضد آخر. وبالنسبة إلى بورديو، يتطلب الحل ممارسة علم اجتماعي أصيل، يتمتع بكونه نقدياً ومعبراً، يربط بشكل مستمر العوامل والأبنية، ويضع مجالات العلوم الاجتماعية كلها في إطاراً أوسع من علاقات السلطة التي تشمل الباحثين وتكون هدفاً لدراساتهم. واقترح بورديو، لهذا الغرض، إطاراً يقوم على نظرية المعرفة، ويدعو إلى رؤية نقدية للممارسات النظرية والمنهجية للباحث والمجتمع العلمي، وأيضاً لممارسات من يكونون هدفاً للبحث في الدراسات العملية. وهكذا طالب بورديو «بالانعكاسية» أي النقد الذاتي المستمر لمراقبة الظروف الاجتماعية التي تجعل من العمل السوسيولوجي ممكناً.

أخيراً، يرى بورديو أن ممارسة علم الاجتماع «تحليل سوسيولوجي» حيث يقوم عالم الاجتماع بالاقتراب من «اللاوعي الاجتماعي» للمجتمع، تماماً كما هي الحال بالنسبة إلى المحلل النفسي عند اقترابه من لاوعي المريض. ويتكون اللاوعي الاجتماعي من المصالح غير المحددة التي يتبعها الفاعلون عند مشاركتهم في النظام الاجتماعي. ووفقاً لبورديو، فإن «عدم معرفة» هذه المصالح المشتركة

هي الشرط الضروري لممارسة السلطة، كما اعتقد أن ظهورها العام سوف يدمر شرعيتهم ويفتح المجال أمام تحولات في الترتيبات الاجتماعية القائمة، وهكذا يصبح علم الاجتماع أداة نزاع قادرة على تقديم قياس للتحرر من قيود الهيمنة. وهنا يتقاطع علم اجتماع بورديو مع النظرية النقدية والسياسة، إذ رأى في أعماله نموذجاً للتدخل السياسي.

واجهت أعمال بورديو نقداً مستمراً، وهناك ستة أوجه للنقد المتكرر لها سيتم ذكرها هنا: **أولاً**، إنه بالرغم من عدم كونه منظراً صلباً لإعادة الإنتاج الاجتماعي والثقافي، فإن بعض النقاد وجهوا له مثل هذه التهمة، إن قوة بورديو الفعلية تتضح في تحديده أنماط الاستمرار وإعادة الإنتاج بدلاً من لحظات الإبداع أو الحث على التغيير. **ثانياً**، إذا كانت إحدى نقاط قوة أعماله تكمن في تحديد الطرق التي يهتم بها العمل، حتى عندما لا يبدو كذلك، فإنه يترك مكاناً محدوداً للتقدير غير المهتم من خلال معاملة الأفعال كلها، بوصفها استراتيجيات مشتقة من تقاطع العادات مع المجالات. **ثالثاً**، يحمل مفهوم العادات ثقلاً نظرياً أكثر مما يفترضه الكثير من النقاد، ومن الصعب على الكثيرين منهم توثيقه عملياً بقيمة ما. **رابعاً**، إن تعريف بورديو للتمثيل في التحليل البنيوي لا يمنح درجة استقلال الفاعل التي يرغب الكثير من النقاد في تلمسها. وسيرغب الكثيرون في منح الثقافة مزيداً من الاستقلال عن التنظير البنائي الذي أكده بورديو. وإذا كان مفهوم «المجال» يتوسط بفاعلية ومرونة التعبيرات الخام للتحديد الطبقي للحياة الثقافية، فسوف يظهر نوع من التحديد

المجالي، مثل ممارسات الفاعلين التي تبدو أنها سوف تقلل من وضع المجال. **خامساً**، لا يقدم مفهوم المجال رؤية كافية حول كيفية عمل المؤسسات ـ وبخاصة الدولة ـ بالفعل. **وسادساً**، إن توكيد بورديو ثنائية الذاتية ـ الموضوعية يسبب إعادة تكتل المعارضة الفكرية ضده.

كان تأثير بورديو في العلوم الاجتماعية كبيراً، وشمل مختلف التخصصات، وعلى المستوى الدولي. وكان ذا تأثير رئيس في الأنثربولوجيا وعلم الاجتماع التعليم وعلم اجتماع الثقافة والدراسات الثقافية (في نطاق الثقافة) الأنغلوفونية. إن العناصر الرئيسة للغته المفهومية، مثل إعادة الإنتاج الاجتماعي والثقافي، ورأس المال الثقافي، والعادات، والمجال، والسلطة الرمزية، والعنف الرمزي، قد أصبحت بالفعل جزءاً من المفردات الشائعة لدى العديد من علماء الاجتماع. حتى أن المفاهيم التي سكها بورديو قد شاعت خارج السياق البحثي، وكانت خير عون عند استخدامها في الأبحاث التجريبية الفعلية. وربما كان تأثيره الأكبر في العالم الناطق بالإنكليزية في مجال النظرية الاجتماعية، حيث أصبحت نظريته حول الممارسة وجهة نظر مرجعية مهمة في التنظير المعاصر. وكان ذلك محدداً للغاية في رؤية بورديو لنفسه على أنه باحث تجريبي يزاوج بين النظرية الموجزة والبيانات التجريبية التي تم جمعها. وكانت تأثيراته في البحوث التجريبية أعظم في مجالي علم اجتماع الثقافة والدراسات الثقافية التي تتناول العديد من التخصصات العلمية المتشابكة، كما كان تأثيره في علم اجتماع التعليم قوياً للغاية أيضاً، وكان مفهومه حول رأس المال الثقافي ووجهة نظره حول

إعادة الإنتاج قد حظيا بنقاشات وبحوث موسعة. وبالرغم من أن مؤلفه **التميز** *(Distinction)* قد حظي بدراسات واقتباسات مستفيضة، فإن تأثيره في علم الاجتماع كان محدوداً مقارنة مع غيره من أعمال بورديو.

كان تحليل بورديو حول كيف أن التصنيفات الرمزية تحجب السلطة الطبقية وتوفر الأدوات للتمايزات الاجتماعية إسهاماً رئيساً في علم اجتماع الثقافة المعاصر. وبالفعل، تعتبر إعادة صياغة بورديو لمشكلة الأيديولوجيا والوعي المزيف أحد إسهاماته المحورية في دراسة الطبقة والسلطة في المجتمعات الحديثة. وقدم ـ أكثر من أي عالم اجتماع معاصر آخر ـ أسلوباً نظرياً فاعلاً لدراسة الثقافة وجعلها في مكان محوري في علم الاجتماع المعاصر. كما أسهم في تطوير مجال فرعي لعلم اجتماع الثقافة والدراسات الثقافية التي تقوم على التخصصات العلمية المختلفة والمتشابكة.

انظر أيضاً: **لويس ألتوسير؛ كلود ليفي ـ شتراوس.**

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists*: Emile Durkheim.

■ **أهم الأعمال:**

قائمة من أعماله الكاملة موجودة على الموقع التالي: <http://www.iwp.uni-linz.ac.at/lxe/sektktf/BB/HyperBourdieu.html>.

The Algerians (1962). Boston, MA: Beacon Press.

Reproduction in Education, Society and Culture (1977). With Jean-Claude Passeron: translated from the French by Richard Nice; with a foreword by Tom Bottomore. London; Beverly Hills: Sage Publications. (Sage Studies in Social and Educational Change: v. 5)

Outline of a Theory of Practice (1977). Translated by Richard Nice. Cambridge, MA: Cambridge University Press. (Cambridge Studies in Social Anthropology; 16)

Distinction: A Social Critique of the Judgement of Taste (1984). Translated by Richard Nice. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Homo academicus. (1988). Translated by Peter Collier. Stanford, CA: Stanford University Press.

The Logic of Practice (1990). Translated by Richard Nice. Stanford, CA: Stanford University Press.

In Other Words: Essays Towards a Reflexive Sociology (1990). Translated by Matthew Adamson. Stanford, CA: Stanford University Press.

Language and Symbolic Power (1991). Edited and introduced by John B. Thompson; translated by Gino Raymond and Matthew Adamson. Cambridge, MA: Harvard University Press.

The Craft of Sociology: Epistemological Preliminaries (1991). With Jean-Claude Chamboredon and Jean-Claude Passeron; edited by Beate Krais; translated by Richard Nice. Berlin; New York: Walter de Gruyter.

An Invitation to Reflexive Sociology (1992). With Loic J. D. Wacquant. Chicago, IL: University of Chicago Press.

The Field of Cultural Production: Essays on Art and Literature. (1993). Edited and introduced by Randal Johnson. New York: Columbia University Press.

Sociology in Question (1993). Translated by Richard Nice. Thousand Oaks, CA; London: Sage Publications. (Theory, Culture and Society)

The Rules of Art: Genesis and Structure of the Literary Field (1995). Stanford, CA: Stanford University Press.

The State Nobility: Elite Schools in the Field of Power (1996). Translated by Lauretta C. Clough. Stanford, CA: Stanford University Press.

On Television (1998). Translated from the French by Priscilla Parkhurst Ferguson. New York: New Press.

Acts of Resistance: Against the Tyranny of the Market (1998). Translated by Richard Nice. New York: New Press.

The Weight of the World: Social Suffering in Contemporary Society (1999). Translated by Priscilla Parkhurst Ferguson [et al.]. Cambridge: Polity Press.

Pascalian Meditations (1999) Stanford, CA: Stanford University Press.

Masculine Domination (2001). Translated by Richard Nice. Stanford, CA: Stanford University Press.

Firing Back: Against the Tyranny of the Market (2003). Translated by Loïc Wacquant. New York: New Press.

The Social Structures of the Economy (2005). Translated by Chris Turner. Cambridge, UK: Polity Press.

■ قراءات إضافية:

Derek Robbins (1991). *The Work of Pierre Bourdieu: Recognizing Society*. Boulder, CO; San Francisco: Westview Press.

Craig Calhoun, Edward LiPuma, and Moishe Postone (eds.) (1993). *Bourdieu: Critical Perspectives*. Chicago, IL: University of Chicago Press.

David Swartz (1997). *Culture and Power: The Sociology of Pierre Bourdieu*. Chicago, IL: University of Chicago Press.

Bridget Fowler. *Pierre Bourdieu and Cultural Theory: Critical Investigations* (1997). Thousand Oaks, CA: Sage Publications. (Theory, Culture and Society)

Richard Jenkins (2000). *Pierre Bourdieu*. London: Routledge.

Derek Robbins (2000). *Bourdieu and Culture*. Thousand Oaks, CA: Sage Publications.

David Swartz and Vera L. Zolberg (eds.) (2004). *After Bourdieu: Influence, Critique, Elaboration*. Dordrecht: Kluwer Academic Publishers.

باسل بيرنشتاين Basil Bernstein

باسل بيرنشتاين هو أحد أكثر علماء الاجتماع البريطانيين أصالة خلال النصف الثاني من القرن العشرين. كان مبدعاً بصورة ملحوظة، وواصل إنتاج أعمال كبيرة حتى نهاية عمره. وبالرغم من تصنيف أعماله بطريقة مبسطة، وبوصفها تقع في نطاق علم اجتماع التعليم، إلا أن هذه الأعمال لا تتفق مع مثل هذا التصنيف السهل. ويدين علم اجتماع بيرنشتاين كثيراً للإنتاج الأوروبي في النظرية الاجتماعية، ولعلم اجتماع التعليم البريطاني الذي كان مهتماً به كثيراً. وبينما كانت أعماله تحظى بالتقدير في المملكة المتحدة ـ وبخاصة عند اقتراب نهاية حياته العلمية ـ فإنها كانت تحظى باعتراف عالمي أكبر، وتتمتع بتقدير كبير في أمريكا الشمالية وإسبانيا والبرتغال وأمريكا اللاتينية وأستراليا واسكندنافيا. ويمكن للمرء أن يرجع التحول في فكر بيرنشتاين ـ من خلال استقراء حياته الفكرية كلها ـ من أحد أشكال البنيوية المتأثرة بدوركهايم وموس إلى نسخة فردية من «ما بعد البنيوية».

ولد بيرنشتاين في العام ١٩٢٤، وبدأ حياته العملية في أحد الأعمال الأسرية، ثم توجه نحو دراسة علم الاجتماع في مدرسة لندن للاقتصاد عام ١٩٤٧. وعمل مدرساً بعد تأهله، لكنه أصبح باحثاً مساعداً في جامعة لندن عام ١٩٦٠. ثم انتقل إلى معهد التعليم عام ١٩٦٢، حيث قضى بقية حياته العملية هناك، وأصبح أستاذ علم اجتماع التعليم، وظل منتجاً فكرياً حتى وفاته عام ٢٠٠٠. قامت أعماله على نوع من التصورات المسبقة لعلم اجتماع التعليم البريطاني ـ ولا سيما العلاقات بين العملية الدراسية والإشباع الاجتماعي ـ بالرغم من اختلاف منهجه بصورة كبيرة عن أغلبية زملائه البريطانيين. وتدين أعماله أكثر لأسلوب الفكر الأوروبي، وبخاصة الفرنسي، بالرغم من محاولاته الدائمة للمزاوجة بين المشروعات النظرية العامة والشواهد العملية.

ولم يكن حتى الضليعين نسبياً بعلم الاجتماع لدى باسل بيرنشتاين مدركين دائماً أن أعماله المبكرة تضمنت بعض إرهاصات العلاج النفسي، إذ كتب عن العلاج النفسي، بوصفه وسيطاً لمرحلة جديدة من السرد والتجارب والهويات، قبل أن يضع نظريات علم الاجتماع اللغوي للتحول الاجتماعي في المنزل والمدرسة أو نماذج القضايا المرتبطة بعملية التعليم. ويمكن أن يكتشف المرء في هذا العمل المبكر إمكانات وجود تحليل دلالي للحديث وتكنولوجيات للموضوعية. وبدأ في أعماله الأخيرة بتجسيد رؤية «لمجتمع تعليمي شامل» بوصفها شكلاً اجتماعياً، نتج من مبادئ التعليم المستمر، وشبكات المعلومات الدولية، وأساليب تطوير الذات والانهماك في

التدريب. وطور بيرنشتاين بين هذين القطبين المتزامنين لشخصيته الفكرية مجموعة ملحوظة من تصورات علم الاجتماع. وأراد أن يبحث ويفهم كيف تكون العوامل الاجتماعية في مواقع مختلفة، وكيف أن الموارد الرمزية الموزعة اجتماعياً تمكن بصورة تفاضلية من بناء المعرفة والخبرة، وكيف تبنى المؤسسات لتعمل بوصفها وكالات مختارة للتوالد والإنتاج.

كان بيرنشتاين باحثاً مقداماً، وبالرغم من اعتماد أعماله على علم اجتماع التعليم، فإن برنامجه الفكري كان يتجاوز دائماً علم اجتماع العملية المدرسية. وبالفعل، كان سريع نفاد الصبر إزاء زملائه الذين كانوا يرون أن علم اجتماع التعليم الذي أسسه ضيق الأفق جداً. وقام بمفرده بمحاولة جريئة لتكوين تحليل اجتماعي للتعليم في جميع صوره، اعتماداً على أعمال دوركهايم، واستلهاماً من ماركس وميد أيضاً. ولم يكن أبداً من السهل على قراء وطلاب بيرنشتاين تمييز قسمات فكره، والتمييز بين العناصر الرئيسة لبرنامجه الفكري. وبينما كان تدريسه ونقاشه مؤثرين، كانت أعماله المكتوبة معقدة وصعبة الفهم، فأسيء تفسير عمله دائماً، نتيجة ذلك. وتحتوي كتب مدرسية عديدة نقداً ينال من أفكاره بصورة ساخرة، كما هاجم جميع النقاد دائماً هذه التفسيرات الخاطئة، بدلاً من التعامل مع أفكار بيرنشتاين مباشرة.

أصبح بيرنشتاين مشهوراً بفضل أعماله المبكرة حول اللغة والطبقة والتحول الاجتماعي. وتناول في سلسلة أعمال بالمشاركة مع مساعديه في وحدة أبحاث علم الاجتماع العلاقات بين أنواع

استخدام اللغة والطبقة الاجتماعية والنوع. وتشير الأبحاث إلى أنه كانت هناك اختلافات ضئيلة ـ لكنها مهمة ـ بين الطبقات الاجتماعية أو الانقسامات الطبقية ووسائل التعبير الرمزي المتاحة لها. وتمّ التأكيد أن هذه الأنواع المختلفة من الاستخدام اللغوي تمثّل أنواعاً مختلفة من الهوية، وأنواعاً مختلفة من الخبرة، ونظماً مختلفة للمعاني. وارتبط تطور أنواع مختلفة من الاستخدام اللغوي بأنماط التحول الاجتماعي في النظرية العامة لدى بيرنشتاين. كان التمييز الرئيس بين النمطين «الوضعي» و«الشخصي» للتنظيم الداخلي والتحول الاجتماعي الرئيس. وعكس ما سبق أنواعاً متباينة من تأصيل اللغة والمعنى والهوية. يمسك بيرنشتاين بالنمط الوضعي، والأنواع اللغوية المرتبطة به، باعتبارها إحدى خصائص الطبقة العاملة والطبقة الوسطى «القديمة». بينما أنتج النوع الشخصي (التشخيص أو التحول إلى النمط الشخصي) الحقائق الاجتماعية المميزة للطبقة الوسطى «الجديدة». وتحدد الطبقة المتوسطة «الجديدة» بوصفها تشمل المجموعات التي تمتهن أساساً أعمالاً تقوم على العمل الرمزي والإنتاج الثقافي (في التعليم ووسائل الإعلام وعلى مستوى الأفراد والإعلان وما إلى ذلك)، بينما تعنى الطبقة المتوسطة «القديمة» بالإنتاج المادي والتجاري. وهكذا، يزاوج بيرنشتاين بين اللغة والتحول الاجتماعي في تكوين أنواع محلية واجتماعية مختلفة. وتعتمد النظم الوضعية على وسائل التحكم الاجتماعي الصريحة التي تعرف بوضوح باعتبارها أدواراً وهويات اجتماعية، تحدد على نطاق واسع من خلال الوضع الاجتماعي (مثل النوع والجيل). ومن جهة، فإن التشخيص

(Personalizing) ونظم الطبقة الوسطى الجديدة تحددها هويات ومعانٍ يتم التفاوض حولها على المستوى الفردي، وتكون فيها حدود النوع والجيل متداخلة، كما تكون هي بحد ذاتها عرضة للتفاوض. لقد تم إيجاز هذه الأفكار في تمييزه بين القوانين «المقيدة» و«المدروسة»، وهي التي اعتبرت مبادئ بنائية أكثر من كونها أنماطاً لغوية. وكان بيرنشتاين في هذا البرنامج البحثي العملي حول التحول الاجتماعي أحد علماء الاجتماع القلائل من جيله الذين أولوا اهتماماً مستمراً بالنوع والنطاق المحلي (Domestic Sphere).

وسع بيرنشتاين نموذجه اعتماداً على الأنماط النموذجية النوعية للتحول الاجتماعي ليشمل مجال المؤسسات التعليمية. وخلال قيامه بذلك، طور رصداً منتظماً للعلاقات بين التنظيم المدرسي والمناهج والعملية التعليمية، وقدم هذا التطوير تحليلاً مقترحاً لكيفية قيام الأطر الاجتماعية للمعرفة المدرسية ـ بدورها ـ في تكوين هويات الطلاب والمدرسين، والولاء والاعتماد على المعرفة المدرسية. ورأى أن ما يمكن وصفه بالأنماط «التقدمية» للمنظمات التعليمية والعمليات التعليمية (ذات الفروق الأقل والمرونة الأكثر في التدريس) كان منسجماً مع الرؤية العالمية العامة للطبقة الوسطى «الجديدة»، بينما تنسجم الترتيبات الأكثر ترابطاً ببعضها البعض بالطبقة الوسطى القديمة. يمكن رؤية الاعتراضات القائمة حول العملية المدرسية في ضوء الاعتراضات الرمزية بين ممثلي الفئات الطبقية المختلفة. وتطورت أفكار بيرنشتاين من خلال مفاهيم، مثل مفهوم «التصنيف» المرتبط بتنظيم المناهج، ومفهوم «التأطير» المرتبط بتنظيم العملية التعليمية. ومرة أخرى، استخدم فكرته عن «القوانين»

المنتجة للتعبير عن هذه العلاقات المنتظمة، وكانت هذه الأفكار مؤثرة بشكل خاص في السبعينيات، عندما وجه ما يعرف بعلم اجتماع التعليم الحديث اهتمامه إلى محتويات التعليم، بدلاً من النظم التعليمية نفسها. غير أن إيحاءات بيرنشتاين وعلم اجتماع التعليم الحديث كانت متباعدة. وبالرغم من أن الأفكار قد تطورت بشكل شامل وبصورة مستقلة، فإنه كانت هناك نقاط التقاء في الأفكار بين تصورات بيرنشتاين للمعرفة المدرسية وأفكار بيار بورديو حول كيفية عمل المعرفة التعليمية ضمنياً بوصفها مبدأ للتجانس الاجتماعي والثقافي.

قام بيرنشتاين في الثمانينيات والتسعينيات بتطوير أفكاره حول العملية التعليمية مرة أخرى، فكثف، في مجموعة دراسات مميزة، تحليله المبادئ المنظمة للمعرفة التعليمية ومبادئ ممارسات العملية التعليمية، وأخرج عدداً من التحليلات المعمقة للمبادئ التي تحكم العمليات التعليمية المختلفة. وتظل هذه التحليلات مرتبطة بالمعتقدات والمبادئ الطبقية (القائمة على الطبقة (Class-based)) لأنها تمّت في إطار التعليم. وبالرغم من أن اهتماماته الرئيسة كانت في العملية المدرسية أكثر من التعليم العالي، فإن أفكار بيرنشتاين كانت ذات قيمة خاصة في إرشاد الأنثربولوجيا الأكاديمية. وهناك تغيرات حديثة في الممارسات المعرفية في الجامعات تدين لتحليلات بيرنشتاين، ولا سيما توكيده المستمر معايير واضحة ومحاسبية و«مهارات» تدريبية.

انظر أيضاً: **ماري دوغلاس**.

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists*: Emile Durkheim.

■ أهم الأعمال:

Class, Codes and Control, Vol. I: Theoretical Studies Towards a Sociology of Language (1971). London: Routledge and Kegan Paul.

Class, Codes and Control, Vol. II: Applied Studies Towards a Sociology of Language. (1973). London: Routledge and Kegan Paul.

Class, Codes and Control, Vol. III: Towards a Theory of Educational Transmission (1976). London: Routledge and Kegan Paul.

Class, Codes and Control, Vol. IV: The Structuring of Pedagogic Discourse (1990). London: Routledge and Kegan Paul.

Pedagogy, Symbolic Control, and Identity: Theory, Research, Critique (1996). London: Taylor and Francis. Rev. ed. London: Rowman and Littlefield (2000).

■ قراءات إضافية:

Paul Atkinson (1985). *Language, Structure and Reproduction*. London: Methuen.

Alan R. Sadovnik (ed.) (1995). *Knowledge and Pedagogy: The Sociology of Basil Bernstein*. Norwood, NJ: Ablex Pub. (David C. Anchin Series in Social and Policy Issues in Education)

Madeleine Arnot (2001). «Bernstein's Sociology of Pedagogy: Female Dialogues and Feminist Elaborations.» in: Kathleen Weiler (ed.). *Feminist Engagements: Reading, Resisting, and Revisioning Male Theorists in Education and Cultural Studies*. New York: Routledge.

Ana Morais [et al.] (2001). *Towards a Sociology of Pedagogy: The Contribution of Basil Bernstein to Research*. New York: Peter Lang. (History of Schools and Schooling; v. 23)

«Basil Bernstein's Theory of Social Class, Educational Codes and Social Control.» (2002). *British Journal of Sociology of Education*: vol. 23, Special issue.

Johan Muller, Brian Davies and Ana Morais (eds.) (2004). *Reading Bernstein, Researching Bernstein*. London; New York: RoutledgeFalmer.

هوارد س. بيكر Howard S. Becker

يعتبر هوارد سول بيكر واحداً من أهم الشخصيات المؤثرة في تيار التفاعل الرمزي. ولد في العام ١٩٢٨، وترعرع في شيكاغو، ودرس هناك درجاته العلمية الثلاث كلها، وقضى غالبية حياته العملية في جامعة نيو ويسترن قبل انتقاله إلى جامعة واشنطن عام ١٩٩١. ويعيش حالياً متقاعداً في سان فرانسيسكو مع زوجته ديان هغمان، وهي مصورة فوتوغرافية. ترجع شهرة بيكر إلى دراساته في علم اجتماع الانحراف، لكنه قام بالبحث والكتابة في مجالات أخرى، مثل التعليم والفنون والمنهجية النوعية. ويسعد بيكر كثيراً ـ على العكس من غوفمان وميد وغيرهما من العاملين في تخصصه النظري نفسه ـ عندما يصف نفسه بأنه تفاعلي (Interactionist) فهو طالب متخرج من قسم علم الاجتماع في جامعة شيكاغو، ويشير دوماً إلى أساتذته إيفرت س. هيغ وهربرت بلومر.

كانت الموسيقى أحد المؤثرات المهمة أيضاً في حياة بيكر، إذ عمل في الخمسينيات عازف بيانو لموسيقى الجاز في العديد من

حانات وملاهي شيكاغو، كما كان عضواً في فرقة بوبي لين تريو لموسيقى الجاز. ويؤكد بيكر أنه بدأ عزف البيانو قبل أن يصبح عالم اجتماع بفترة طويلة، وأن عمله يظهر في الأغلب تأثير أحدهما في الآخر (الموسيقى وعلم الاجتماع). نشر أول أبحاثه العلمية بعنوان (The Professional Dance Musician and His Audience) في العام ١٩٥١، وهو العام الذي أتم فيه دراسته الدكتوراه، لكنه واصل كتابته عن الموضوع (الموسيقى) حتى أواخر العام ٢٠٠٠ في مقالة بعنوان: «The Etiquette of Improvisation»، وفي رأي بيكر أن عزف الموسيقى الحية هو نشاط اجتماعي يرتبط بالتفاعل مع العازفين الآخرين والجمهور، بما يتبع من قواعد معينة غير معلنة، تصبح ملموسة فقط عندما تحدث. وقد يحدث ذلك، على سبيل المثال، عندما يعزف أحد أعضاء فرقة موسيقية الكثير من النوتات، أو يفشل في تتبع إشارات أحد العازفين الآخرين.

وقد تكون أهم أعمال بيكر البحثية دراسته عن متعاطي الماريجوانا (١٩٥٣) التي نشرت أولاً في مقالة، ثم في كتاب *Outsiders*. ولم يكن هذا البحث يهدف إلى تقديم أي توصيات إجرائية بخصوص تعاطي المخدرات والسيطرة على الجريمة، لكنه ـ البحث ـ كان تدريباً في نظرية ومناهج التفاعل. وكانت وجهة النظر السائدة في ذلك الوقت هي أن متعاطيي المخدرات مجموعة مميزة من الناس لهم طباع نفسية مميزة، إذ رأى بيكر، على العكس من ذلك، أن أي شخص يمكنه أن ينزلق إلى هذه العادة، إذا مرّ بتجربة معينة من

التفاعل، ويرى أن علماء الاجتماع يجب أن يدرسوا العملية الاجتماعية لكون المرء متعاطياً للماريجوانا كأي مؤشر آخر على الانحراف. وحدد بيكر ثلاث مراحل رئيسة، يمكن من خلالها أن يصبح الناس مؤهلين لتفهم «شخصية منحرفة» تتعاطى الماريجوانا: عليهم أولاً أن يتعلموا فنيات التدخين، ثم تعلم كيفية استقبال تأثيرات العقاقير، وأخيراً تفسير المشاعر، مثل اللذة.

مثّلت هذه الدراسة حول استخدام المخدرات أساساً لوجهة نظر بيكر حول علم اجتماع الانحراف، المشار إليها غالباً باسم «نظرية التصنيف». لقد تطور هذا المنهج النظري في الستينيات استجابة للأنماط المألوفة من الجريمة التي كانت سائدة آنذاك. ويرى بيكر أن الانحراف ليس صفة موروثة في نوعيات معينة من الأفراد أو السلوك، لكنه تصنيف يرجع إلى من يكسرون القواعد في وضع اجتماعي معين: وهكذا، فإن الفعل نفسه يمكن أن يكون انحرافاً في سياق ما، لكنه قد لا يكون كذلك في سياق آخر. لا يسأل هذا التعريف النسبي للانحراف عن «من هم المنحرفون؟» أو «ما هو سلوك المنحرف؟»، لكنه يتساءل: لماذا ينظر إلى نوعيات معينة من الأعمال بوصفها انحرافاً في المقام الأول؟ ويسأل: «منحرف بالنسبة إلى من؟»، «وطبقاً لأي معايير اجتماعية؟». تركز نظرية التصنيف على الطريقة التي تقود بها التفاعلات بين صناع القواعد وكاسري القواعد بعض الناس إلى التحول إلى شخصية منحرفة وتغيير شعورهم بالثقة في الذات. إن تصنيفات مثل «لص» أو «مدمن مخدرات» يمكن أن تولّد «وضعاً قانونياً رئيساً» يهيمن على الطريقة التي يرى بها

الناس بعضهم البعض. وبنى على هذه المقاربة علماء اجتماع آخرون، مثل ستان كوهن وجوك يونغ، لإظهار كيف أن وسائل الإعلام قد أسهمت في هذه التصورات العامة للانحراف من خلال تكوين «شياطين فلكورية» وإثارة «رعب أخلاقي». انتقدت نظرية التصنيف لكونها متعاطفة للغاية مع المنحرفين، وتفترض أنهم ضحايا سلبيون لمجتمع عقابي، ولا توضح ـ النظرية ـ لماذا يضطر بعض الناس إلى تحطيم القواعد الاجتماعية في المقام الأول. ومع هذا، لا تزال هذه النظرية وجهة نظر مؤثرة في علم اجتماع الانحراف.

وعمل بيكر في مجال بحثي رئيس آخر، وهو «ثقافة الطلاب»، أو الطريقة التي يتآلف فيها الناس مع معايير وقيم الحياة الجامعية، فأتمّ ـ بالاشتراك مع بلانش جير ـ دراسة عن الطلاب في مدرسة طبية وجامعة، وفي مدارس تدريب مهني بعنوان *Boys in White and Making the Grade*. وأظهرا أنه بينما يشعر طلاب الكلية بدرجة من الاستقلال الذاتي بخصوص الطريقة التي ينظمون بها أنشطتهم السياسية والاجتماعية في الحرم الجامعي، إلا أنهم يشعرون بالعجز النسبي في التحكم بنجاحهم الأكاديمي. وأكد بيكر ومساعدوه أن مثل هذه المشاعر بالذاتية تؤدي إلى تطور ثقافة طلابية داعمة، تساعد هؤلاء الطلاب، صغار السن، على التعامل مع الأمور المختلفة، وقد تحولت أوجه قلقهم إلى اهتمامات حول المقررات وإبقاء الدرجات عند المعدل المطلوب. وراجع بيكر الكتاب في العام ١٩٥٥، وتناول تأثيرات تزايد البيروقراطية والإدارة في الحياة الجامعية.

ونشر بيكر في العام ١٩٨٢ كتاب *Art Worlds*، وهو دراسة حول السياق الاجتماعي الذي ينتج فيه العمل الفني، وكان هذا يقوم على تجاربه الشخصية عازفاً بيانو لموسيقى الجاز ومصوراً فوتوغرافي، وعلى بحثه العملي المطبق على رسامين وتجار أعمال فنية ومؤلفي موسيقى كلاسيكية وشعراء ومحررين أدبيين. وكان توكيد بيكر هنا هو أن الفن نشاط جماعي، يرتبط بشبكة كاملة من الناس وبالأفراد «الفنانين». إن الأعمال الفنية التي ضمنت في هذه الدراسة المتعلقة بالإنتاج والتوزيع والاستهلاك والفنانين قيدتها عوامل، مثل توافر المواد، وتغير التكنولوجيات والأعراف الفنية، «وقواعد اللعبة» التي تحكم إنتاجهم الفني. إن العمل النهائي للفن الذي يصل إلى الجمهور هو إنتاج عملية اجتماعية ممتدة من التفاوض بين أفراد آخرين في عالم الفن.

واصل بيكر، إلى جانب هذه الموضوعات الفرعية، اهتمامه بالبحث في المناهج ونظرية علم المعرفة، كما كتب حول فنيات الملاحظة التشاركية، والمقابلات، ودراسات الحالة، والتخيل (التصوير) الرقمي، وكان من أوائل من ناقشوا تأثير الحاسبات الآلية في العمل الأكاديمي. ودخل عام ١٩٦٧ في سجال مستمر مع ألفن وارد غولدنر حول قيمة الحرية في العلوم الاجتماعية، مؤكداً أن علماء الاجتماع لا يمكنهم، ويجب ألا يسعوا إلى أن يكونوا موضوعيين. وأكد في ورقته العلمية التي حملت عنوان «Whose Side Are We On?» أن المصالح الشخصية تشكل بصورة حتمية الطريقة التي يختار بها الباحثون موضوعات وقضايا دراساتهم، وهو الأمر نفسه الذي يجب أن يكون عليه الحال في العمل الاجتماعي. إن فكرة البحث غير السياسي أو

المتحرر من القيم هي أسطورة، لذا يجب على علماء الاجتماع أن يأخذوا جانباً ما في الصراعات الاجتماعية. علاوة على ذلك فإنه في ضوء كون غالبية البحوث الاجتماعية تخدم مصالح جماعات مهيمنة، فإنه من واجب عالم الاجتماع أن يأخذ جانب الطرف الأضعف مثل المنحرفين المهمشين.

كتب بيكر بوضوح استثنائي طوال فترة عمله، وقام بتوصيل الأفكار النظرية بطريقة مباشرة ويسيرة الفهم، كما كان كاتباً ذا دعابة واضحة، تسر كتبه ودراساته المتنوعة القارئ. وأسلوب الكتابة هذا، هو الذي قام بتطويره عن وعي، وناقشه في كتابيه حول دراسة المهارات: *Writing for Social Scientists* و *Tricks of the Trade*. ويزيل بيكر في هذين الكتابين بعض القواعد العامة المعروفة عن الكتابة الأكاديمية، سواء بالنسبة إلى الطلاب أم الأساتذة، على حد سواء. ويوضح ـ بصورة خاصة ـ أنه لا يوجد أحد يكتب بصورة مثالية في المرة الأولى، لكن «الكتابة الجيدة» تتحقق من المراجعة المستمرة وتدقيق النصوص.

ويصف بيكر على موقعه الشخصي كيف أنه كان مضطرباً بخصوص عالم اجتماع يسمى هوارد بول بيكر، كان له تاريخ أسري عتيد، وكان شخصية معروفة للأصدقاء والمعجبين باسم «هوبي»، وهو ذو شخصية مختلفة تماماً وعاش حياة حافلة، فمن عازف بيانو لموسيقى الجاز، ومن مصور فوتوغرافي إلى باحث ومنظر وأستاذ، حظي بيكر بمكانة كبيرة بين علماء الاجتماع الأكثر تأثيراً.

انظر أيضاً: إرفنغ غوفمان.

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists*:
Charles Cooley, George Herbert Mead, Albion Small.

■ أهم الأعمال:

Boys in White; Student Culture in Medical School (1961). Chicago, IL: University of Chicago Press.

Outsiders: Studies in the Sociology of Deviance (1963). New York: Free Press.

«Whose Side Are We On?.» (1967). *Social Problems*: vol. 14.

Art Worlds (1982). Berkeley, CA: University of California Press.

Writing for Social Scientists: How to Start and Finish Your Thesis, Book, or Article. (1986). Chicago, IL: University of Chicago Press. (Chicago Guides to Writing, Editing, and Publishing)

Making the Grade: The Academic Side of College Life (1995). With Blanche Geer, Everett C. Hughes; with a new introduction by Howard S. Becker. New York: Wiley.

Tricks of the Trade: How to Think about Your Research While You're Doing It (1998). Chicago, IL: University of Chicago Press. (Chicago Guides to Writing, Editing, and Publishing)

«The Etiquette of Improvisation.» (2000). *Mind, Culture and Activity:* vol. 7.

■ قراءات إضافية:

Jock Young (1971). *The Drugtakers: The Social Meaning of Drug Use*. London: MacGibbon and Kee. (Sociology and the Modern World)

Stanley Cohen (1972). *Folk Devils and Moral Panics: The Creation of the Mods and Rockers*. London: MacGibbon and Kee. (Sociology and the Modern World)

ألين تورين Alain Touraine

ولد ألين تورين عام ١٩٢٥، وكان لسنوات عديدة أحد كبار المنظرين السوسيولوجيين في فرنسا، وقام بعمل أبحاث وكتابات حول مجموعة كبيرة من الموضوعات السوسيولوجية المحورية، بما فيها العمل وما بعد التحول الصناعي والديمقراطية وعدم المساواة. على أي حال، فإنه معروف أكثر بأعماله حول الحركات الاجتماعية وكل من نظرية الفعل والتجديدات المنهجية التي تفرعت منها.

كتب تورين طوال السبعينيات سلسلة دراسات حول العديد من الحركات الاجتماعية، بما فيها حركات الاحتجاج في أيار/مايو عام ١٩٦٨ في باريس والحركات العمالية وحركة السلام. وبجانب هذه الدراسات المحددة، كان أحد أوائل الكتّاب - إن لم يكن أولهم بالفعل - الداعين إلى القول إن نمط الصراع في المجتمعات الغربية قد تحول من شكل الصراع بين رأس المال والعمال، كما وصفه كارل ماركس، إلى شكل جديد، يتمركز على «الحركات

الاجتماعية الجديدة» أو، كما تعمد كتبه إلى تأطير المسألة، «ال» حركة الاجتماعية الجديدة. ويرى أن التحول الاقتصادي بعد الصناعي ونمو حال الرفاهية قضيا على الصراعات العمالية، وأفسحا الطريق أمام نوع جديد من المجتمعات، هو المجتمع الذي يطلق عليه مصطلح «المجتمع المبرمج». ويواصل القول إن الحركة الاجتماعية الجديدة قد ظهرت رداً على أشكال المنظمات أو «نمط تاريخي» لهذا النوع الجديد من المجتمعات والقيود والفرص والحوافز العديدة التي ولدها.

ومن الصعب جداً اجتزاء معنى المفاهيم المحورية لدى تورين، فما يعنيه «بنمط تاريخاني» هو تجميع للنماذج الثقافية والمعرفية والاقتصادية والأخلاقية، بطريقة يعمل من خلالها المجتمع اعتماداً على نفسه وبيئته لإنتاج وإعادة إنتاج ذاته. وهو الشكل المنظماتي الأساسي للمجتمع. ويتسم «المجتمع المبرمج» بدرجة أكثر كثافة من إنتاج الذات وإدارتها أكثر مما كانت تقوم به المجتمعات السابقة. وتتزايد في مجتمع ما بعد الصناعي درجة الإدارة من خلال توكيل وحدات تنظيمية محددة وخبراء، وسلوك أعضائه، والتنظيم والتنسيق بين وظائفه الداخلية وعلاقاته ببيئته الخارجية. يوجد هنا تكرار لفكرة ثيودور أدورنو وماكس هوركيمير عن «المجتمع المدار» (Administrated Society)، كما يوجد تأثر بفكرة غدنز عن «التحول الحداثي الاستجابي» (Reflective Modernization). إن المجتمع المبرمج هو مجتمع يكون أكثر وعياً بذاته، ويقوم بصورة أنشط

بتحديد وتأمين الظروف الضرورية لازدهار هذا المجتمع. ولم يقم تورين بتقديم واضح لكيفية وسبب قيام هذا النوع من المجتمع ونمطه التاريخي بإحداث أشكال جديدة من الصراع، ومن جهة أخرى، فإن معنى الكثير مما يكتبه متعلق بتزايد التحكم والتعقيد في ما يتعلق بتوليد التوتر، وهو الأمر الذي يؤدي بدوره إلى تكوين الصراع والحركة، كما يؤدي إلى وضع انفتاح المجتمع أمام تزايد مطالب لإدارة الاستجابية بتنظيم المجتمع محل تساؤل، وطرح مقولات مغايرة حول كيفية وجوب إدارته. وعلى سبيل المثال، فإن الإدارة السياسية النشطة للأسرة من خلال الخدمة الاجتماعية والسياسة الاجتماعية تؤدي إلى الاستياء من تدخل الدولة في حياة مواطنيها الخاصة، كما تضع الأسرة في الاتجاه الذي يمكنها من التناول في القنوات غير البرلمانية، مثل الأفراد والمجموعات والحركات الراديكالية، مثل الحركات النسوية. تفتح جوائز التدخل صندوق باندورا، وغالباً ما تحصل الوكالات المتدخلة على أكثر مما تساوم عليه.

كان تورين، من بعض الأوجه، أحد أوائل المنظرين السوسيولوجيين المنتمين إلى ما بعد الماركسية، في توكيده أن هذا المجتمع كان قد دخل حالة جديدة من التاريخانية التي لا يمكن فهمها في ضوء النموذج الماركسي القديم. ويوجد أثر لجوانب النموذج الماركسي في منهجه، وبخاصة في فرضيته الجلية بأن كل نمط تاريخي يرتبط بصراع اجتماعي مركزي وحركة اجتماعية مفردة، ترتبط بهذا الصراع:

«إن الهدف العملي لبحوثنا هو اكتشاف الحركة الاجتماعية التي ستحتل ـ في المجتمع المبرمج ـ المكانة المركزية التي ستتبوأها الحركة العمالية في المجتمع الصناعي وحركة الحقوق المدنية في مجتمع السوق الذي يسبقها».

ولم يكن خافياً عليه تعددية الصراعات في المجتمعات التي يدرسها (ويعيش فيها)، لكنه باعتباره ماركسياً، فإنه موقن، أو على الأقل كان موقناً في غالبية أعماله الرئيسة حول الحركات الاجتماعية، بأنه يكمن وراء هذه الصراعات المتعددة حركة اجتماعية وحيدة ورئيسة، تحدد سمة النمط التاريخي الذي تنتمي إليه، والتي يكون لها مهمة تاريخية عليها الوفاء بها. وتخفف تورين من هذه الرؤية قليلاً في أعماله الأكثر حداثة، غير أنه لا يزال هناك شعور بأنه يعمل بمفهوم محدد للغاية، وإن لم يكن واضحاً على وجه الخصوص، عن الحركات الاجتماعية، لا يود تطبيقه على المجموعة الواسعة من جماعات الاحتجاج الجماعي التي اتفق معظم السوسيولوجيين على تسميتها «الحركات الاجتماعية». وهناك جانب قياسي قوي لمفهومه عن الحركات الاجتماعية الذي يجعله مصمماً على تحجيم تطبيقه بهذا الحزم.

أنجز تورين أغلبية أعماله في وقت كانت البنيوية تهيمن فيه على الحياة الثقافية الفرنسية. على أي حال، فإنه من اللافت للنظر أن أعماله ابتعدت كثيراً عن ناتج البنيوية، وكانت تؤكد قضايا الوكالة

(Agency)، والعملية (Process)، والتغيير. كان قرار دراسة الحركات الاجتماعية بالطبع جزءاً لا يتجزأ من ذلك، وكان يتطلبه إلى حد ما. إن دراسة الحركات الاجتماعية، على الأقل بالأسلوب الذي يتبعه معظم الناس، هي دراسة الطريقة التي يمكن للناس من خلالها، من خلال العمل معاً، أن يحققوا التغيير. وتعتبر هذه صيحة بعيدة تماماً عن البنيوية، وتوجه أنصارها إلى «حل» العوامل (الأفراد) ـ أي تقليل شأنهم لدرجة اعتبارهم مجرد «حاملين» للبناء. والوكالة سائدة تماماً في أعمال تورين، وإن كان نسبياً لدى المنظرين الآخرين للحركات الاجتماعية. وتعمل أغلبية أعماله على تناول الوكالة ووضعها في مقدمة الأمور الأولى بالتحليل. ويرى أن المفهوم المناسب للمجتمع والتغيير الاجتماعي ـ وهو لم يذكر هنا الحركات الاجتماعية ـ يفترض مسبقاً مفهوماً قوياً للوكالة.

وبغض النظر عن هذا التركيز على الوكالة، فإن الحركات ليست شفافة دائماً في حد ذاتها من وجهة نظر تورين؛ لذا فإنه يدافع عما يسميه «التدخلية السوسيولوجية» (Sociological Interventionism). ويعتبر ذلك شكلاً من الأبحاث الاجتماعية التي ترتبط بالحركات العمالية والاجتماعية، في جهد للسماح لها بتوضيح مزيد من طبيعتها وأهدافها. ويصبح عالم الاجتماع أكثر ميلاً لكونه معالجاً نفسياً، وإن يكن عاملاً مع عملاء جماعيين، بما يسمح لهؤلاء العملاء أن يحققوا توضيحاً ذاتياً يمكنهم من متابعة تحقيق مشروعاتهم

وأهدافهم بطريقة أكثر نفعاً. إن تدريب علماء الاجتماع، وتطوير مهاراتهم البحثية ووضعهم الخارجي (في ما يتعلق بحركة معينة) يسمح لهم بمعرفة الجوانب الداخلية للحركات التي قد لا تكون ظاهرة لمن في داخلها. كما يمكنهم أن يزودوا هذا التحليل للمسؤولين الداخليين (داخل الحركة) في محاولة لجعل نتائجهم أدق في إطار المناقشات الداخلية للحركة ذاتها. تظل التدخلية السوسيولوجية محل تساؤل من عدة أوجه، لكنها تعتبر أمراً جديراً بالاهتمام، لأنها واحدة من المحاولات القليلة للغاية في علم الاجتماع المعاصر، ويقدمها بالطبع منظر معاصر رئيس، لتناول ما هو النوع الذي يمكن للدور السياسي العملي لعلم الاجتماع أن يؤديه في الكفاحات السياسية الحالية، وما هي فائدة مهاراتنا ومعرفتنا. ويقترح تورين هنا شيئاً، أقل من عظيم، لكنه أكثر تحديداً من دور «المثقف العام» الذي قد يعمد بعض معاصريه إلى تفاديه. ومن الجدير بالذكر أن لعلم الاجتماع في «المجتمع المبرمج» ـ بجانب العلوم الاجتماعية الأخرى ـ تاريخاً أطول من التدخلية، أكثر مما يدعو إليه تورين في نقده لآراء المجتمع المعاصر، وذا نتائج غير مرغوبة. على أي حال، فإنه يثير سجالاً مهماً حول الدور السياسي والاجتماعي لعالم الاجتماع.

انظر أيضا: **أنتوني غدنز.**

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists:* Theodor Adorno, Karl Marx.

■ أهم الأعمال:

The May Movement; Revolt and Reform: May 1968--the Student Rebellion and Workers' Strikes-the Birth of a Social Movement. Translated by Leonard F. X. Mayhew (1971). New York: Random House.

The Post-industrial Society; Tomorrow's Social History: Classes, Conflicts and Culture in the Programmed Society. Translated by Leonard F. X. Mayhew (1974). London: Wildwood House.

The Self-Production of Society (1977). Translated by Derek Coltman. Chicago, IL: Chicago University Press.

The Voice and the Eye: An Analysis of Social Movements (1981). Translated by Alan Duff; with a foreword by Richard Sennett. Cambridge [Cambridgeshire]; New York: Cambridge University Press; Paris: Maison des sciences de l'homme.

Solidarity: The Analysis of a Social Movement: Poland, 1980-1981 (1983). Cambridge, MA: Cambridge University Press.

Return of the Actor: Social Theory in Postindustrial Society (1988). Foreword by Stanley Aronowitz; translation by Myrna Godzich. Minneapolis, MN: University of Minnesota Press.

Critique of Modernity (1995). Translated by David Macey. Oxford: Blackwell.

What is Democracy? (1997). Translated by David Macey. Boulder, CO: Westview Press.

Can We Live Together?: Equal and Different (2000). Stanford, CA: Stanford University Press.

Beyond Neoliberalism (2001). Translated by David Macey. Cambridge, UK: Polity Press; Malden, MA: Blackwell Publishers.

■ قراءات إضافية:

Alan Scott (1991). «Action, Movement and Intervention: Reflections on the Sociology of Alain Touraine.» *Canadian Review of Sociology and Anthropology*: vol. 28.

تشارلز تيلي Charles Tilly

تطورت أعمال المؤرخ تشارلز تيلي منذ منتصف الستينيات في ما يتعلق بمجموعة من القضايا السوسيولوجية والسياسية المحددة، وهي القضايا التي تناولها باستخدام مقاربة نظامية متحولة. كما تفحص الديناميات العملية، وطور أطر عمل تحليلية، واهتم بتحديد الآليات الاجتماعية التي يحللها ويقارنها على امتداد فترات تاريخية طويلة، ولا يضاهيه في الإنتاجية سوى عدد قليل من الكتّاب. وهكذا، تناول تيلي عدداً كبيراً من الموضوعات، مستخدماً ـ في أغلب الأحوال ـ أساليب توضيحية معقدة للغاية، الأمر الذي يجعل أي مراجعة لأعماله مجرد مراجعة جزئية. تركز أعمال تيلي بدرجة كبيرة على التغيير الاجتماعي وعلاقته بسياسة الانقسام، وبخاصة في أوروبا منذ العام ١٥٠٠.

ولد تيلي في إلينوي عام ١٩٢٩، ودرس بجامعة هارفرد وكلية باليول وأوكسفورد وكلية الكاثوليك الغربيين و(Angers).

وحصل على درجة الدكتوراه في علم الاجتماع من جامعة هارفرد عام ١٩٥٨، وعلم في العديد من المؤسسات، بما فيها جامعة ديلاوير وقسم علم الاجتماع بجامعة هارفرد، ومركز إم. آي. تي ـ هارفرد المشترك للدراسات الحضرية. كما كان أستاذاً لعلم الاجتماع في جامعة تورنتو، ودرس في العديد من الأقسام في جامعة ميتشغان. كان أستاذاً بارعاً في علم الاجتماع والتاريخ في كلية البحوث الاجتماعية الحديثة، وهو حالياً أستاذ للعلوم الاجتماعية في جامعة كولومبيا. كما درس أيضاً، لفترات أقصر، في العديد من جامعات أمريكا الشمالية وأوروبا. وحصلت أعماله على العديد من الجوائز.

تتميز أعمال تيلي بتوجيه الاهتمام نحو العوامل البنائية والمحيطية (Contextual) والقائمة على العلاقات (Relational)، وهو ما عنى تناول تحديد العمليات المتتابعة التي تفقد غالباً في المناهج الكلية القائمة على الشواهد الكمية، وتركز على البحث عن نماذج شاملة. وتطلب اهتمام تيلي بالمتغيرات العلائقية (Relational Variables) أن يولي اهتماماً خاصاً بتكوين الشبكات وتحولها في السياقات التاريخية المختلفة والأثر الوسيط للمتغيرات الديموغرافية والتكنولوجية في تأجيج الصراع السياسي. وتهتم غالبية أعمال تيلي بالتفاعل بين الدولة والحركات، وبخاصة دور بناء الأمة وبناء الدولة في تحديد ملامح الحركات وظهورها، وتغيير الأعمال المألوفة، وتكوين الهويات السياسية، وشبكة عمليات التحول المؤسسي.

كما تناول تيلي قضايا أوسع نطاقاً، مثل عملية تكوين الدولة والتحول الديمقراطي، وعمل على تناول الأسس الفلسفية لمقاربته

الواقعية والعقلانية. وهو ما يميزه تيلي عن البنائية الاجتماعية التي ينظر من خلالها إلى الديناميات العملية التي توجه بناء القضايا على أنها أقل تحديداً، وما يميزه أيضاً عن مناهج ما بعد البنيوية التي يعتبرها متجاهلة دور المتغيرات العلائقية ومتنازلة، من دون ضرورة، عن المحاولات على مستوى التفسيرات غير النظامية، وهو الاهتمام الذي كان مميزاً دائماً منهجه المقارن.

تنظم المقارنات التي يجريها تيلي عبر الأقاليم الفرنسية، دراسته الحركات المعادية للثورة في عمله *The Vandee*، وتناول في هذا الكتاب مشكلة سبب تطور الثورة المضادة في فاندي من خلال تحديد السمات السوسيولوجية المميزة للمجتمع الريفي في مرحلة التحول ومقارنتها بإقليم أنجو. ويحدد تيلي العلاقات المعقدة والمتغيرة بين أصحاب السلطة والفلاحين مؤكداً دور التحضر والبناء الطبقي والجمعيات في تأصيل ردود الفعل إزاء ثورة عام ١٧٨٩. ثم تناول بعدئذ قضايا التنمية والتحديث في التاريخ الاجتماعي لهذه الفترة. لكن بدلاً من البحث عن تفسيرات شاملة، فإنه يركز على العوامل التي تكون سياقاً مختلفاً بشكل كبير، الأمر الذي يؤدي إلى نتائج مختلفة. وبدلاً من رؤيته لفاندي على أنه إقليم رجعي، فإنه يشير إلى أن الفلاحين والأرستقراطية وطبقة رجال الدين لم يكونوا فئات غير متغيرة ولها مصالح ووجهات نظر ثابتة، وقام بفحص تفاعلهم على أساس المتغيرات المحلية والديناميات العملية (Processual Dynamics) التي تتنوع بين السياقين اللذين تم تحليلهما.

وهناك كتاب آخر مبكر ومؤثر لتيلي هو *From Mobilization to Revolution* درس فيه تكون وتحول العمل الجماعي، وأكد الحاجة إلى تعريف السياقات المحددة التي يمر بها المشاركون. وتتضمن الأبنية الاجتماعية التي يمكن فيها حشد المصالح المشتركة، والفرص السياسية التي تنشأ من التفاعل الاستراتيجي مع السلطات، وتغير الأعمال المتكررة. وأكد تيلي أن الحركات التي تحولت من التركيز على مطالب استجابية (Reactive Claims) (ألا وهي محاولات رد الفعل على التحديات) إلى التركيز على مطالب وقائية (Proactive Claims) التي تدافع من خلالها الحركات بصورة متزايدة عن مطالب، لم يتم التعبير عنها سلفاً. ويصوغ تيلي مفهوم «تكرار عمل الحركة» (Movement Action Repertoire) الذي يعتبره مدفوعاً باعتبارات استراتيجية لفاعلية العبء في التفاعل مع الحكومات.

أما كتاب **الفرنسي المشاكس** (*The Contentious French*) فهو يتسم بالأسلوب الواضح والممتع، ويتناول الأثر المشترك لبناء الدولة وبناء الأمة في الحياة اليومية للأفراد الفرنسيين العاديين، ويظهر تيلي تطبيقات لتطور الرأسمالية والتحول الصناعي والتحضر والتحول البروليتاري (مرحلة وصول العمال إلى الوعي بحقوقهم) للعمل على صور الصراع الاجتماعي والسياسي، وابتكار صور جديدة والتخلي عن الصور المطلقة. ويصف أثر أنشطة صنع الدولة، مثل تنظيم السياسة وتوسيع نطاق الخدمة العسكرية وتقديم إحصاءات أكثر دقة عن أساليب الحياة الفردية، وتحليلات لأثر ظهور الأحزاب السياسية وجماعات المصالح في بناء النضال السياسي.

ويعتبر **التفاوت المستمر** (*Duarable Inequality*) كتاباً من الوزن الثقيل، يقوم بصياغة نظرية على قدر كبير من التجريد. وحظي هذا الكتاب بقدر كبير من النقد من قبل المتخصصين في دراسة الطبقات، كما حظي بالاهتمام والجوائز. ويقوم تيلي في هذا الكتاب بتناول العوامل التي تعيد إنتاج التفاوتات القائمة بين الجماعات الاجتماعية المختلفة، وهي التفاوتات التي تستمر باستمرار التفاعلات الاجتماعية. ويتناول تيلي أيضاً الديناميات التي تبلور التفاوتات بين هذه الجماعات المتنوعة، مثل الرجال والنساء، والسود والبيض، والمواطنين وغير المواطنين، ويؤكد أن جميع التفاوتات تنتج من عمليات متشابهة. ويرتبط ذلك بردود فعل متشابهة إزاء مشكلات المنظمات، وإن يكن بأنواع مختلفة من المنظمات. وبغض النظر عن حجم ونوع المنظمة ـ التي يمكن أن تتراوح من منزل إلى حكومة ـ فإن تيلي ينظر إلى التفاوت على أنه مرتبط جذرياً بواقع أن هناك عمليات على الجانبين المختلفين تجعل الأطراف معتمدين على ممارسات متفاوتة سائدة.

أما كتاب *Stories, Identities, and Political Change* فإنه يعيد فيه تقديم بعض أعماله المبكرة في صورة نظامية. ويعتبر الكتاب مقدمة مفيدة لإنتاج تيلي ونظرة عامة عليه، وهو يؤلف مقدمة مفيدة ونظرة عامة على أعماله بالتركيز على ثلاثة مجالات رئيسة، هي: العمليات السياسية، ودور الهويات في هذه العمليات، ودور القصص في تشكيل الهويات.

وينظر تيلي من خلال كتابه *Social Movements 1768-2004* في الحركات الاجتماعية من وجهة نظر أشمل متناولاً آليات انتقالها

وإسهامها في التحول الديمقراطي. ويتناول الطبيعة المتغيرة للحركة الاجتماعية باعتبارها نطاقاً اجتماعياً، وأثر التكنولوجيات الجديدة والعولمة. ويناقش على نطاق واسع أثرها في العالم المعاصر وقابلية تطبيقها في النظم السياسية المختلفة. وامتدت هذه المناقشات إلى عمله *Contention and Democracy in Europe, 1650-2000* حيث يعقد تيلي مقارنة بين التاريخ الفرنسي والتاريخ البريطاني لتحديد الآليات المتعددة التي تؤدي إلى التحول الديمقراطي، وأحياناً إلى القضاء على التحول الديمقراطي (De-democratization). ويؤكد نتائج غير متوقعة للتفاعلات المعقدة بين الأطراف مع الأجندات المتضاربة، مشيراً إلى أن النتائج الديمقراطية قد نتجت من النضالات التي لم يكن للمشاركين فيها نية تكوين مؤسسات ديمقراطية. ويؤكد السمة غير الخطية (Non-linear) لعمليات التحول الديمقراطي التي تتأثر ـ بدورها ـ بديناميات المستوى المحلي والتغيرات الوقتية في البيئات السياسية، والعلاقات الاجتماعية والسياسية. ونتجت عملية التحول الديمقراطي من ديناميات تاريخية معقدة، تتضمن العديد من فترات ومراحل القضاء على التحول الديمقراطي. ويتبع تيلي ـ استناداً إلى هذا التحليل ـ منهجاً واسع النطاق في تناول قضية اتجاهات التحول الديمقراطي المعاصر في أوروبا وأماكن أخرى. ويؤكد مرة أخرى المتغيرات العملية، مثل التفكك الداخلي والاحتلال الأجنبي والأزمات الاقتصادية، وهي المتغيرات التي يربطها بالديناميات القائمة على العلاقات (Relational Dynamics) مثل انهيار العلاقات بين شبكات الثقة والعملاء الحكوميين والفرص السياسية الجديدة الناجمة عن سياسة الانشقاق.

ويتبع كتاب *Trust and Rule* مقاربة أكثر عمومية، ويتناول تكوين ونتائج العلاقة بين شبكات الثقة والنظم السياسية في التاريخ. ويؤكد تيلي هنا دور الصراع السياسي البيني في المتغيرات الحاكمة (Dispositional Variables) موضحاً أن الهويات السياسية تنتج من الديناميات القائمة على العلاقات، وليس من التحكمات النفسية المستمرة، كما تفحص العديد من مناهج الهوية السياسية.

■ أهم الأعمال:

The Vendee (1964). Cambridge, MA: Harvard University Press.

An Urban World (1974). Boston, MA: Little, Brown.

The Rebellious Century, 1830-1930 (1975). With Louise Tilly and Richard Tilly. Cambridge, MA: Harvard University Press.

From Mobilization to Revolution (1978). Reading, MA: Addison-Wesley.

As Sociology Meets History (1981). New York: Academic Press. (Studies in Social Discontinuity)

Big Structures, Large Processes, Huge Comparisons (1985). New York: Russell Sage Foundation. (Russell Sage Foundation 75th Anniversary Series)

The Contentious French (1986). Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University Press.

Coercion, Capital, and European States, AD, 990-1990 (1990). Oxford: Blackwell. (Studies in Social Discontinuity)

European Revolutions, 1492-1992 (1993). Oxford; Cambridge, MA: Blackwell. (Making of Europe)

Popular Contention in Great Britain, 1758-1834 (1995). Cambridge, MA: Harvard University Press.

Roads from Past to Future (1997). Review essay by Arthur L. Stinchcombe. Lanham, MD: Rowman and Littlefield. (Legacies of Social Thought)

Durable Inequality (1998). Berkeley, CA: University of California Press.

From Contention to Democracy (1998). Edited with Marco G. Giugni, Doug McAdam. Lanham, MD: Rowman and Littlefield.

Extending Citizenship, Reconfiguring States (1999). Edited with Michael Hanagan. Lanham, MD: Rowman and Littlefield Publishers .

How Social Movements Matter (1999). Edited with Marco Giugni, Doug McAdam. Foreword by Sidney Tarrow. Minneapolis, MN: University of Minnesota Press. (Social Movements, Protest, and Contention; v. 10)

The Politics of Collective Violence (2003). Cambridge, MA: Cambridge University Press. (Cambridge Studies in Contentious Politics)

Contention and Democracy in Europe, 1650-2000 (2004). Cambridge, MA: Cambridge University Press.

Social Movements, 1768-2004 (2004). Boulder, CO: Paradigm Press.

Economic and Political Contention in Comparative Perspective (2005). With Maria Kousis. Boulder, CO: Paradigm Press.

Trust and Rule (2005). Cambridge, MA: Cambridge University Press.

Identities, Boundaries, and Social Ties (2006). London: Pluto Press.

Why? (2006). Princeton, NJ: Princeton University Press.

■ قراءات إضافية:

Theda Skocpol (ed.) (1984). *Vision and Method in Historical Sociology*. Cambridge, MA: Cambridge University Press.

Dennis Smith (1991). *The Rise of Historical Sociology*. Cambridge, MA: Cambridge University Press.

Sidney Tarrow (1994). *Power in Movement: Social Movements, Collective Action and Politics*. Cambridge, MA: Cambridge University Press.

Mustafa Emirbayer (1997). «Manifesto for a Relational Sociology.» *American Journal of Soociology*: vol. 103, no. 2.

Donatella Della Porta and Mario Diani (1999). *Social Movements: An Introduction*. Oxford: Blackwell.

بول جيلروي Paul Gilroy

تركز كتابات بول جيلروي على تناول الطرق التي يتم بها إفشال محاولاتنا فهم العالم الاجتماعي عن طريق العبودية والإمبراطورية والعنصرية. ومن أوائل تحذيراته وجوب ألا يكون علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية مطية للعنصرية. وبالنسبة إليه، يجب أن يتفادى التصور الاجتماعي ارتباطه بمشروع تصنيف والتحكم في الخاضعين لسيطرة العنصرية. وتتضمن كتاباته مجموعة بديلة من البروتوكولات والأدوات المفهومية لتحقيق فهم للتطبيق المتبادل للعنصرية والحداثة.

ولد جيلروي في لندن عام ١٩٥٦، وأتم دراسته الدكتوراه في مركز الدراسات الثقافية المعاصرة بجامعة برمنغهام. علم في جامعة إيسيكس وجامعة ييل، وهو حالياً أستاذ علم الاجتماع في مدرسة لندن للاقتصاد. وتتراوح أعماله بين علم الاجتماع، والنقد الأدبي، والتأريخ النقدي، والدراسات الثقافية، وعلم الموسيقى. وأحد

الموضوعات المشتركة في كتبه كلها هو أهمية فهم تكون الثقافات والتقاليد داخل وعبر الحدود الوطنية. وذلك واضح بشكل خاص من خلال رقم «المهاجرين» الذين تبقيهم العنصرية أسرى لنا، وحيث يوجد الاستخدام ـ في النقاشات العامة ـ لما يسمى بالمهاجرين لوصف أمراض الأمة وافتقارها إلى الوحدة، وفقدانها الهوية. وتدخل في علم الاجتماع الحديث من خلال أربعة مجالات رئيسة، هي: علم اجتماع القانون والنظام وعلم التشريح الأسود (Black Pathology)، والعلاقة بين الحداثة والإمبراطورية والقومية، والحركة والثقافة، ورفض النزعة المطلقة للاختلاف العرقي والثقافي.

تعتبر برمنغهام ـ وهي ثاني كبرى المدن البريطانية ـ قلب النزعة العرقية البريطانية ومركز مهم للسياسة الثقافية السوداء ومكافحة العنصرية، وبدأ جيلروي في مركز الدراسات الثقافية المعاصرة أبحاثه حول القانون والنظام وعلم التشريح الأسود. وكوّن مجموعة العرق والسياسة بالاشتراك مع طلاب حديثي التخرج، بمن فيهم هازل كاربي، وجون سولوموس، وفاليري آموس، وإيرول لورانس، وسيمون جونز. وفي العام ١٩٨٢ نشرت المجموعة كتاب *The Empire Strikes Back*، وهو الكتاب الذي قدم تحليلاً للعرقية في بريطانيا السبعينيات، كما كان تحدياً سياسياً ومعرفياً لعلم اجتماع العرق والعلاقات العرقية. وكان العديد من المساهمين فيه مثقفين شبان، ولدوا في بريطانيا لمواطنين مهاجرين من المستعمرات البريطانية. وكانت إحدى أهم مقولاته هي أن علم الاجتماع قد

أصبح جزءاً من مشكلة العرقية، بدلاً من أن يقدم حلاً لها. كما درجت الدراسات الأكاديمية على وجه الخصوص على تقديم صور تشخيصية للحياة الأسرية وثقافة السود على أنها تعاني مشكلات اجتماعية ملازمة لهم. وتطور هذا التوجه النقدي عام ١٩٨٧ في أول مؤلفات جيلروي منفرداً ـ والذي يقوم على أطروحته للدكتوراه ـ بعنوان *Ain't No Black in the Union Jack* وفيه أكد جيلروي انتظام التجمعات السوداء من خلال كونها مشيدة على اعتبار أنها إما «ضحايا» أو «مشكلات»، وهو ما رافقته صور قسرية من تحكم الشرطة وممارسات الجرمية (Criminalization).

كما حلل جليروي العلاقة بين الحداثة والإمبراطورية والقومية، وكان أحد أهم إسهاماته في تركيزه على حدود الدولة القومية كوحدة للتحليل. وهنا كان عمله يتجرأ على مسلمات علم الاجتماع البريطاني وبعض الشخصيات المهمة مثل رايموند وليامز. لا يبدأ تاريخ العرقية في بريطانيا مع حركة المهاجرين من المستعمرات إلى الوطن الأم في منتصف القرن العشرين، ويعرف الكتاب ـ الذي حمل عنوان *Ain't No Black in the Union Jack* نقلاً عن أغنية عرقية تستخدم في لعبة كرة القدم ـ الطرق التي تتدخل فيها أفكار العرق في الأمة مع إحداث نتائج عرقية محددة، ونتيجة ذلك، فإن الإصرار على كون المرء أسود وبريطانياً يتحدى ـ في حد ذاته ـ منطق العرق في صميم بناء الهوية القومية. ومن خلال تحليل ظهور الشخصيات الرياضية

والموسيقية والشخصيات العامة الأخرى البريطانية السوداء، يعيد جيلروي الحياة إلى سياسة العرق الثقافية والأمة.

وكان تناول جيلروي للحركة والثقافة قد تم من خلال دراسة الشتات، وبالنسبة إليه فإن أحفاد العبيد الذين كانوا في داخل الحداثة لم يستبعدوا منها. وفي هذا الصدد تصور أعمال جيلروي الطرق المختلفة التي تتكون وفقاً لها الثقافات المتبادلة المعقدة، أو يعاد تكوينها في ظل ظروف المنفى والاغتراب. وهنا يصبح معنى الشتات ـ بمعنى التفرق ـ أداة مفهومية رئيسة في فهم العلاقة بين الثقافة والزمن والمكان. تطور ثقافات الشتات تقليداً غير عادي، يحتفظ فيه دوماً بذكرى الماضي، ولا يمكن محوها. ويربط جيلروي دائماً مفهوم الشتات بوقائع العنف أو الهروب من الاضطهاد، وهو ما يعتبر سرقة قاسية للكائنات البشرية الفارّة من الهيمنة، كما تنتقل آثار العنف داخل ثقافة وخبرات هؤلاء الناس الذين شتتوا.

لا تظهر كلمة «العولمة» في أعمال جيلروي، لكنه لا يقدم فهماً بديلاً للترابط العالمي. وقدم كتابه *Black Atlantic* طرقاً جديدة لصياغة مفهوم العلاقة بين الثقافة والحركة والتكنولوجيات العرقية. وفي هذا الكتاب، يعتبر الأطلسي في حد ذاته والفضاءات بين الأمم نظاماً ثقافياً، وتقدم السفينة رمزاً رئيساً لقوة العبودية والهيمنة الإمبريالية والمجتمع الذي تكونت بداخله التقاليد المركبة. إن وجود الموت داخل هذه التجربة التاريخية، وأحياناً اختيار الموت بدلاً من الحياة المهينة، هو ما يسميه جيلروي «مفخرة العبيد» المسجلة في

الأعمال الموسيقية والأدبية للسود. كما يوجد هذا الموضوع أيضاً في كتاباته المبكرة، لكن النقطة الأساسية هي أن ما يمثل نصيباً داخل موسيقى وفنون الشتات الأفريقي هو تطور ثقافات مضادة للحداثة.

وتتكون قضايا جيلروي من الاختلاف العرقي والثقافي، وهو موضوع قوي في جميع أعماله، وبخاصة رأيه بإمكان أن تدعي الجماعات المهيمنة عرقياً أن لها أشكالاً خاصة من الملكية (الوصاية) على الثقافات أو الهويات. ويطلق جيلروي على ذلك في أعماله المبكرة مفهوم «الاستبداد العرقي» (Ethnic Absolutism) لكنه كان له موقف نقدي صارم تجاه الادعاءات القائلة بملكية الأشكال الثقافية السوداء. يعتبر «معسكر العقليات» (Camp Mentalities) نتاجاً لكل من صدى الفاشية وصرامة التمييز العرقي التحول التجاري (Commercialization) للثقافة الشعبية السوداء. وتظهر الأشكال الجديدة من التفكير العرقي أو «علم العرق» (Raciology) بقوة مع حلول القرن الحادي والعشرين ذي الثقافة التعددية المؤسسية، حيث صور الجسد الأبيض على أنه بشري ذو طبيعة فائقة، كما يتجسد في الأبطال الرياضيين السود، أو أقل من البشري في الجريمة السوداء العنيفة. ويقوم جيلروي، في كتابه *Between Camps* بحركة يوتوبية للابتعاد عن التفكير العرقي، ويدخل النزعة الإنسانية الخيرية في مفردات العلوم الاجتماعية، وهو إعادة اكتشاف للنزعة الإنسانية التي تعرف الضرر الناجم عن فترة الرق والعرقية، بينما تؤكد انتشاراً عالمياً، تشير فيه كلمة «الكوكب» (المستخدمة هنا كفعل يعني الدوران أو التحرك) إلى الاكتمال والتحرك والجودة غير المكتملة.

وترفض أعمال بول جيلروي غموض مفهوم القومية والطبيعة المتحولة للسلطة الاستعمارية وسلطة الاستعمار الجديد. كما كان له نقد حاد لهذه الفترة، وقام في الوقت نفسه بتأصيل الإمكانات اليوتوبية مستقبلاً، وفي عمله الأحدث *After Empire* يعود إلى اهتمامات أعماله المبكرة حول أشباح الإمبراطورية والعرق والأمة في بريطانيا في عهد توني بلير وحزب العمال الجديد. واعتماداً على علم الاجتماع المتأثر بفرويد فإنه - جيلروي - يرى أن الهوية البريطانية يمكن أن تتسم بأنها شكل من الحالة النفسية الجماعية، غير القادرة على تجاوز الإمبراطورية أو دعم الحاضر المتعدد الثقافات. ويرتبط هذا التحليل «بالعلاقة الخاصة» أو الارتباط مع القوة الجيوسياسية للولايات المتحدة وتوجهها الإمبريالي الجديد في ما يعرف «بالحرب على الإرهاب». كما يعني جيلروي أيضاً بأساليب الحياة اليومية تلك التي يحيا من خلالها الناس سوياً في مدن متعددة الثقافات ويسميها طوال الدراسة باسم «ثقافة ودية» (Convivial Culture). ينتج هذا العالم السفلي من التفاعل غير المنتظم أشكالاً منفتحة من التسامح.

ويقدم هذا العمل أدوات لتشريح التطبيق المتبادل للمناطق والعاصمة والمستعمرة، والعهد غير المنتهي من عبودية العالم الجديد والوجود المشترك للعرقية وأشكال الود (Conviviality) التي تتجاوزها. ويحث جيلروي قراءه على مواجهة الطبيعة المدمرة لمجتمعنا العالمي من دون اللجوء إلى مظاهر راحة مزيفة، يتم من خلالها

قمع الذاكرة التاريخية، أو النقاء الباحث عن ثقافة عرقية للأوطان (Homelands). ويظل علم اجتماعه ذا موقف نقدي إزاء عولمة التكنولوجيات العرقية الأمريكية، بينما يناضل ـ علم اجتماع جيلروي ـ من أجل رأس المال الثقافي والفكري الضروري لمعالجة القضايا الضاغطة لزمننا الحالي. وعمله هذا أكثر التزاماً مقارنة بالأعمال السابقة بالنسبة إلى علم الاجتماع الذي يقدم المعلومات الضرورية لمواطني العالم، لكي يعيشوا مع أوهام الحاضر ويتخيلوا مستقبلاً متجاوزاً للعرقية.

انظر أيضاً: **فرانز فانون؛ ستيوارت هول.**

■ **أهم الأعمال:**

Centre for Contemporary Cultural Studies (1982). *The Empire Strikes Back: Race and Racism in Seventies Britain*. London: Hutchinson in Association with the Centre for Contemporary Cultural Studies. (Hutchinson University Library)

There Ain't No Black in the Union Jack: The Cultural Politics of Nation and Race (1987). London: Unwin Hyman.

The Black Atlantic: Modernity and Double Consciousness (1993). London: Verso.

Small Acts: Thoughts on the Politics of Black Cultures (1993). London; New York: Serpent's Tail.

Between Camps: Nations, Cultures and the Allure of Race (2000). London: Allen Lane.

After Empire: Melancholia or Convivial Culture (2004). London: Routledge.

س. ل. ر. جيمس C.L.R. James

«تعتبر قضية العرق تابعة لقضية الطبقة في السياسة، كما يعتبر كارثة التفكير في الإمبريالية بلغة العرق. لكن إهمال شأن العامل العرقي، باعتباره مجرد عارض، هو أيضاً خطأ مماثل لاعتباره أمراً أساسياً».

اليعاقبة السود *(Black Jacobins)*

ما يعنيه جيمس بهذه العبارة هو أنه بينما يمكن شرح ظاهرة، مثل الرق، بأفضل ما يمكن في ضوء المبادئ الاقتصادية (إذ كان استرقاق الأفارقة حلاً لتلبية احتياجات الرأسماليين الأوروبيين ـ الذين احتلوا أراضي ما سمي بالعالم الجديد ـ من العمالة) فإن جانب العرقية يعتبر مهماً أيضاً في هذا الصدد. وتطورت الأيديولوجيات العرقية، وصيغت بصورة أكثر نظامية خلال فترة الاستعباد، واستمرت ذات تأثير كبير في اعتقاد الناس أنها قد تكون أهم من الاقتصاد: فكر في الأنماط السائدة عن النزعة الجنسية (Sexuality)

والرياضة لدى السود. عالج جيمس في أعماله كلها القيود العميقة والدائمة أمام جهود البشر في سعيهم إلى تحقيق قدراتهم الكاملة.

كان سيريل ليونيل روبرت جيمس (المعروف عامة باسم س.ل.ر. جيمس) كاتباً، وناقداً اجتماعياً وثقافياً، ومؤرخاً، وكاتباً رياضياً وصحافياً، وروائياً، ومنظماً عمالياً وناشطاً سياسياً. قال كثيرون إنه كان مولعاً بالأدب الإنكليزي وبالكريكت، وكانت معرفته تستند إلى عدد كبير من الأدبيات، بما فيها أعمال شكسبير وميلفيل (Melville)، وماركس وتروتسكي، ودوبوا وغارفي (من آباء الوحدة الأفريقية ومنظمي المؤتمرات التأسيسية الأولى، في النصف الأول من القرن العشرين، لحركة الوحدة الأفريقية). وواجه جميع من التقوا به سعة اطلاعه على كلاسيكيات الأدب الأوروبي، والسهولة التي يتنقل بها بين هذه الكلاسيكيات، وكتاباته السياسية عن ماركس وكتابات الوحدة الأفريقية عن دوبوا. وكانت لديه قدرة فائقة على التوفيق بين الكتابات التقليدية والراديكالية. وعكس أسلوبه في الكتابة تصوره الجلي وذاكرته المدهشة وشعوره البالغ وقدرته على صبغ نثره بلمسة من نزعته الروائية ـ ولا سيما في التعبيرات المجازية والصور التي يربط بينها لتوصيل أفكاره. واعتمدت أعماله في التاريخ والماركسية والوحدة الأفريقية (Pan-africanism) على علم الاجتماع، وأسهمت كثيراً في تطوره. وكانت اهتماماته الأساسية متعلقة بالتفاوت والعلاقات الطبقية، والاستعمار والرأسمالية والعلاقات العرقية. وكان من أهم اهتماماته الأساسية هو

اهتمامه بالعلاقة بين الحرية الفردية والحياة الاجتماعية. وكانت الماركسية والوحدة الأفريقية والثقافة هي النطاقات التي تناول من خلالها هذه العلاقة.

تأسر الألباب قراءة سيرة جيمس الذاتية، فهي تشبه كثيراً قصة مغامرة أكثر من كونها سيرة أكاديمية تقليدية. تفاعل مع الشيوعيين في الولايات المتحدة والوطنيين المعادين للاستعمار في بريطانيا، وتنقل بين قارات العالم بسهولة، واعتقل وسجن وتم ترحيله، وزار الاتحاد السوفياتي والصين، وساجل تروتسكي. وسجن أصدقاؤه نتيجة أعمالهم المعادية للاستعمار، وعندما خرج هؤلاء الأصدقاء من السجن، أصبح بعضهم رؤساء دول أفريقية مستقلة، وتوجهوا إليه طلباً للنصيحة.

ولد جيمس في جزيرة ترينداد شرقي البحر الكاريبي عام ١٩٠١، عندما كانت ترينداد وتوباجو لا تزالان مستعمرتين تابعتين لبريطانيا العظمى، وحظي بفرصة للتعليم في مدرسة عامة، وبدأ حياته العملية مدرساً للغة الإنكليزية في إحدى المدارس، ثم أصبح روائياً بارزاً. وكانت أولى منشوراته عبارة عن قصة قصيرة بعنوان *La Divina pastora*، ونشرت عام ١٩٢٧. ذهب إلى إنكلترا في الثلاثينيات لمتابعة عمله بوصفه كاتباً، لكنه عمل في أحد أعماله المبكرة مراسلاً لشؤون رياضة الكريكت في لانكشاير. وكان أول كتبه السياسية، *The Life of Captain Cipriani*، قد نشر عام ١٩٣٢، واهتم بطبيعة الاستعمار، كما طالب جيمس في نهاية

الكتاب باستقلال جزر الهند الغربية. كرس نفسه خلال هذا العقد للاهتمام بالماركسية والوحدة الأفريقية، كما كان ناشطاً سياسياً في كلا المجالين. وذهب في نهاية الثلاثينيات إلى الولايات المتحدة للقيام بجولة خطابية، فواصل كتاباته وتنظيمه السياسي، وظل فيها حتى العام ١٩٥٢، عندما تم طرده من البلاد.

من أهم مؤلفاته كتابا *The Black Jacobins*، و *Beyond a Boundary*. ويعتبر كتاب **اليعاقبة السود** تاريخاً لثورة العبيد في القرن التاسع عشر في جزيرة سان دومينيجو على البحر الكاريبي، وهي الثورة التي نجحت في تأسيس جمهورية هايتي المستقلة، عام ١٨٠٣. بدأ جيمس الكتاب بأسلوبه الأدبي المميز بقوله: «لقد رسا كريستوفر كولومبوس في البدء في العالم الجديد في جزيرة سان سلفادور، وبعد مباركة الرب، سارع لاقتفاء أثر الذهب»، وقد وصف المجموعات العرقية المختلفة على الجزيرة والعلاقات بينهم، والظروف التي أدت إلى اندلاع الثورة وصاحبتها. وكانت هذه الثورة ـ التي قادها ـ (Toussiant L'Ouverture) هي أنجح ثورات العبيد في تاريخ العالم الجديد، والوحيدة التي نجحت في تكوين أمة سوداء مستقلة. وجه جمس انتباهه، في هذا الكتاب، إلى موضوع كان يحظى دوماً بتجاهل محللي التغير الاجتماعي الذين أبقوا تركيزهم أساساً على أوروبا والشعوب البيضاء، وأظهر الطرق التي يمكن للمهمشين ـ وهم هنا السود على حواف الإمبراطورية الفرنسية ـ التأثير في حظوظ بقاء الإمبراطورية نفسها. كما أظهر

أيضاً ـ علاوة على ذلك ـ كيف أنه يمكن للعامل البشري الأسود ـ تحرك الشعب الأسود لصالحه ولتحقيق أهدافه ـ أن يحقق تأثيرات طويلة المدى. أثرت نتائج استقلال هايتي في أنحاء فرنسا والإمبراطورية البريطانية والولايات المتحدة.

ويكمن إسهامه المميز، في كتابه *Beyond a Boundary*، في الطريقة التي بسط بها الظاهرة الثقافية الشعبية التي كانت لا تحظى في الأغلب باهتمام الأكاديميين، مثل الكريكيت والموسيقى الكاريبية الارتجالية (Calypso Music Dictionary Definition: Caribbean Song about a Subject of Current Interest)، وجعلها ـ هذه الظاهرة الثقافية الشعبية ـ في مقدمة تحليلاته الاجتماعية والثقافية، وأظهر أهميتها في بناء ونمو المؤسسات والأيديولوجيات الاجتماعية. وقد اتخذ من الكريكت ـ الذي كان يعتبر للعالم غير البريطاني لعبة رياضية قاصرة على الطبقة العليا ـ نموذجاً لصياغة دورها في العلاقات الثقافية الاستعمارية وما بعد الاستعمارية. وسيستفيد الكثير من المحللين المعاصرين ـ الذين ظهروا بعد جيمس ـ لأشكال أخرى من الثقافة الشعبية مثل الموسيقى والتليفزيون والرياضة والموضة، من صياغاته المفهومية وإسهاماته التنظيرية.

كتب جيمس حول العديد من الموضوعات الأخرى بما فيها الماركسية والوحدة الأفريقية والدراسات المتعلقة بالسود، مثل الفن والألعاب الرياضية والحضارة الأمريكية. ونشر دراسات أو كتباً حول المادية الجدلية، والثورة العالمية، والكفاح الطبقي. وكان عضواً

في مجموعة صغيرة ومميزة من الكتّاب الماركسيين في الولايات المتحدة في الثلاثينيات وما تلاها، والذين انتقدوا ـ بدورهم ـ الاتحاد السوفياتي في عهد ستالين، وكانوا متأثرين بشدة بكتابات تروتسكي (الذي كان أكبر ناقد للتجربة الستالينية). وتناول جيمس التنظيم المستقبلي للمجتمع اعتماداً على القيم الاشتراكية، كما رأى أن القيم الجماعية (Communitarian Values) (نسبة للجماعة Community) لمجتمعات الأفارقة، والتفوق العددي للأفارقة، مكون أساسي لمثل هذا المجتمع. وكشفت كتاباته عن محاولات عديدة لربط التحليلات الماركسية لنضال أفراد الطبقة العاملة بتحليلات الوحدة الأفريقية للسود في الغرب وفي المستعمرات. كما نشر مسرحيات وكتب روايات، وكان صحافياً رياضياً. وتناولت إصداراته حول الحضارة الأمريكية كتّاباً أمريكيين، مثل وايتمان وميلفيل، وتناول قضايا النزعة الفردية، والحرية، والسعي إلى تحقيق السعادة.

عمل جيمس بجد نصيراً للوحدة الأفريقية، وناضل في صفوف حركات مكافحة الاستعمار وحركات الاستقلال، وأسس ـ على سبيل المثال ـ منظمة، سميت باسم «الأصدقاء الدوليون للحبشة» (The International Friends of Ayssinia) (وهي إثيوبيا حالياً التي اعتبرت النموذج الأفريقي المثالي لدعاة الزنوجة (Negritude) والوحدة الأفريقية آنذاك) بعد تعرض الحبشة للغزو في الثلاثينيات على يد موسوليني. وساعد ـ في الولايات المتحدة ـ على تنظيم الفلاحين الأمريكيين الأفارقة التابعين والمستغَلين من خلال نظام الزراعة الجائر الذي كان يتركهم في ديون أكثر ثقلاً، عاماً بعد الآخر. كما عمل على

تحقيق استقلال جزر الهند الغربية، وتكوين اتحاد لها ـ وهو اتحاد سوف يضم العديد من جزر الهند الغربية في تنظيم سياسي واقتصادي واجتماعي واحد. وتحقق هذا الاستقلال في حياة جيمس، بيد أن الاتحاد لم يتحقق بعد. وسافر جيمس ـ مثل الكثير من أقرانه من كبار المفكرين السود في تلك الفترة ـ من دون توقف، مكتشفاً الشتات الأفريقي، ويقوم بزيارة العالم الرأسمالي والشيوعي لصقل الخبرة بالقضايا التنظيرية عما يقرأه. كما قضى ما يزيد على أربعين عاماً في منطقة البحر الكاريبي، وما يبلغ مجموعه ٢٥ عاماً في الولايات المتحدة، وما لا يقل عن خمسة وعشرين عاماً في بريطانيا، مع مواصلته السفر الدائم انطلاقاً من المكان الذي يعيش فيه.

تفاعل مع من أصبحوا لاحقاً رؤساء للعديد من المستعمرات البريطانية، مثل جومو كينياتا في كينيا، وكوامي نكروما في غانا (الذي قضى شبابه في الولايات المتحدة)، وإريك وليامز في ترينداد وتوباجو، سواء بوصفهم زملاء أم أصدقاء. وعندما ذهب نكروما إلى إنكلترا في الأربعينيات لبسط قضية تحرير غانا (كانت تسمى آنذاك باسم ساحل الذهب) من الحكم الاستعماري، زوده جيمس بخطاب تعريف به أمام كبار القوميين السود في إنكلترا. ولا يحوز مثل هذا التأثير الخارجي ـ خارج الإطار الأكاديمي ـ إلا عدد قليل من العلماء. ولم يمر هذا التأثير مرور الكرام، فقد أصبح جيمس محط أنظار السلطات الأمريكية بسبب أفكاره الاشتراكية. واعتقلته الحكومة الأمريكية وسجنته في جزيرة إيليس عام ١٩٥٢، ثم طرد بعدها من البلاد.

قضى جيمس فترة من الزمن في منطقة البحر الكاريبي، بعد طرده من الولايات المتحدة، وحاضر في أوروبا. وعاد إلى الولايات المتحدة في السبعينيات حيث حاضر لمدة عشرة أعوام. وقضى جيمس سنواته الأخيرة في لندن في طريق ريلتون الذي كان بؤرة لأعمال الشغب عام ١٩٨١، وبالرغم من عدم مشاركته المباشرة في هذه الأعمال، فإنه بسط العديد من وجهات النظر حولها. وتوفي عام ١٩٨٩، ودفن في ترينداد وتوباجو.

انظر أيضاً: ستيوارت هول.

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists:* W. E. B. DuBois, Karl Marx.

■ **أهم الأعمال:**

Mariners, Renegades and Castaways: The Story of Herman Melville and the World We Live in (1985). London: Allison and Busby.

The Black Jacobins; Toussaint L'Ouverture and the San Domingo Revolution (2001). Harmondsworth: Penguin.

Notes on Dialectics: Hegel, Marx and Lenin (2004). New York: Lexington Books.

Beyond a Boundary (2005). London: Yellow Jersey Press.

■ **قراءات إضافية:**

Paul Buhle (1988). *C. L. R. James: The Artist as Revolutionary*. London; New York: Verso.

Kent Worcester (1996). *C.L.R. James: A Political Biography*. Albany, NY: State University of New York Press.

James D. Young (1999). *The World of C.L.R. James: The Unfragmented Vision*. Glasgow: Clydeside Press.

ماري دوغلاس Mary Douglas

ولدت عام ١٩٢١، وتعتبر أشهر واضعي النظريات الاجتماعيين في مدرسة دوركهايم، وليس أمام أي شخص يعمل في مجال علم اجتماع المعرفة، أو «الثقافة»، أو المؤسسات، أو أشكال التنظيم الاجتماعي، أو الخطر والخوف الاجتماعي، أو الدين، من خيار إلا التعامل مع أعمالها.

ولدت ماري تيو في أسرة من أصل إيرلندي، لكن والدها كان يعمل في الإدارة الاستعمارية البريطانية. ونمت كاثوليكية، والتحقت بمدرسة دينية للبنات، الأمر الذي ثبت عقيدتها الدينية وزودها بحساسية عميقة تجاه طبيعة ومميزات التنظيم التراتبي وقدراته الخاصة على إدارة النظام الرمزي. تزوجت جيمس دوغلاس ـ الذي كان آنذاك موظفاً مدنياً ـ عام ١٩٥١، والذي سيصبح في ما بعد مستشاراً سياسياً مهماً ومنظراً للمنظمات التطوعية. جعلتها دراسة الأنثربولوجيا في أكسفورد متأثرة بالفكر الأنثربولوجي البريطاني.

وبعد تأثرها بأعمال دوركهايم، ومارسيل موس، وهنري هوبرت، وموريس هولبواكس، فإنها تأثرت بشكل أكبر بكل من إدوارد إيفانز-برتشارد، مدرسها في مدرسة أكسفورد للأنثربولوجيا الاجتماعية، وباسل بيرنشتاين اللغوي الاجتماعي، ثم الفيلسوف نلسون غودمان لاحقاً. وارتبطت في معظم حياتها العلمية بمدرسة الأنثربولوجيا في كلية لندن الجامعية، حيث بدأت عملها بصحبة داريل فورد، وهو أحد أهم دعاة «الأفريقانية ـ الأفرقة» (Africanist). وقامت، خلال أواخر السبعينيات، بأعمال حول المخاوف الاجتماعية، بالاشتراك مع آرون فيلدفسكي في فترة رئاسته الوجيزة والمثمرة، والمثيرة للجدل أيضاً، مؤسسة راسل سادج في نيويورك. ثم قبلت كرسي أفالون للإنسانيات في جامعة نورث ويسترن بضواحي شيكاغو.

وقامت ماري دوغلاس ـ التي اختصت أساساً بالأنثربولوجيا الأفريقانية المعنية بالدين ـ بوضع أعمال كثيرة حول القضايا السوسيولوجية الرئيسة في العالم النامي، وكان مجال عملها الميداني الإتنوغرافي الرئيس هو الذي تم وسط شعب ليل (Lele) في الكونغو الحالية. وأكدت في الستينيات في مؤلفها *Purity and Danger* ـ الذي أصبح حالياً من كلاسيكيات علم الاجتماع ـ أن أفكار التلوث والمحرم (Taboo) وممارسات الانتهاك الأخرى استمرت من خلال آليات أساسية من التنظيم الاجتماعي. كما كان هذا الكتاب هو أول مؤلفاتها المهمة في دراستها علم اجتماع المعرفة والتصنيف. وشهدت

السبعينيات تناولها ـ من بين ما تناولته ـ عادات الاستهلاك للبضائع، والطعام والشراب بوصفها أنشطة طقوسية لبقاء الفروق الاجتماعية، وبخاصة في مؤلفها *The World of Goods*.

وأعادت ماري دوغلاس في مؤلفها *Cultural Bias and Essays in the Sociology of Perception* إنتاج تناولها لأنواع التنظيم الاجتماعي، أو ما يسمى بنموذج «الشبكة (الخطوط المتعامدة) والمجموعة» (Grid and Group)، واعتمدت في مؤلفها *How Institutions Think* على أعمال دوركهايم، ولودفيغ فليك وهولبواكس لإظهار أن التصنيف والذاكرة الاجتماعية والنسيان هي من أعمال المؤسسات، وليست متعلقة بالنفسية الفردية. ونشرت خلال الثمانينيات مجموعة أعمال حول المخاوف الاجتماعية، أو ما قامت بتسميته آنذاك باسم «التصورات الخطرة»، بما في ذلك عملها المثير للجدل *Risk and Culture* الذي أكدت فيه أن أنواع التنظيم الاجتماعي المختلفة في مجتمعات من أي نوع أو حجم ستسفر عن أساليب تفكير وأساليب خوف اجتماعي مشابهة، فوصفت بالمستفزة مقولتها التي تزعم أن الأديان القديمة والأفكار البيئية الحديثة عن التلوث فيها الكثير من أوجه الشبه.

ونشرت أيضاً في التسعينيات مجموعة من الدراسات حول التفسيرات الأنثربولوجية لـ **كتاب الإعداد والتثنية** (بالتوراه) *The Book of Numbers and Leviticus*، أكدت فيها أن الأدب المكون من هذه الأعمال يمكن توضيحه بأفضل صورة من خلال السياقات

الاجتماعية الطائفية والتراتبية في إسرائيل القديمة التي عمل فيها كتّاب آخرون. وإضافة إلى مواصلة النشر حول هذه القضايا كلها، ومراجعة طبعات جديدة من أعمالها الرئيسة كلها، قامت بنشر عرض تام لنظريتها في التشخيص (Personhood) والتمثيل (Agency) في كتاب *Missing Persons*، ونشرت أيضاً العديد من المقالات حول جوانب النظريات الاقتصادية الحديثة للمؤسسات، وقامت بإعادة صياغة راديكالية لنظرياتها.

إن مقولات ماري دوغلاس الرئيسة تنطلق من علم اجتماع المعرفة الذي يركز بدوره على نظم التصنيف، وأساليب السببية، وأنماط التصور، والذاكرة والإلهام، وآفاق التخطيط، والمعتقدات، والقيم، وأنواع الفهم المختلفة للطبيعة والعالم، وأذواق الاستهلاك، والآراء العالمية، وأساليب الشعور. وطور الناس التصنيفات التي يقومون بها من أجل حل ـ أو على الأقل التغلب على مشكلات المنظمات التي يواجهونها. وتمكن هذه الرؤية ماري دوغلاس من أن تبعد الأفكار البارسونية بشأن المجتمعات (التي ترى بمقتضاها أفكار بارسونز أن المجتمعات تجتمع معاً من خلال وضع أشكال، وإظهارها على أنها نتاج للمنظمات) قليلاً عن الدوركهايمية.

ترى ماري دوغلاس أن مثل هذه المشكلات هي نتاج لعمليات المؤسسات، إذ يفكر الناس في أي مجتمع بصورة مؤسساتية، وتفسر الاختلافات في أساليب التفكير من خلال الاختلافات في الأشكال البسيطة لمؤسساتهم. وفي مؤلف *Primitive Classification* ـ وهو

عمل على قدر كبير من الأهمية بالنسبة إلى ماري دوغلاس ـ طور دوركهايم وموس الفرضية الأساسية القائلة إن «إعادة تصنيف الأشياء يعيد تصنيف الناس»، وإن هذه التصنيفات هي نتاج للمؤسسات. وعلى وجه الخصوص، فإن الأفكار المختلفة للطبيعة قد تطورت كأوراق رابحة يعمل من خلالها الناس على السيطرة على الآخرين من أجل الخضوع للمؤسسات التي يلتزمون بها. ويوفر ما سبق أساساً للنظرية الثقافية التي تشكل الأسس التي تقوم عليها الأشكال المؤسسية التي طورتها ماري دوغلاس.

وترى ماري دوغلاس أن التفسير الوظيفي ضروري، لكنها تؤكد ـ على العكس من الوظيفية ـ أن المؤسسات التي يمكن من خلالها إظهار هيئات المعرفة على أنها وظيفية تدخل في صراع مستمر، وهكذا يمكن تفسير التغير التاريخي. ويمكن القول إن العمليات المؤسسية تكون مدفوعة بأشكال ودرجات مختلفة عما يسميه دوركهايم التكامل الاجتماعي والتنظيم الاجتماعي. وينظر إلى التكامل الاجتماعي بوصفه تكوين منظمات «جماعية»، تعتمد بدرجات متفاوتة (عن قرب أو بعد) على حدود دفاعية ومحاسبية للعضوية و«الالتحاق»، كما ينظر إلى التنظيم الاجتماعي بوصفه تكوين منظمات «شبكية»، تعتمد بدرجات متفاوتة على تكوين قيود ومحاسبات للقاعدة والدور أو التخصص العلمي. وهي مصفوفة «المجموعة ـ الشبكة» الشهيرة. وتوجد في هذه الأبعاد المتداخلة أربعة مفاهيم رئيسة، وهي «تماسك» التراتبية، والإحاطة، والفردية، والحياة المعزولة، ويمكن أن توجد هذه الأشكال في المنظمات البشرية من

المستويات والأحجام كلها، وفي المجتمعات والمنظمات التي تستخدم تكنولوجيات بسيطة ومتقدمة، على مدى التاريخ، والتصور والذاكرة. وقامت مصفوفة بيرنشتاين هذه من أجل هذه الفكرة ـ وفي أحد أبعادها ـ بفرض قوانين مقيدة، ومن جهة أخرى أساليب شخصية ووضعية للسيطرة في الأسر، بوصفها عاملاً مهماً للغاية. على أي حال، لم تكن الأنواع التي نتجت من ذلك مترابطة معاً، ولم تأخذ ماري دوغلاس مثل هذه التصنيفات كما هي، مثلما ظل يفعل بيرنشتاين في السبعينيات، إذ كانت أعمال بيرنشتاين بالنسبة إلى دوغلاس منصة وثوب أكثر مما كانت نموذجاً يتبع.

وترى ماري دوغلاس، اقتفاء لدوركهايم، أن العمليات المؤسسية هي بالأساس طقس في طبيعتها، وبالفعل فإن الطقس جزء من طريقة تفسير المؤسسات للتصنيف، ولا تتوضح في حد ذاتها من خلال الأفكار. وفي الطقس، يعتمد الناس نظم التصنيف في مؤسساتهم من أجل تقويتها.

ويقع تحليل الأشياء غير السوية داخل نظم التصنيف لدى الناس في صلب منهجية ماري دوغلاس. وتقوم الطريقتان الطقسية والمعرفية اللتان تتناول المؤسسات من خلالهما نظم التصنيف التي تنميها وتدعمها بتزويد عالم الاجتماع بالأدلة الأكثر أهمية على شخصيتهم الحقيقية. إن المفتاح الرئيس لفهم أي نظام للتنظيم الاجتماعي هو تناول ما يرفضه، وما لا يمكنه الاعتراف به، وكيفية تناوله للأشياء المغايرة بين القبول والرفض. ويرجح أن تكون هذه

الأمور مقدسة، ثم تصبح قيّمة وخطيرة. وتناولت ماري دوغلاس في أعمالها المبكرة الوضع الغامض لحيوان آكل النمل أو البنغول في مجتمع «ليل»، مظهرة أن شعب ليل استخدم هذا الغموض بصورة رمزية لتنظيم إحدى المجموعات غير السوية في مجتمعهم. واستخدمت المنهج نفسه، في الثمانينيات والتسعينيات، في تناول طرق معالجة المشكلات التي تتلاءم بصعوبة مع تصنيفات المجموعات المختلفة في الغرب، من أجل توضيح تنوعات المخاوف الاجتماعية المتعلقة بالبيئة، وممارسات الاستهلاك الوضيعة والمنافية للذوق.

وقد لا يكون واضحاً كم تكون هذه الدعاوى مثيرة للجدل. فقد مثّل عداء ماري دوغلاس لمثالية أغلبية علم الاجتماع الأمريكي، وإصرارها على أن الثقافة ذاتها يجب أن يتم شرحها، تحدياً حاداً لها. وفشل الكثيرون من نقاد دوغلاس في تمييز علم اجتماع المعرفة الخاص بها عن النسبية، بالرغم من توضيحها ـ ماري دوغلاس ـ في التسعينيات، أن هناك أشد القيود المؤسسية الممكنة على ما يتاح للناس التفكير فيه. وترى ماري دوغلاس، على النقيض من مثالية البنيوية وما بعد الحداثة الاجتماعية، أن الناس لا يمكنهم ولا يقومون بتفسير بيئتهم بأي طريقة كانت. وبالرغم من أن المؤسسات سوف تحمي الناس من المضايقات العملية الممكنة لبعض أنواع الأفكار، إلا أنه سيثبت عدم جدوى مجموعة كبيرة جداً من التفسيرات، إذ إنه لا يمكن تخيل المخاطر الحقيقية بمنأى عن أسبابها. وأوضحت ماري دوغلاس في السنوات الأخيرة أن مقولتها تستخدم نظرية نلسون غودمان حول «عدم واقعية» (Irrealsit) التشابه في التصنيف بوصفه نتاجاً

للمؤسسات، حيث توضع قيود حادة على أساليب الفكر الممكنة. كما تحدث مقولاتها الدوركهايمية أشخاصاً يميلون إلى المنهجية الفردية ـ مثل إلستر ـ إذ لا يمكنهم أبداً السماح للمؤسسات بأن تكون أي شيء آخر سوى مبالغة المزايا الفردية. ورفضت ماري دوغلاس أفكار «التخدير الثقافي» التي تقول بها البنيوية، ومع هذا كانت تصر تماماً وباستمرار على رؤية الأفراد «فاعلون مهمون» وتنتقد الأحاديين الحديثين لاستبعادهم الأفراد من حساباتهم. ولا يمكن فهم التمثيل (Agency) والدور النشط للأفراد ومدى التباين في التمثيل من دون الإشارة إلى العمليات المؤسسية التي تعطي التمثيل معنى وكفاءة وإمكانية أيضاً.

ولم يكن أحد جاداً مثل ماري دوغلاس في تبنيها للمقولة الرئيسة للأنثربولوجيا الاجتماعية البريطانية في منتصف القرن العشرين التي تعلن أن النوع البشري هو واحد في جوهره. كانت ترفض بصورة خاصة المقولات الفيبرية (Weberian) القائلة إن الحداثة هي مرحلة تتسم بمنطق متميز، وتنكر ماري دوغلاس أن هناك أي شيء مميز على المستويات الأساسية لأشكال التنظيم الموجودة في الغرب منذ عصر النهضة أو التنوير. وبالنسبة إليها ـ وعلى النقيض من رؤية مفكرين أمثال راندل كولينز ـ ليست هناك حاجة إلى الفصل بين علمي الاجتماع الجزئي والكلي. كما تنكر ماري دوغلاس أن الدين يعرض أشكالاً مختلفة أساساً من المنطق والتنظيم والطقوس عن تلك الموجودة في مناحي الحياة الأخرى. وبالفعل، عندما تطور المؤسسات التزامات خطرة، بما فيه الكفاية، في

أي من مناحي الحياة، فإنها ـ المؤسسات ـ سوف تطور السمات التي يمكن أن تكون مفهومة من خلال تناول استثمارها مع السمات المقدسة. وكانت منهجية ماري دوغلاس بالتركيز على التنظيم، تميز بوضوح آراءها عن مثاليين مثل سيرجي موسكوفيتشي وروي داندريد، أو أنصار التطور الثقافي، وتعمد كلتا المدرستين إلى رؤية «التمثيلات الاجتماعية» متنوعة وحرة الحركة بشكل كبير.

وجهت إلى ماري دوغلاس انتقادات لنقص الدقة الفلسفية في علم اجتماع المعرفة (الذي تبنته)، ولفشلها في التحديد الدقيق لمدى كونها محددة (Determinist) وبنيوية، بخصوص المؤسسات، كما واجه اهتمامها الكبير بالتراتبية انتقادات حادة من قبل العديدين لجهة كونها تتعارض مع نظرية ماري دوغلاس نفسها، وبالرغم من جذب تصميمها على محورية الطقس تعاطف أنصار مدرسة غودمان، مثل راندل كولينز، إلا أن هذا التوجه لاقى رفضاً من مدرستي الاختيار المنطقي والبنيوية.

وأصبحت مصفوفتها ٢×٢ التي تجسد الأشكال الأربعة الرئيسة للمؤسسة والتماسك الاجتماعي، غير مفهومة، وتم تجاهلها سريعاً لأنها أبسط من اللازم أو معقدة بصورة غير ضرورية. فالعديد من نقادها اعتمدو على فئات أبسط. إلا أنه غالباً، يبدو التصنيف مخطئاً لصالح النظرية الدوركهايمية التي يتضمنها.

وأثرت مصفوفة ماري دوغلاس في مدرسة صغيرة من الباحثين والعلماء الذين أظهروا، بصورة مدهشة، تنوعاً كبيراً في مجالات القوة

المتوقعة للفرضيات بخصوص التأثير، والطقس، والثقافة المادية المتوقع أن ترتبط بأوجه التماسك والاختلاطات المحتملة. وواصل مايكل طومبسون ـ الذي أكمل دراسته الدكتوراه بإشراف ماري دوغلاس ـ بناء نظرية معقدة للآليات الاجتماعية وإتاحة المؤسسات بما يتفق مع آراء ماري دوغلاس. وهناك أيضا ستيف راينر ـ وهو أحد طلاب الدكتوراه لديها أيضاً ـ الذي قام بالاشتراك معها بتطوير أهم المقولات المنهجية في أسلوب ماري دوغلاس كله، بينما أصبح عمل مارس (Mars) *Cheats at Work* أحد الكلاسيكيات المعاصرة. وربما كان عالم السياسة آرون فيلدفسكي أشهر العلماء الذين عملوا مع ماري دوغلاس ـ وأيضاً مع طومبسون ـ بالرغم من عدم قبوله مطلقاً بالمؤسسية (Institutionalism) التي تتبناها ماري دوغلاس، والذي كان قد اعتاد على التعامل مع علم التصنيف على أنه يحدد الرؤى العالمية التي يمكن استخدامها كمتغيرات مستقلة بدلاً من استخدام ماري دوغلاس لها بإصرار على أنها متغيرات تابعة. وكانت تطبيقاته مبتكرة ومثيرة للجدل في الوقت نفسه.

وبعد استنفاد محاولات ما بعد الحداثة في تحديد تنوع مطلق في الأفكار، والقول إن هذه الأفكار توضح كل شيء، ونظراً إلى أن أغلبية الاختيارات العقلانية تبدو جافة وغير كافية على مستوى المعنى والآلية، وأيضاً عندما قامت ماري دوغلاس بإعادة تأكيد الأفكار الدوركهايمية مرة أخرى، في ضوء ما سبق كله، تزودنا أعمال ماري دوغلاس بأحد أكثر الاتجاهات المهمة والقوية والمتماسكة المتاحة حالياً لدى النظرية السوسيولوجية.

انظر أيضاً: باسل بيرنشتاين.

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists:* Emile Durkheim, Maurice Halbwachs, Marcel Mauss.

■ أهم الأعمال:

Mary Tew, «Peoples of the Lake Nyasa Region.» in: Daryll Forde (ed.) (1950). *Ethnographic Survey of Africa: Eastern Central Africa*, Part 1. London: International African Institute; Oxford: Oxford University Press.

The Lele of the Kasai (1963). London: International African Institute.

Purity and Danger: An Analysis of the Concepts of Pollution and Taboo (1966). London: Routledge and Kegan Paul.

Natural Symbols: Explorations in Cosmology (1970). London: Routledge and Kegan Paul.

Rules and Meanings; the Anthropology of Everyday Knowledge: Selected Readings (1973). Harmondsworth: Penguin. (Penguin Modern Sociology Readings)

Implicit Meanings: Selected Essays in Anthropology (1978). London; Boston, MA: Routledge.

Cultural Bias (1978). London: Royal Anthropological Institute. (Occasional paper - Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland; no. 35)

The World of Goods: Towards an Anthropology of Consumption (1979). With Baron Isherwood. London: Routledge and Kegan.

Evans-Pritchard: His Life, Work, Writings and Ideas (1980). Brighton [Eng.]: Harvester Press.

Essays in the Sociology of Perception (1982). London: Routledge and Kegan.

In the Active Voice (1982). London: Routledge and Kegan.

Risk and Culture: An Essay on the Selection of Technological and Environmental Dangers (1982). With Aaron Wildavsky. Berkeley, CA: University of California Press.

Essays in the Sociology of Perception (1982). London: Routledge and Kegan.

Risk Acceptability According to the Social Sciences (1985). London: Routledge and Kegan.

How Institutions Think (1986). London: Routledge and Kegan.

Missing Persons: A Critique of Personhood in the Social Sciences (1988). With Steven Ney. Berkeley, CA: University of California Press. (Aaron Wildavsky Forum for Public Policy; 1)

Risk and Blame: Essays in Cultural Theory (1992). London: Routledge.

In the Wilderness: The Doctrine of Defilement in the Book of Numbers (1993). Oxford: Oxford University Press.

Thought Styles: Critical Essays on Good Taste (1996). London: Sage.

Leviticus as Literature (1999). Oxford; New York: Oxford University Press.

■ قراءات إضافية:

J. Jonathan, L. Gross and Steve Rayner (1986). *Measuring Culture: A Paradigm for the Analysis of Social Organization*. Introduction by Mary Douglas. New York: Columbia University Press.

Michael Thompson, Richard Ellis and Aaron Wildavsky (1990). *Cultural Theory*. Boulder, CO: Westview Press. (Political Cultures)

Shaun Hargreaves Heap and Angus Ross (eds.) (1992). *Understanding the Enterprise Culture: Themes in the Work of Mary Douglas*. Edinburgh: Edinburgh University Press.

Culture and Social Theory (1998). Edited by Sun-Ki Chai and Brendon Swedlow; foreword by Charles Lockhart and Richard M. Coughlin. New Brunswick, NJ: Transaction Publishers.

Richard Fardon (1999). *Mary Douglas: An Intellectual Biography*. London; New York: Routledge.

سيمون دي بوفوار Simone De Beauvoir

ولدت سيمون دي بوفوار في باريس عام ١٩٠٨ لأبوين برجوازيين، واتضحت قدراتها الفكرية منذ نعومة أظفارها، حيث سمحت لها التغيرات الاقتصادية التي حلت بأسرتها بأن تتدرب على مهنة ـ بعكس التوقعات المعتادة لامرأة برجوازية صغيرة السن في ذلك الوقت. وكانت المهنة التي اختارتها هي مدرسة للفلسفة. واجهت خلال هذا التدريب العالم النقدي والعلماني للفلسفة الأوروبية ـ وهو العالم الذي لا يمتلئ فقط بالأفكار المتحدّية لخلفيتها السابقة، بل بشخص جان بول سارتر أيضاً، وهو الرجل الذي ارتبطت معه بعلاقة معقدة طوال حياتها.

ارتبط اسما بوفوار وسارتر في معظم الكتابات عن بوفوار، وتلمس هذه الملاحظة العديد من الملامح الرئيسة لأعمالها والأعمال التي كتبت عنها. وتشاركت بوفوار وسارتر في الالتزام بتطوير وتحديد مدرسة الوجودية الفلسفية، وكان لكل منهما التزام مدى

الحياة بسياسة اليسار، كما كتب كل منهما أعمالاً إبداعية (قصصية) وغير إبداعية، لكن ظلت بوفوار لسنوات عديدة مجرد امرأة لديها أفكار أقل أصالة من شريكها، كما ظلت المرأة التي كتبت أعظم كتب القرن العشرين حول المرأة *(The Second Sex)*، ولكنها ظلت تستلهم الأفكار النظرية من كاتب مذكر.

ويرجع جانب من تعقد وضع بوفوار في التاريخ الفكري إلى معرفة السبل التي يتم من خلالها حدوث تغييرات في طريقة كتابتنا لسيرة ذاتية مشكّلة من خلال تغيرات أخرى في المحيط الاجتماعي. وبدأت بوفوار في الكتابة (الإبداعية وغير الإبداعية) في الأربعينيات، وكان أول أعمالها المنشورة رواية *She Came to Stay* (١٩٤٣) التي أعقبتها بنشر دراسات فلسفية بعنوان *Pyrrhus and Cineas* (١٩٤٤)، و*The Ethics of Ambiguity* (١٩٤٨)، وأكدت كتابات سابقة عن أعمال بوفوار دوماً الطبيعة الذاتية (القائمة على السيرة الذاتية) لإبداع بوفوار، إذ عادة ما تقرأ رواية *She Came to Stay*، على سبيل المثال، بوصفها انتقاماً خيالياً من امرأة، هددت علاقة بوفوار بسارتر. لكن مثل هذه القراءة تقوم على افتراض أن النساء ـ وليس الرجال ـ يتخذن إلهامهن من حياتهن الخاصة، وأن عمل بوفوار ـ سواء الإبداعي أم غيره ـ لم يكن يكن سوى محاولة للمساعدة في تجسيد أفكار سارتر.

لكن هذه الافتراضات التي تؤكد البعد النوعي (Gendered) للإبداع الفكري كان ينبغي تحديها ـ بالرغم من عدم مناقشة هذه

القضية إلا في السنوات الأخيرة ـ من خلال نشر كتابها *The Second Sex* عام ١٩٤٩. وفي هذا العمل صكت بوفوار التعليق الذائع الصيت: «إن النساء يصنعن ولا يولدن (Born)». ولم تقصد بوفوار تلك المجالات التي وصلت إليها جوديث باتلر وغيرها من اللاتي تناولن الفكرة بعد ذلك بثلاثين عاماً، لكن ما قامت بفعله هو القول إن الرجال هم الشكل المطلق للوجود الإنساني. وترى أن النساء يولدن في عالم يفوض الرجال فقط للقوامة، وتدان النساء بتمضية حياتهن بخمول. وبالنسبة إلى قراء القرن الحادي والعشرين، يفرض كتاب **الجنس الثاني** العديد من المشكلات التي لا تتمثل فقط في الكتابات الأكثر غموضاً عن الذكورة والأنوثة والتي تروج كثيراً حالياً. ومن بين الجوانب الأخرى المثيرة للنقاش من وجهة نظر *The Second Sex* اعتماده، نوعاً ما، على كتابات عفّاها الزمن حول البيولوجيا البشرية، وافتراضه أن العالم المثالي للنسوية هو فرنسا البرجوازية في منتصف القرن العشرين، وافتراض أن الذكورة لا تمثّل مشكلة، بينما النسوية تمثّل مشكلة واضحة. وترفض بوفوار أعمال فرويد كلية، ومن ثم فإنها لا تتعاطف مع فكرة أن النزعة الجنسية البشرية لا تعتبر شيئاً ذا قيمة إذا لم تكن ثابتة.

وبسبب جميع ما سبق فإن كتاب *The Second Sex* كان ـ ولم يزل ـ عملاً ثورياً أصيلاً، لأنه كانت لديه شجاعة تحدي الأفكار المسلم بها سلفاً، ليس في ثقافة واحدة فحسب، بل بالنسبة إلى المحيط الاجتماعي والفكري كله ـ في أوروبا ما بعد عصر التنوير ـ وسعيه

إلى تغيير طريقة ارتباط الكائنات البشرية بعضها ببعض. وإذا كانت تبدو هناك حاجة إلى مزيد من التغيير بين النساء مقابل الرجال، فإننا بذلك نطلب الأخذ بالاعتبار إمكانات العالم الاجتماعي الذي لا يلزم الرجال والنساء القيام بأدوار لا معنى لها من التفوق والدونية. إن تأكيد «الأداء» الذي تناولته في ما بعد جوديث باتلر وغيرها يدين بقدر كبير إلى اعتراف بوفوار بالسجون الشخصية التي نجمت عن تذويت النصوص القائمة على تناول النوع.

ويحتل كتاب **الجنس الثاني** لبوفوار مكانة مميزة للغاية في تاريخ أفكار القرن العشرين، باعتباره أحد أعظم كتب التيار النسوي: فهو نظير مؤلف ماري ولستونكرافت *The Vindication of the Rights of Women* الصادر في القرن الثامن عشر. لكن المئة وخمسين عاماً الفاصلة بين نشر الكتابين ـ أحدهما في نهاية عصر التنوير، والآخر بالقرب من نهاية الحداثة ـ تشير إلى بعض أوجه الشبه بينهما، أكثر مما تشير إلى أوجه الاختلاف، وبخاصة الطريقة التي تفرق بها الكاتبتين بين المذكر والمؤنث، كما أكدت كل من ولستونكرافت وبوفوار مركزية التعليم، والعمل على التحول في العلاقات النوعية: كانت بوفوار أحياناً ـ مثلها مثل ولستونكرافت ـ قريبة من جعل دخول النساء في التوظيف العام هو الانعتاق الشامل للمرأة. على أن هذه الدعوة لم تمثّل الانعتاق التام للنساء كما كانت بوفوار تفترض، إذ إن التجربة التي كانت غائبة عن بوفوار ـ وهي تجربة الأمومة ـ وهي جزء من الوجود الإنساني، احتلت مكاناً ضئيلاً في عالمها.

وفيما يبدو متناقضاً بالظاهر مع ذلك، فإن موت والدتها هو الذي دفع بوفوار إلى كتابة ما اعتبره الكثير من النقاد أقوى كتبها. ويعتبر كتاب **موت سهل جداً** الذي ألفته عن وفاة أمها جزءاً من عمل السيرة الذاتية الموسع لبوفوار (والأجزاء الأربعة الأخرى هي: *Memoirs of a Dutiful Daughter*، و*The Prime of Life*، و*Force of Circumstance*، و*All Said and Done*).

وظهرت بعد وفاة بوفوار عام ١٩٨٦ بعض المطبوعات التي وجهت انتقادات لسيرتها الذاتية، لكن قلة قليلة منها هي التي تشككت في صحة **موت سهل جداً**. وهناك القليل مما يرد في أعمال بوفوار التالية يشير إلى أنها كانت تود كشف أسباب تأثير موت والدتها فيها، لكننا يمكن أن نلاحظ مصادفة الحدث واهتمام بوفوار المتزايد بالسياسة النسوية الواضحة.

ويؤكد التيار النسوي الفرنسي (في أعمال كاتبات مثل هيلين سيسو ومونيك ويتي) على وجوب اعتراف النساء باختلافهن الأساسي عن الرجال، وعن النظم الفكرية الذكورية. ولم تكن بوفوار مستعدة أبداً للوصول إلى هذه النقطة: فبالنسبة إليها، إن اللغة والنظم الفكرية (بدرجة كبيرة) ذات طبيعة محايدة بالنسبة إلى النوع، إلا أن ما قامت بفعله هو المشاركة الفاعلة للغاية في الحملات حول حقوق الصحة الإنجابية وضد العنف ضد النساء.

واتسمت السنوات الأخيرة في حياة بوفوار بدرجة من الجفاء مع سارتر الذي كان على وشك الزواج من امرأة تصغره

كثيراً في خاتمة حياته. على أي حال، أصبح سارتر وبوفوار ـ سواء بمفردهما أو كثنائي ـ جزءاً من التاريخ الفكري والسياسي للقرن العشرين.

وقدمت رواية *The Mandarins* التي وفّرت لبوفوار جائزة الكونكور عام ١٩٥٥ نوعاً من رصد العلاقة الديناميكية بينهما، وهو الرصد الذي لم يقلل من أسف ومصاعب النساء والرجال الذين يحاولون الحفاظ على الولاءات للنماذج الشخصية والسياسية. وأصبحت بوفوار بالطبع مشهورة عالمياً بسبب دراستها النساء (على الرغم من أنها تناولت أيضاً في عملها *Old Age* جانباً آخر، وهو الفرق بين كبار السن والشباب)، لذا فإننا نرى ـ إجمالاً ـ أن عملها قد تناول بصورة أكبر القضية التي اعتبرها أنصار التيار النسوي في نهاية القرن العشرين قضية حاسمة بالنسبة إلى مكانة النساء، وهي قضية الصلات مع آخرين وتأثير أفعالنا فيهم. وعملت بوفوار طوال حياتها العملية المديدة على معالجة القضية التي أصبحت جزءاً من عمل علماء اجتماع وعلماء النفس الاجتماعيين، أمثال أنتوني غدنز وأولريخ بك وكارول جيلجان، والمقصود هنا قضية: كيف يمكن للعلاقات الشخصية أن تستمر بطرق تسمح بحرية الفرد من دون التجني على حرية الآخر. وقد ساعدتنا بوفوار على رؤية الطبيعة النوعية لهذه المشكلة.

انظر أيضاً: **جوديث باتلر**.

■ أهم الأعمال:

Fiction

She Came to Stay: A Novel (1943). New York: W. W. Norton.

The Mandarins: A Novel (1956). New York: W. W. Norton.

Autobiography and Biography

Memoirs of a Dutiful Daughter (1974). New York: Harper Perennial.

A Very Easy Death (1985). New York: Pantheon.

Adieux: Farewell to Sartre (1985). New York: Pantheon.

The Prime of Life. (1992). New York: Marlowe and Company.

Force of Circumstance (1992). New York: Marlowe and Company.

All Said and Done (1993). New York: Marlowe and Company.

Philosophy and Social Theory

The Ethics of Ambiguity (1949). Tr. from the French by Bernard Frechtman. New York: Citadel Press.

The Second Sex (1949). Harmondsworth: Penguin.

بعض الاقتباسات موجودة في: Margaret A. Simons (ed.) (2004). *Philosophical Writings*. With Marybeth Timmermann and Mary Beth Mader. Champaign, IL: University of Illinois Press.

■ قراءات إضافية:

Mary Evans (1985). *Simone De Beauvoir: A Feminist Mandarin*. London: Tavistock.

Deidre Bair (1990). *Simone de Beauvoir: A Biography*. New York: Summit Books.

Toril Moi (1993). *Simone de Beauvoir: The Making of an Intellectual Woman*. Oxford: Blackwell.

جيل ديلوز Gilles Deleuze

فيلسوف فرنسي، ولد عام ١٩٢٥ في باريس التي عاش فيها معظم عمره، ودرس الفلسفة في السوربون، حيث علّم أيضاً تاريخ الفلسفة في الفترة ما بين عامي ١٩٥٧ و١٩٦٤. كما تولى مناصب تدريسية أخرى في جامعة ليون، وجامعة فينسن (بتوصية من صديقه المقرب ميشيل فوكو)، وأخيراً في جامعة باريس السابعة التي ظل فيها حتى تقاعده عام ١٩٨٧. أنهى ديلوز حياته عام ١٩٩٥، وكان في المراحل الحرجة الأخيرة من مرضه الذي عانى منه طوال ثلاثين عاماً.

ديلوز كاتب دراسات خاصة بسير الفلاسفة الكلاسيكيين من كانط، وسبينوزا، وليبنتز، إلى هيوم، وبرغسون، ونيتشه، وكان نمط قراءاته شرحاً يزاوج «النص الأصلي بطريقة يتم فيها أقصى تعديل ممكن للموضوعات من خلال التكرار والاختلاف (Differentiation)» وفق نص عبارة باتون. لم يؤيد ديلوز أبداً ادعاءات موت الفلسفة، بل تبنى فكرة أن النظم الفلسفية «فقدت بالفعل قوتها، إن أساس نظرية ما

يعرف بالنظم المفتوحة يوجد في العلم والمنطق الحاليين»، وهكذا، فإنه يمكن رؤية نظام مفتوح في أعماله الفلسفية، يتميز بتعديل دائم لمجموعة من المفاهيم الموجهة، بصورة مختلفة، وفقاً للموضوعات المختلفة.

وبالرغم من وصفه الدائم بأنه فيلسوف ينتمي إلى ما بعد البنيوية، إلا أن لدى ديلوز اختلافات كبيرة مع مفكري ما بعد البنيوية، مثل جاك دريدا (الذي اختلف معه ديلوز اختلافاً كبيراً حول التأويلات (Hermeneutics)، واختلافات جوهرية مع جاك لاكان (الذي تلقى هجوماً كبيراً من ديلوز في عمله المشترك مع فيلكس غوتاري). وإضافة إلى السير الذاتية الفلسفية التي كتبها، كتب كتابين مهمين حول السينما *Cinema 1, Cinema 2*، مثّلا قراءة أصيلة لأعمال ميشيل فوكو والعديد من الكتب الأخرى حول الأدب والرسم. كما ألّف كتيبين حول كافكا *(Kafka: Toward a Minor Literature)*، والفلسفة *(What Is Philosophy?)*، حيث تناول الاختلافات بين الفلسفة والعلم والفن.

ويمكن أن ترجع شهرة جيل ديلوز، في المقام الأول، إلى أعماله الشهيرة مع المحلل النفسي والناشط السياسي فيلكس غوتاري F. Guattari، وبخاصة في كتابين كبيرين حظيا بانتشار كبير، وهما *Anti-Oedipus: Capitalism and Schizophrenia*، و*A Thousand Plateaus* إذ يمكن اعتبارهما أول نصين فلسفيين يتناولان مفهومياً الأحداث السياسية لعام ١٩٦٨ (في فرنسا).

في نقده لفكرة أن الفلسفة معنية أساساً بالقضايا المعرفية، يتجلى أحد أهم الجوانب المتعلقة بفلسفة ديلوز في ما يتصل بالتفكير

السوسيولوجي، ألا وهو العلاقة بين التفكير والحقيقة والمعرفة. فكك ديلوز ببراعة بعض الفرضيات الأساسية للفلسفة الغربية في عمله الفلسفي الرئيس الأول، **الاختلاف والتكرار**، إذ تعامل بصورة خاصة مع ما يسميه بالصورة الدوغمائية للفكر، من أفلاطون وديكارت إلى كانت وراسل، هذه الصورة التي تخضع التفكير للمعرفة والمعرفة للحقيقة. ويضمن التعاون المنسق للكليات مثل هذه المعرفة، ويثبت هوية الموضوع، ومن ثم فإنه يضمن تعريف المفعول به، كما إنه يطلق على هذا المنطق الشكل التمثيلي: «الجميع يعرفون، ولا يمكن لأحد أن ينكر أنه شكل تمثيلي»، وقال ـ متبعاً نيتشه: إن هذا النمط الفلسفي لا يمكنه الانقطاع عن الشعور أو الرأي العام، وهكذا يكون غير قادر على اكتساب قوة التفكير. وبالنسبة إلى ديلوز، فإن التفكير لا يتسم بداهة بالإرادية، لكنه شيء ما مفروض علينا من الخارج، ومن قوة تقاوم الخارج. وهكذا، واجهت الفلسفة اختباراً مستمراً من قبل الحدث الذي لا يمكن ـ بالتالي ـ أن يتم الحد منه إلى حال معينة.

رأى ديلوز أن الصورة الدوغمائية للفكر جعلت الفلاسفة غير قادرين على التفكير في ما يوجد خارج نطاق المعرفة، والتمثيل، والحقيقة. وطالب بدلاً من الصورة السائدة للفكر بمبادئ علم وجود سطحية، ولا يكون هذا النوع من علم الوجود تابعاً أو مشتقاً من هوية ما، أو في صورة متدنية لدرجة التمثيل الفرعي، لكنه يتناول مبدأ الانقطاع (Discontinuity) والتحول (Metamorphosis). وهو يركز على التعددية بوصفها حقيقة قائمة (Substantive)، أي على الحدث كأمر واقع، ومتباين عن حقيقة الأمور القائمة، وعلى جسد ما كما هو

محدد بعلاقاته في السرعة والقدرة في التأثير، أكثر من تصوره كفاعل، وعلى التكون (Becoming) أو فترة مكثفة، كنقيض للحركة البسيطة. ووجد ديلوز إلهاماً من نمط التفكير هذا في أعمال فلاسفة مثل لوكريتوس، ونيتشه، وسبينوزا، وبرغسون، وليبنتز، ووايتهيد.

كما كان ديلوز مهتماً بصورة خاصة بفلسفة الاختلاف، والتكون، والتعددية التي كونها من خلال قراءاته حول سبينوزا، ونيتشه، وبرغسون. ولا يُرى الاختلاف هنا في ضوء علاقة مكانية وخارجية بين الكائنات المنفصلة، لكنه يُرى في ضوء العمليات الداخلية والموقتة للاختلاف الذي يقع بين الحالات المختلفة. واتبع في ذلك الرأي نقد جلبرت سيموندو التناقض بين الفرد والبناء من وجهة نظر مقارنة علم الوجود التي تعطي أولوية لعمليات التشخيص ـ الوجود الشخصي (Individuation) في هذه النوعية من التفكير. ويمكن اعتبار فلسفة ديلوز حول التكون نقداً مميزاً للجدل الهيغلي الذي أشاد به بوصفه تناول حركة التكون، لكنه رفض تبني هذا الجدل بسبب رؤيته الاختلاف مذهباً ووسيطاً خارجيين. ولم ير ديلوز ـ بخلاف معاصره جاك دريدا ـ هذا الاختلاف أحد تأثيرات الكتابة، لكن رآه يخص التكون نفسه، ويفهم بوصفه عملية إيجابية من التوكيد والتعبير. وبنى ديلوز نقده تبعية التعددية للواحد (The One) في ما وراء الطبيعة الغربية، اعتماداً على علم الوجود السابق. وهكذا ميّز ديلوز بين نوعين من التعدديات، وهما: التعدديات المنفصلة (Discrete Multiplicities)، والتعدديات المتصلة (Continuous Multiplicities). ولا تتأثر التعدديات المنفصلة بواقع الانقسام، بينما تتغير التعدديات

المتصلة عندما تنقسم. وتسود الميتافيزيقا الغربية التعدديات المنفصلة التي لا تفرض أي مشكلة على الاختلاف أو التكون الداخلي. ولا يمكن تفسير التعدديات المتصلة، إلا أن أهدافاً (نزعات) تفسح في المجال أمام تصاعد العمليات التي لا تستنفد قدراتها على التكون. وتطور ذلك كلية في أعمال ديلوز الأخيرة مع غوتاري.

ختاماً، تمكن ديلوز ـ في أعماله الأخيرة مع غوتاري ـ من لغة غير مخصصة للعالم أو ممثلة له، لكنها تستلزم تدخلاً نشطاً في تراكيب متغايرة من الكلمات والأشياء. وهكذا، تمثّل أعمال ديلوز ـ بالرغم من ارتباطه بما بعد الحداثة ـ بديلاً لنظريات ما بعد الحداثة التي تمنح التمثيلات سلطة خاصة في توسط الخبرة الاجتماعية. وبدلاً من ذلك، أكد أن ما يخوله ما بعد الحداثيين للتمثيلات (مثل الكلمات والصور) يدخل في التراكيب المغايرة التي تربط العناصر الاجتماعية، والبيولوجية، والفنية، والثقافية، والنفسية (والتي لا يحظى أي منها بأولوية خاصة في علم الوجود، لكن يجب أن تفهم معاً في نطاق قدرتها على إنتاج تأثيرات مادية (بما فيها تأثيرات المعنى)، وهكذا تكون اللغة غير منفصلة عن وجود تراكيب جماعية للألفاظ التي تجلبها للوجود. ولا تمثل الكلمات أشياء، لأنها أمور مادية ملموسة في حد ذاتها، وهكذا، يمكن وصف ديلوز ـ كما يرى أليز ـ بأنه «بنائي» (Constructivist) أكثر من كونه «شارحاً» (Constructionist). وكزميله فيلكس غوتاري، وبدلاً من اشتهاره كفيلسوف ما بعد البنيوية، فإنه يفضل البنيويين المفرطين مثل اللغوي الهولندي لويس هيمسليف على اللغويين السيميائيين أمثال فرديناند دو سوسير.

انظر أيضاً: ميشيل فوكو.

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists*: Ferdinand de Saussure.

■ أهم الأعمال:

Anti-Oedipus: Capitalism and Schizophrenia (1977). With Félix Guattari; translated from the French by Robert Hurley, Mark Seem, and Helen R. Lane. New York: Viking.

A Thousand Plateaus: Capitalism and Schizophrenia (1987). With Félix Guattari; translation and foreword by Brian Massumi. Minneapolis, MN: University of Minnesota Press.

Cinema. (1989). Translated by Hugh Tomlinson and Barbara Habberjam. London: Athlone Press. 2 vols.

Foucault (1989). translated and edited by Seán Hand; foreword by Paul Bové. Minneapolis, MN: University of Minnesota Press.

Difference and Repetition (1994). Translated by Paul Patton. New York: Columbia University Press.

■ قراءات إضافية:

Gilbert Simondon (1989). *L'Individuation psychique et collective: A la lumière des notions de forme, information, potentiel et métastabilité*. [Paris]: Aubier. (L'Invention philosophique)

Michael Hardt (1993). *Gilles Deleuze: An Apprenticeship in Philosophy*. Minneapolis, MN: University of Minnesota Press.

Constantin V. Boundas (1996). «Deleuze-Bergson: An Ontology of the Virtual.» in: Paul Patton (ed.) *Deleuze: A Critical Reader*. Oxford; Cambridge, MA: Blackwell. (Blackwell Critical Readers)

Paul Patton (ed.) (1996). *Deleuze: A Critical Reader*. Oxford; Cambridge, MA: Blackwell. (Blackwell Critical Readers)

Eric Alliez (2004). *The Signature of the World: What is Deleuze and Guattari's Philosophy?*. Translated by Eliot Ross Albert and Alberto Toscano; with a preface by Alberto Toscano. London: Continuum. (Athlone Contemporary European Thinkers)

غاياتري سبيفاك Gayatri Spivak

نشرت جامعة جونز هوبكنز عام ١٩٧٦ مقدمة سبيفاك للترجمة الإنكليزية لكتاب جاك دريدا عن علم النحو *Of Grammatology*، وهو الكتاب الذي لم يجسد فقط المقدرة الفكرية لسبيفاك، لكنه أدى أيضاً إلى استحضار نقد دريدا قلب التناول الفلسفي الغربي وتوكيده ـ هذا النقد ـ القوي المقولات الأرسطية عن الهوية وعدم التناقض، ليحظى بانتباه الأكاديميين الأنكلو ـ أمريكيين. وإزاء هذا الجدال، أظهر دريدا الأهمية المحورية الفائقة للمغايرة (Otherness) أو الاختلاف (Difference) كما ينص دريدا. وطورت سبيفاك هذه الموضوعات في أعمالها الخاصة في ما بعد.

ولدت غاياتري شاكرافورتي سبيفاك عام ١٩٤٢ في كلكتا قبل تقسيم شبه القارة الهندية. وكانت من أصل بنغالي، والتحقت بكلية الرئاسة في كلكتا، وحصلت على درجة في اللغة الإنكليزية قبل وصولها إلى الولايات المتحدة عام ١٩٦٢ طالبة للحصول على درجة

الدكتوراه في مجال الأدب المقارن في جامعة كورنيل. كانت دراستها الدكتوراه حول دبليو. بي. يتس بإشراف بول دومان. ونشرت دراستها في ما بعد عام ١٩٧٤ بعنوان *Myself I Must Remake: The Life and Poetry of W.B.Yeats*. وتعمل حالياً أستاذة إنسانيات في مؤسسة أفالون، ومديرة مركز الأدب المقارن والمجتمع في جامعة كولومبيا، حيث كانت تدرس اللغة الإنكليزية وسياسة الثقافة.

وترى سبيفاك من خلال تناولها الفلسفة التفكيكية لدريدا ـ كما تقول سارا هاراسم ـ أن «التفكيكية هي تفكيك المفاهيم المؤسسة للرواية التاريخية الغربية». وكان تناولها أعمال دريدا عارضاً، لكن اهتمامها بأعماله كان متعمقاً بحكم سيرتها الذاتية وعلاقتها بنظام التعليم الاستعماري البريطاني:

«عندما قرأت دريدا للمرة الأولى، لم أكن أعرف من هو، استمتعت برؤية دريدا يقوم بالفعل بتفكيك أو تعرية (Dismantling) الموروث الفلسفي من الداخل بدلاً من الخارج، لأننا نَمونا بالطبع في ظل نظام تعليمي في الهند، حيث كان اسم بطل هذا النظام الفلسفي هو الكائن البشري العالمي، وكنا نتعلم أنه إذا كان بمقدورنا أن نبدأ في القيام بعملية تحول داخلي (Internalization) لهذا الكائن البشري، فإننا سنكون بشراً. وعندما رأيت في فرنسا شخصاً، يحاول بالفعل أن يفكك الموروث الذي كان قد قيل لنا مراراً إنه سيجعلنا بشراً، فإن الأمر بدا مثيراً للاهتمام أيضاً».

وتعكس هذه الرؤية الذاتية كون انجذاب سبيفاك إلى أعمال دريدا الفلسفية متأثراً للغاية برغبتها الفكرية في «تفكيك الممارسة المهيمنة» للفكر الغربي التي تقدم أساساً منطقياً (Rationalization) للهيمنة والاستعمار الغربي. وفي سبيل القيام بذلك، تتجاوز سبيفاك القراءات المعتادة لأعمال دريدا بتوسيع نطاق نقده المعرفة الفلسفية الغربية، ليشمل تناول السجالات حول الاستعمار والإمبريالية والنقد الأدبي والتجسيدات النسوية الغربية لحياة ونضالات وتواريخ النساء «التابعين». وهكذا، قدمت سبيفاك جهداً ملموساً في نشر تفكيكية دريدا للموضوع الإنساني الغربي في إطار الفكر ما بعد الاستعماري.

وكانت سبيفاك متحدثاً رئيساً خلال انعقاد مؤتمر حول «ما بعد الحداثة» في سيدني بأستراليا، في حزيران/يونيو ١٩٨٤، إذ قامت بمناقشة فكر دريدا، ومشكلات النصية (Textuality) ونطاق السياسة، وطرحت هناك مجموعة من أهم أفكارها المؤثرة. وعرضت هذه الأفكار في دراستها التي حملت عنوان (Can the Subaltern Speak?) التي نشرت أساساً في مجلة *Wedge* عام ١٩٨٥، ثم أعيد طبعها مرة أخرى ضمن مجموعة دراسات أخرى، تمّ تحريرها في كتاب بعنوان *Marxism and the Interpretation of Culture* حيث كانت الدراسة نقداً استثنائياً لمقولات مفكرين أوروبيين ظهروا في القرن العشرين، مثل ميشيل فوكو وجيل ديلوز، تهدف إلى تمثيل المهمشين والحديث نيابة عنهم ودحض ادعاءات المستعمرين البريطانيين بإنقاذ النساء الوطنيات (الأصليات) (Native) وهو

مصطلح استعماري يطلق على سكان البلاد التي احتلتها قوى أوروبية) من موروث التضحية بالأرامل الهندوسيات في الهند في القرن التاسع عشر. وبلا شك، فإن هذه الدراسة لم تواجه فقط المقولات الثابتة للنسوية الغربية، بل إنها واجهت مناهجها ومجال تركيزها. والأمر الأكثر أهمية، هو أنها أوجدت مجالاً للتصور الذاتي لدى سبيفاك، جعلها تتقدم علمياً في نقدها القضايا المتعلقة بالعرق والطبقة والجنسية والدين والثقافة. وترفض سبيفاك في دراستها تصورات التوجه النسوي الغربي السياسي لنساء «العالم الثالث»، وحققت أعمالها فهماً أخلاقياً أعمق لأبعاد قوة «من يملك ناصية الحديث» ووفر ـ هذا الأمر ـ ثراء وتعقيداً للنظرية النسوية. وعلى الرغم من الإسهام الكبير لهذه الدراسة، فقد كان هناك أيضاً نقد قوي لها.

وتركز النقد الأدبي لسبيفاك في دراساتها (Imperialism and Sexual Difference)، «نصوص لثلاث نساء ونقد للإمبريالية» (Three Women's Texts and a Critique of Imperialism)، و(The Rani of Sirmur). وكما ترى سبيفاك، فإن الأدب، وبالضرورة تدريسه، مهم للغاية في بناء والترويج للمهمة الاستعمارية، وتعتبر أن نصوصاً مثل *Jane Eyre* لشارلوت برونتي، و*Frankenstein* لماري شيلي، و*Robinson Crusoe* لدانيال ديفو، كانت ذات أهمية فائقة في هذا البناء وهذا الترويج. وتؤكد سبيفاك بشدة، في ما يشبه ما قام به إدوارد سعيد وهومي بابا، مقولة أن الأدب الإنكليزي في القرن

التاسع عشر كان مرتبطاً بالسرد التاريخي للاستعمار الذي يقدم وجهة نظر اجتماعية لإنكلترا على أنها حتماً متحضرة ومتقدمة. وأرست سبيفاك، التزاماً بذلك أيضاً ـ على خلاف إدوارد سعيد ـ البناءات الشكلية للتوظيف النظري والسياسي للنصوص الأدبية في ما بعد الاستعمار لاحتواء السرد الاستعماري السائد. وبينما يتميز كل من إدوارد سعيد وهومي بابا وغاياتري سبيفاك بوصفهم «الثالوث المقدس» لنظرية ما بعد الاستعمار، فإن سبيفاك تعتبر أبرزهم تجديداً لجديتها ومشاركتها الفكرية في أدبياب ما بعد الاستعمار، بوصفها شكلاً من أشكال تحدي السرد الاستعماري السائد المنتشر في النصوص الإنكليزية التقليدية.

وتعتمد الثقافة، وفقاً لما تراه سبيفاك، على شكل شائع للمهمة التمدينية للاستعمار الأوروبي. وترى سبيفاك، اعتماداً منها على النظريات التفكيكية لبول دومان، أن «أساس الادعاء بالحقيقة ليس إلا مجرد مقولة أدبية (Trope)»، وبينما تعتبر المقولة الأدبية مجرد شكل من أشكال الكلام، يرى دومان أن جميع النصوص تعي أنها أدبية ورمزية، ومن ثم فإنها عرضة لإعادة التفكيك. وتعتبر سبيفاك أنه يمكن لأي نص أدبي أن يفرض إساءة ثقافية وأيديولوجية وسياسية واجتماعية جادة.

وبجانب الاعتراف الواسع النطاق بنفوذ سبيفاك في النظرية النسوية والنقد الأدبي والماركسية والدراسات الثقافية، فإنه من الأهمية بمكان تحليل ما إذا كانت نظرياتها ـ التي تطورت بصورة

كبيرة في الثمانينيات ـ قابلة للتطبيق في السجالات الجارية عن الانتماء والولاء للدولة القومية والإسلاموفوبيا والدراسات الظاهراتية للبياض (Phenomenological Studies of Whiteness).

انظر أيضاً: **جيل ديلوز؛ ميشيل فوكو؛ إدوارد سعيد.**

■ **أهم الأعمال:**

«Can the Subaltern Speak?.» (1988). in: Gary Nelson and Larry Grossberg (eds.). *Marxism and the Interpretation of Culture*. Chicago, IL: University of Illinois Press.

In Other Worlds: Essays in Cultural Politics (1987). London; New York: Methuen.

The Post-colonial Critic: Interviews, Strategies, Dialogues. Edited by Sarah Harasym. New York: Routledge.

Chotti Munda and his Arrow. Ed. and trans. (2002). Oxford: Blackwell.

Death of a Discipline (2003). New York: Columbia University Press. (Wellek Library Lectures in Critical Theory)

اقتباساتها موجودة في: Donna Landry and Gerald MacLean (eds.) (1996). *The Spivak Reader: Selected Works of Gayatri Chakravorty Spivak*. London: Routledge.

■ **قراءات إضافية:**

Sarah Harasym (1990). *The Post-Colonial Critic: Interviews, Strategies and Dialogues*. London: Routledge.

إدوارد سعيد Edward Said

هو عالم وكاتب وناشط وعالم موسيقى أمريكي فلسطيني، ولد في القدس بفلسطين عام ١٩٣٥، وتوفي في نيويورك عام ٢٠٠٣. اشتهر إدوارد سعيد، الذي كان شخصية حقيقية لعصر النهضة في زمن تزايد التخصص الفكري بصورة كبيرة بأعماله في الأدب والنقد الفكري، وحول الصراع العربي ـ الإسرائيلي، وبخاصة توثيقه ودفاعه عن القضية الفلسطينية، وفي مجال الاستشراق الذي كان لعمله البارز الذي يحمل الاسم نفسه تأثير كبير للغاية. ومن بين أكثر من عشرين كتاباً قام بكتابتها طوال حياته، بما فيها نصوص كلاسيكية مثل *Beginnings, Culture and Imperialism*، وسيرته الذاتية: **خارج المكان** *Out of place*، فإن كتابه *Orientalism* ـ الذي يحمل عنواناً فرعياً: **المفاهيم الغربية عن الشرق** ـ كان السبب الرئيس في شهرته الدولية باعتباره ناقداً ومنظراً اجتماعياً. وكان السبب في ذلك هو أن هذا الكتاب جمع التطور الحادث في الدراسات الثقافية وسلط

الضوء على ظهور دراسات «الفئات الدنيا» و«دراسات ما بعد الاستعمار». وبالفعل ومن وجهة نظر العلوم الاجتماعية، فإن هذا الكتاب من الكتب المثيرة للنقاش وإعمال العقل ويستحق أعظم اهتمام.

يؤكد إدوارد سعيد أن «الاستشراق» يتكون من كيان متحرر للأفكار والقيم التي تعود في أصولها إلى العصر الكلاسيكي القديم، ويظهر في الكتابات التي سجلها الرحالة ورجال الإدارة الاستعمارية، والقواد العسكريون الغربيون عن «الشرق»، وكذلك في الأعمال الإبداعية للروائيين والفنانين والمؤلفين الموسيقيين الغربيين. واعتماداً على أعمال منظرين أمثال أنطونيو غرامشي وميشيل فوكو، فهم ادوارد سعيد أبنية المعرفة الأوروبية والصور النمطية للثقافات الأخرى على أنها «خطابات» (Discourses)، كما يصطلح فوكو. وهو ما يعني أن أعمال الغربيين التي تناولت الشرق عبارة عن ممارسات استطرادية تثبت معنى الأشياء التي يتم عبرها تحصيل المعرفة والحقيقة. ويرى أن تثبيت معرفتنا «نحن» والمعاني الخاصة بنا للأشياء، مثل «الشرق» فله نتائج اجتماعية وسياسية مهمة.

وحلل سعيد أربعة من هذه المعاني المتضمنة، **أولها** أن الخطابات الاستشراقية «تجوهر» (Essentialize) الشرق بفرض شكل خارجي ومتجانس، وبالتالي خاطئ تماماً، على مجموعة متباينة ومتغيرة من الخبرات والمؤسسات. ولذلك، فإن «الشرق» في الخطاب الاستشراقي يكون مبنياً بوصفه كياناً ثابتاً وسلبياً وغير مستقل

وتقليدي وغير غربي بصورة أساسية. تتضمن عملية التجوهر هذه (المناقضة للوجودية) المعنى **الثاني** لتقديم الشرق على أنه «آخر» يعارض الغرب منذ الأزل. وبهذه الطريقة فإن العلاقة بين الغرب والشرق تشكل تناقضاً ثنائياً، حيث يستخدم مفهوم الشرق وكل ما يرتبط به من خصائص ـ مثل إلصاق صفة حكم الطغاة على الشرق كنوع وحيد للحكم السياسي (في ما يسمى «الاستبداد الشرقي») ـ لبناء شعور بالهوية الغربية على أنها بمنأى عن الشرق. ومن هنا يتم توكيد هذه الهوية من خلال تقديم الشرق باعتباره تهديداً مستمراً للغرب وقيمه. ووفق مصطلحات أكثر فنية، يؤدي الشرق دور «مكون خارجي» يثبت هوية الغرب، بينما يمكنه أن يؤدي إلى خلخلة استقراره وتخريبه.

المعنى **الثالث** هو أن المادة الأرشيفية الكبيرة للأعمال «الاستشراقية» تشكل مجموعة فاعلة من القيود على ما يمكن قوله والتفكير فيه وفعله إزاء «الشرق». وهكذا يظهر سعيد كيف أن «إرادة معرفة الشرق» توحي بالنظر إلى الاستشراق على أنه مجموعة من التمثيلات من خلال تقديم الوسائل الفكرية والثقافية لحكم الشرق من قبل الاستعمار والإمبريالية الأوروبية. كما أكد سعيد الارتباط العام لجميع المؤسسات والممارسات المعرفية والسياسية. ويرى سعيد أن **المعنى الأخير** هو معنى سياسي مباشر وعملي، كما أكد أن التمثيلات الاستشراقية تعوق بصورة كبيرة التبادل المناسب والتفاعل المتبادل بين الشرق والغرب. تعتبر هذه الملاحظة حيوية للغاية في فهم سعيد ونقد

الاستشراق بوصفه بناء قوة، لأن اهتمامه الأساسي كان بإزالة العوائق المضللة التي رسخها الكتاب الاستشراقيون، وتمكين التبادل الثقافي الفاعل بين مختلف المجتمعات. وبالنسبة إلى سعيد، فإنه يمكن تحقيق ذلك باسم النزعة الإنسانية التي تتجاوز الخصوصية الثقافية، ومن ثم تقديم وجهة نظر ـ نقطة انطلاق لتطوير القواسم المشتركة بين مختلف التكوينات (Formations).

وتثير كتابة إدوارد سعيد قضيتين نقديتين على الأقل. تعنى الأولى بالطريقة التي يفكر بها سعيد حول الصلة بين الخطاب ـ المعرفة والواقع الاجتماعي. وهذه قضية على درجة كبيرة من الأهمية، لأنها تثير قضايا بخصوص معرفتنا بالعالم والأمور التي تسعى المعرفة إلى فهمها. هنا، كانت أعمال سعيد غامضة في تحديد ما إذا كان الخطاب الاستشراقي يؤلف نظاماً من المقولات التي تمثل الشرق أم لا، أو ما إذا كان الخطاب الاستشراقي قد أوجد بالفعل الشيء أو الواقع الذي يصفه أم لا. وتتراوح إجابة سعيد عن هذا السؤال بين الضعف والقوة. ترى الصيغة الأضعف للإجابة أن الخطاب هو «نظام من التمثيلات المحصورة ضمن إطار بواسطة مجموعة كاملة من القوى التي أدخلت الشرق في التعليم الغربي». ووفقاً لوجهة النظر هذه، فإن «ظاهرة الاستشراق» تتعامل أساساً، ليس مع توافق بين الاستشراق والشرق، وإنما تتعامل مع التماسك الداخلي للاستشراق وأفكاره عن الشرق... على الرغم أو أبعد من أي توافق، أو نقص، مع شرق «حقيقي». «ومن جهة أخرى، فإن

«لغة الاستشراق قد تغيرت راديكالياً، ولم تصبح مجرد أسلوب للعرض، ولكنها لغة تعني الخلق»، وقد حدث ذلك بصورة خاصة بعد فشل احتلال نابليون مصر. ومن هذا المنظور، فإن النصوص الاستشراقية «تخلق، ليس فقط المعرفة، وإنما أيضاً الواقع الذي يبدو أن النصوص تصفه».

كان هذا الغموض بخصوص طبيعة الشرق ذا نتائج مهمة بالنسبة إلى موقفه بخصوص علم المعرفة. وإذا كان لسعيد أن يظل مخلصاً لمفهوم المعرفة التي تمثل فيها المقولات طريقة وجود العالم، فإنه كان يجب عليه أن يفترض أن هناك شيئاً ما يجب تمثيله، وأن هناك تمثيلاً خاصاً يمثل الحقيقة الاجتماعية أو يسيء تمثيلها. وعلى العكس من ذلك، فإنه ـ إذ كان قد تساءل عن وجود الشرق نفسه من عدمه بالفعل ـ كان يرى أن هذه المقولات التقليدية الاستشراقية تنتج موضوعها التحليلي، فإنه سيكون مطلوباً منه وضع مفهوم مختلف للمعرفة والحقيقة، لنقل مجموعة من التعريفات النسبية (القائمة على النسبية أو تعريفات ما بعد الحداثة). على أي حال، فإنه إذا اختار وضع تعريفات جديدة، فإن فئة التمثيل نفسها تصبح في وضع خطر، وهو الأمر الذي يكاد إدوارد سعيد أن يقر به قرب نهاية كتاب **الاستشراق** بقوله:

«ولأن الإسلام قُدم أساساً في الغرب بصورة خاطئة، فإن القضية الحقيقية تكون هل هناك بالفعل تمثيل صحيح لأي شيء، أو هل هناك أي من التمثيلات أو كلها قد وضعت في اللغة ثم في الثقافة والمؤسسات والبيئة السياسية لصاحب التمثيل».

وهو يقبل هنا فكرة أن التمثيلات متداخلة ومترابطة ومتشابكة مع أشياء مهمة أخرى، مثل «الحقيقة» التي تعتبر في حد ذاتها تمثيلاً، وهو الأمر الذي يؤدي إلى الملاحظة المنهجية التي تدفعنا «لرؤية التمثيلات على أنها تتضمن مجالاً مشتركاً لها، من خلال بعض التاريخ المشترك، والتقليد، والخطاب العالمي، وليس القضايا المشتركة فحسب».

ومع هذا، لم يوضح إدوارد سعيد كلية أبداً المعاني التامة للفكرة الأخيرة، وكانت إحالاته «لسوء تمثيل» الإسلام في الغرب نفسها تقلل من قيمة تحفظاته التي أثارها. وبدلاً من ذلك، وإذ ترك أمر تناول قضية التمثيل لتيموثي ميتشل، فإنه يرى أنه من الأهمية بمكان فهم كيف أن الغرب وصل إلى رؤية العالم على أنه مقسم بين نطاق من التمثيلات ونطاق من الأشياء «الحقيقية». وبعبارة أخرى، تكمن القضية الرئيسة في فهم كيف أن تقسيم العالم الاجتماعي إلى «تمثيلات» و«حقيقة» هو نتاج الممارسات الغربية الحديثة التي كانت بمثابة أدوات قولبة لمعرفتنا وفهمنا الحقيقة الاجتماعية.

أما القضية الثانية المتعلقة بنقد سعيد للاستشراق ـ فهي النقد القائم على تأكيد القيم «الإنسانية» العالمية والدفاع عن «التجارب الإنسانية» التي ينكرها الاستشراق بصورة منتظمة. ويؤكد سعيد أن «الواقع الاستشراقي غير إنساني ومتواصل»، وبذلك فإنه يشكل «المسألة الفكرية» الرئيسة التي يثيرها الاستشراق، سواء أكان مسؤولاً إنسانياً عن تقسيم العالم إلى ثقافات أو مجتمعات مختلفة أم لا.

ويؤكد سعيد في هذا الصدد أن دور المثقف «باعتباره صاحب وعي نقدي مستقل» هو أن يوظف «النقد الإنساني» لمعارضة أيديولوجيا الاستشراق غير الإنسانية.

إحدى الصعوبات المحتملة هنا هي أن جميع القيم العالمية التي يثيرها سعيد قد أنتجت هي نفسها من خلال المقولات الغربية التي تتشابك بقوة مع الاستشراق. وثمة صعوبة أخرى تتعلق بما إذا كان توكيده القيم الإنسانية العالمية يتلاءم مع رغبته لتوكيد خصوصية وتباين الثقافات المختلفة. أخيراً، هناك وضع ووظيفة للمثقف الإنساني النزعة، وبينما لا يواصل سعيد توكيده دور الناقد الإنساني النزعة في أن يكون قادراً على معرفة أن «هذا العالم التاريخي قد كونه الرجال والنساء، وليس الرب، وهو ما يمكن فهمه منطقياً»، فإن رؤيته تترك رصداً مفتوحاً «لفهم» الأيديولوجيات المشابهة للاستشراق، يتم فرضها على الموضوعات، وكذلك العقبات التي تواجه حل مثل هذه «المعوقات الذهنية».

وفي عالم طغت عليه أحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، أو «الحرب العالمية على الإرهاب»، حيث قامت قوى غربية كبرى مثل بريطانيا والولايات المتحدة بغزو أفغانستان والعراق لضمان إحداث «تغيير في النظام»، وهو العالم الذي لم يبد أي دلائل لحل الصراع بين اليهود والفلسطينيين، في ظل هذا العالم، فإنه من المسلم به أنه لا يوجد كتاب في النظرية الاجتماعية المعاصرة أهم من كتاب **الاستشراق** لإدوارد سعيد. وبالرغم من الجدل بشأن مقولاته ومضامينه

السياسية، فإن هذا الكتاب رسخ الوجود العلمي لمؤلفه باعتباره أحد المفكرين الرئيسيين في الفترة الحديثة.

انظر أيضاً: **ميشيل فوكو؛ غاياتري سبيفاك.**

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists:* Antonio Gramsci.

■ **أهم الأعمال:**

Joseph Conrad and the Fiction of Autobiography (1966). Cambridge, MA: Harvard University Press.

Beginnings: Intention and Method (1975). Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press.

Orientalism (1978). New York: Random House.

The Question of Palestine (1979). New York: Vintage.

Literature and Society (1980) Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press.

The World, the Text and the Critic (1983). Cambridge, MA: Harvard University Press.

Musical Elaborations (1991). New York: Columbia University Press.

Culture and Imperialism (1993). New York: Random House.

Out of Place: A Memoir (1999). New York: Knopf.

■ **قراءة إضافية:**

Timothy Mitchell (1991). *Colonising Egypt* Cambridge, MA: Cambridge University Press. (Cambridge Middle East Library)

دوروثي سميث Dorothy Smith

عرفت عالمة الاجتماع النسوي دوروثي سميث بعملها الشهير *The Everyday World as Problematic: A Feminist Sociology* وبتطويرها الاستراتيجية المنهجية «للإثنوغرافيا المؤسسية».

ولدت دوروثي سميث في هودرسفيلد بإنكلترا عام ١٩٢٦، وكانت ابنة وحيدة بين أربعة أطفال لأسرة من الطبقة المتوسطة. وتأثرت فترة مراهقتها بالحرب وتعليمها في الطفولة الذي وصف بأنه تعليم عشوائي. التحقت بالعديد من الوظائف بما فيها الأعمال المكتبية في دار نشر بلندن، قبل أن تقرر الذهاب إلى الجامعة في العشرينيات من عمرها. أكملت درجتها الجامعية الأولى في الأنثربولوجيا الاجتماعية عام ١٩٥٥ في مدرسة لندن للاقتصاد التي وجدت فيها مجموعة متمكنة من المحاضرين الشبان والخريجين في العلوم الاجتماعية، بمن فيهم رالف دارندورف وديفيد لوكوود ونورمان برنبوم وأشر تروب وليونور ديفيدوف، في وقت كان فيه

علم الاجتماع يدخل في مرحلة من النمو السريع والمثير، وعندما كان علماء الاجتماع الأوروبيون يهتمون بنقد وإعادة تفسير الوظيفية البنائية لتالكوت بارسونز. كما قابلت زوج المستقبل، وهو الأمريكي بيل سميث (محارب سابق) وقررا القيام بالدراسات العليا في علم الاجتماع في جامعة كاليفورنيا ببيركلي.

وحصلت دوروثي سميث في بيركلي مجموعة كبيرة من المقررات العلمية، بما فيها مقرر حول جورج هربرت ميد على يد تاموتسو شيبوتاني. وأشرف على رسالتها للدكتوراه إرفنغ غوفمان الذي كان حينذاك يقوم بوضع بعض النصوص التي أصبحت سريعاً من كلاسيكيات علم الاجتماع، وهي الدراسات التي نشرت مثل *Asylums*، وكتب *Encounters, Stigma and Behaviour in Public Places*. وكانت رسالة دوروثي سميث التي اكتملت عام ١٩٦٣، تحمل عنوان «القوة وخط المواجهة: الضوابط الاجتماعية في مستشفى عقلي حكومي». وأنجبت ابنيها في الولايات المتحدة كما انتهى زواجها هناك.

وعقب فترة من التدريس في بيركلي عادت دوروثي سميث إلى بريطانيا عام ١٩٦٦ مع ولديها مطلقة لإلقاء المحاضرات في علم الاجتماع في جامعة إيسيكس التي كانت قد أسست في إطار التوسع البريطاني في إنشاء الجامعات في أوائل الستينيات، وسمحت بالتحاق الطلاب بها قبل عامين من العام ١٩٦٦. وكان قسم علم الاجتماع الجديد والنشط الذي تولى رئاسته أستاذها الأول بيتر تاونسند هو

نفسه جزءاً من التوسع السريع في علم الاجتماع في بريطانيا. وقام تاونسند بتعيين أكاديميين من مختلف التخصصات العلمية في القسم مثل بول طومبسون وجيوفري هوثورن وورولاند روبرتسون ودينيس مارسدن وبيتر أبل وألاسدير ماكلنتير. والتحق ديفيد لوكوود بالقسم عام ١٩٦٨ بتشجيع من دوروثي سميث، وعمل آرت ستنكوب أستاذاً زائراً عام ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠. وكانت دوروثي سميث أول محاضر رئيس في القسم من بين النساء عام ١٩٦٨، وكانت شخصية بارزة في هذه الفترة المبكرة من تاريخ القسم. على أي حال، فإنها وجدت أنه من الصعب عليها أن تستمر في الحياة الأكاديمية بجانب كونها أماً وحيدة في بريطانيا، وتركت إيسيكس عام ١٩٦٩ لتولي منصب في جامعة كولومبيا البريطانية بكندا، وبدأت في تدريس مقررات في دراسات النساء وعلم اجتماع المعرفة، وسرعان ما اكتسبت سمعة طيبة بوصفها عالمة ومدرسة. وانتقلت لتولي منصب الأستاذية في معهد أونتاريو لدراسات التعليم في تورنتو عام ١٩٧٧، وأصبحت تورنتو وكندا وطنها.

كانت دوروثي سميث قد أرست قاعدة صلبة لها في علم الاجتماع والتخصصات العلمية ذات الصلة به بحلول أوائل السبعينيات، وكانت لديها الثقة والمهارات النقدية الكافية لبدء النشر. كانت بعض السمات المختلفة لتفكيرها واضحة في أوراقها العلمية المبكرة: التأثير المميز للتبادلية الرمزية والأفكار الماركسية التي كانت مزدهرة في علم الاجتماع في السبعينيات بجانب الأثر العميق

للتفكير النسوي. وكان كل ذلك مرتبطاً بالتزام ورغبة فكرية قوية، والبناء على هذه الأسس للتعامل مع القضايا العسيرة والتفكير بصورة نقدية ومبدعة. وكان العديد من هذه الأوراق العلمية المبكرة ـ التي ظهرت بين عامي ١٩٧٣ و١٩٧٥ ـ ذا تأثير كبير، وضمت دراسات «النساء والأسرة والرأسمالية الواحدة» (Women, the Family and Corporate Capitalism)، و«البناء الاجتماعي للحقيقة التسجيلية»، و«وجهة نظر نسائية كنقد راديكالي لعلم الاجتماع والنسوية والمنهجية»، و«الممارسة الأيديولوجية لعلم الاجتماع»، وكتاب *K Is Mentally Ill*، و *The Anatomy of a Factual Account* (بنية رصد واقعي). كما شهد عام ١٩٧٥ نشر مجلد بالتعاون مع ساره ج. ديفيد بعنوان *Women Look at Psychiatry* الذي تضمن مقدمة مختصرة مشتركة وورقتين علميتين أعدتهما دوروثي سميث، وهما: «النساء والطب النفسي»، و«إحصائيات حول المرض العقلي: ما لن يحكوه لنا عن النساء ولماذا». وورقة علمية ثالثة مع ريتا ماكدونالد بعنوان: «جلسة علاج نسوي».

إن الملمح المشترك لهذه الأوراق العلمية المبكرة وأعمالها التالية هو فحصها النقدي للمفاهيم والتصنيفات والأبنية. فمن جهة، كانت دوروثي سميث تقوم بتطوير مقولات واضحة عن تخصص علم الاجتماع بوصفه علماً مجرداً وعقلانياً وموضوعياً، مع أن هذه الموضوعية المزعومة قد استبعدت تجارب النساء وقدمت صورة غير صحيحة عن العلاقات الاجتماعية. ويمكننا أن نرى في ذلك علامات

اهتمامها المتنامي بالطريقة التي يتم من خلالها تطوير وبناء معرفة الظاهرة الاجتماعية. ومن جهة أخرى، فإنها كانت تتناول الممارسات التي تدعم استخدام متخصصين، مثل الأطباء النفسيين، للتصنيفات ـ التي وصفتها في ما بعد باسم «الممارسات المفهومية» (Conceptual Practice) ـ مظهرة تصميماً على تبسيط الطريقة التي يقوم بها الخبراء المتخصصون بعملية التنظيم الفاعل وضبط الأحداث والناس. وقدمت، على سبيل المثال، من خلال ورقتها العلمية حول إحصائيات الصحة العقلية، تحليلاً نافذاً للطريقة التي يتم بها تكوين الإحصائيات، وتناول علاقة هيئات العلاج النفسي والإجراءات والممارسات بالمشكلات الشخصية التي يمر بها الأفراد، والإشارة إلى ما لا يمكن تعلمه عن النساء والمرض النفسي منهن. ويمكننا أن نرى تأثير الدراسة العادات اليومية (Ethnomethodology) في هذه الممارسات المتخصصة، كما كانت دوروثي سميث مهتمة بالعلاقات الاجتماعية وأبنية القوة التي تتم في إطارها هذه الممارسات. وكان من الواضح أيضاً أن هذا الاهتمام بالنساء ـ الذي قام على معلومات استقتها من تجاربها الشخصية كأم وأكاديمية وبتدريسها لمقررات عن دراسات النساء في جامعة كولومبيا البريطانية ـ أصبح محور أعمالها الأكاديمية. على أي حال، فإن تجارب النساء هي مجرد نقطة البدء في التحليل بالنسبة إلى دوروثي سميث.

تطورت مقاربة دوروثي سميث النسوية المميزة، وأصبحت أكثر صقلاً وتعميماً طوال العقد التالي، وضمنت أفكارها في مجلد

واحد، مثّل أهم كتبها تأثيراً وهو *The Everyday World as Problematic: A Feminist Sociology* الذي نشر عام ١٩٨٧. واستخدم هذا الكتاب معرفتها وفهمها العريض لعلم الاجتماع لتقديم نقد للتخصص العلمي الذي تمت كتابته من منطلق الرجال المتمترسين في ما أطلقت عليه «علاقات الحكم» (Relations of Ruling)، وهو عبارة عن مجموعة من الممارسات المنظمة، بما فيها الحكومة والقانون والأعمال والإدارة المالية والتنظيم المهني والمؤسسات التعليمية، وكذا المقررات في النصوص التي تفسر مواقع القوة المتعددة». وهذا المفهوم قريب من أطروحة فوكو حول النزعة الحكومية (Governmentality) التي كانت آخذة في التطور في ذلك الوقت. وكانت مهمتها تقديم بديل، علم اجتماع مبني من منطلقات نسوية، وهو العلم الذي ينظر في عوالم الحياة اليومية ـ من وجهة نظرها ـ (مقارنة بمؤلف غوفمان *The Presentation of Self in Everyday Life*) من وجهة نظر النساء، وأنه يجب أن يقدم تناولاً مميزاً لعلاقات الجندر الحاكمة (Gendered Relations of Ruling). وطرحت في هذا السياق مفهوماً تعرف به على وجه الخصوص حالياً وهو «الإثنوغرافيا المؤسسية»، وهو المصطلح الذي يشير إلى استراتيجية منهجية لعمل البحوث السوسيولوجية، وبخاصة تلك المتعلقة بالنساء التي كانت قد حددتها في أوراقها العلمية المبكرة، والتي أصبحت الآن أكثر قيمة علمية. ويتطلب مصطلح الإثنوغرافيا المؤسسية أن يبدأ علماء الإثنوغرافيا بتناول

العلاقات الاجتماعية اليومية بين الأفراد وتجاوزها ورؤية هذه العلاقات الاجتماعية على أنها مبنية وفق علاقات قوة. ويكون التركيز على تناول كيف أن العلاقات المؤسسية التي هي جزء من الجهة الحاكمة تحدد العوالم اليومية. وتجسد دوروثي سميث هذه الاستراتيجية باستخدام عدد كبير من النماذج من تجاربها الخاصة، ومن خلال تحليل عدد من النصوص والدراسات المسحية الاجتماعية.

كما قامت دوروثي سميث لاحقاً بتطوير الأفكار المقدمة في كتابها عن الحياة اليومية في كتابين آخرين، هما عبارة عن مجموعة من الأوراق العلمية التي تمت كتابتها خلال التسعينيات، وحملا العنوانين *Writing the Social: Critique, Theory and Investigations*، و*Institutional Ethnography: A Sociology for People*. كما نشرت مجموعتين من أوراقها العلمية المبكرة (وأعادت عمل بعضها) باسم *The Conceptual Practices of Power: A Feminist Sociology* و*Texts, Facts, and Femininity: Exploring the Relations of Ruling* وتضمن كتابها **الكتابة الاجتماعية** ورقة علمية مهمة، هي: «قول الحقيقة بعد ما بعد الحداثة» التي تضع فيها أسساً لرفضها التحول ما بعد الحداثي في علم الاجتماع. وأشارت إلى أنه بينما تشارك عدداً من أنصار ما بعد الحداثة في فرضياتهم بخصوص أهمية النصوص، فإنها قبلت أيضاً القول إنه من الملائم الحديث عن الحقيقة والواقع. كما تضمن الكتاب أيضاً عدداً من أمثلة الطرق التي

يمكن من خلالها القيام بعلم الاجتماع. وفي كتابها *Institutional Ethnography*، كما يشير العنوان الفرعي، أوضحت تماماً أن منهج الإثنوغرافيا المؤسسية هو منهج للتقصي الاجتماعي، يمكن توسيع نطاقه ليشمل جميع المجموعات الاجتماعية.

أصبح منهج دوروثي سميث مؤثراً للغاية، ليس في كندا وحدها، ولكن في أنحاء العالم. وحصلت على جائزتين من الجمعية الكندية لعلم الاجتماع والإثنوغرافيا، كما تم تكريمها عن مساهماتها في علم الاجتماع في الولايات المتحدة، وحصلت على جائزة جيسي برنارد لعلم الاجتماع النسوي عام ١٩٩٣، وجائزة الجمعية السوسيولوجية الأمريكية للعلماء المميزين عام ١٩٩٩، كما حصلت على العديد من الدرجات الفخرية. ويوجد الآن قسم للإثنوغرافيا المؤسسية في جمعية دراسة المشكلات الاجتماعية وله نشرة خاصة به. وأصبح للإثنوغرافيا المؤسسية وجود في الوعي النسوي القوي، لكن كان له ارتباط أوسع بعلم الاجتماع أيضاً. وتمكنت دوروثي سميث من تطوير المقاربة والمساعدة على ضمان إدخالها في مجموعة المقاربات المنهجية التي يتبناها علماء الاجتماع، وبذلك تكون سميث قد قدمت إسهاماً مهماً ومميزاً لهذا التخصص العلمي.

انظر أيضاً: **إرفنغ غوفمان؛ ميشيل فوكو.**

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists*: George Herbert Mead.

■ أهم الأعمال:

Women Look at Psychiatry (1975). Ed. with Dorothy E. Smith and Sara J. David. Vancouver, BC: Press Gang Publishers.

Feminism and Marxism: A Place to Begin, a Way to Go (1977). London: Routledge.

The Everyday World as Problematic: A Feminist Sociology (1987). Boston, MA: Northeastern University Press.

The Conceptual Practices of Power: A Feminist Sociology of Knowledge (1990). Boston, MA: Northeastern University Press. (Northeastern Series in Feminist Theory)

Texts, Facts, and Femininity: Exploring the Relations of Ruling (1990). London; New York: Routledge.

Writing the Social: Critique, Theory and Investigations (1999). Toronto: University of Toronto Press.

Institutional Ethnography: A Sociology for People (2005). Walnut Creek, CA: Alta Mira Press.

■ قراءات إضافية:

Patricia Ticineto Clough (1993). «On the Brink of Deconstructing Sociology: Critical Reading of Dorothy Smith's Standpoint Epistemology.» *Sociological Quarterly*: vol. 34, no. 1.

Nicholas D. Spence (2002). «Publicly Engaged Knowledge: Dorothy Smith's Proposed Sociology.» *Western Journal of Graduate Research:* vol. 11, no. 1.

Marie Campbell (2003). «Dorothy Smith and Knowing the World We Live in.» *Journal of Sociology and Social Welfare*: vol. 30, no. 1.

هارولد غارفنكل Harold Garfinkel

ولد هارولد غارفنكل عام ١٩١٧، ودرس على يد تالكوت بارسونز في هارفرد، ومنح الدكتوراه عام ١٩٥٢. درس في جامعة كاليفورنيا منذ العام ١٩٥٤، وعمل في أطروحته للدكتوراه على إظهار أن علم الظاهرات يمكنه أن يقدم، كما يطبقه كل من ألفريد شوتز وآرون غروتش في العلوم الإنسانية، مفهوماً مختلفاً تماماً لعلم الاجتماع ـ تماماً كما طوره تالكوت بارسونز ـ بالرغم من هدفهما المشترك في بناء تناول نظامي ومتواصل ومتماسك لعلم الاجتماع، على أساس تعريف ماكس فيبر علم الاجتماع بوصفه دراسة للعمل الاجتماعي. وكان غارفنكل يطور منذ العام ١٩٥٤، ويراجع هذه الأفكار المبدئية لجعلها في شكل قابل للبحث التجريبي. يطلق غارفنكل على برنامجه لفظ «المنهجية العرقية» (Ethnomethodology) التي يصفها بـ«علم اجتماع بديل (Alternate)، وغير قابل للقياس (Incommensurable)، وغير متماثل (Asymmetric)» لتأكيد كونه

علم اجتماع، بالرغم من أنه ينفصل عن الإطار الأوسع لعلم الاجتماع، كما يمارس حالياً.

تركز المنهجية العرقية على النظام الاجتماعي، لكن بأسلوب مغاير. يتعلق الاهتمام المتزايد بـ«النظام الاجتماعي» بظروف تأسيس واستمرار نظم العلاقات الاجتماعية المستقرة، أي كيفية جمع ترتيبات التنظيم الاجتماعي معاً. وكان التغير في علم الاجتماع منذ منتصف القرن العشرين نتيجة المفاهيم البارسونزية المتعلقة بالتماسك الاجتماعي من خلال قيمة الإجماع إلى الاعتقاد السائد حالياً بأن التنظيم الاجتماعي يتأثر بالقوة، وهو ما حظي بشرح مطول. ويرى غارفنكل أن مشكلة التنظيم الاجتماعي التقليدية تفرض تساؤلاً مسبقاً مفاده: لو كانت أعمق جذوره محل تناول، فكيف يمكن ترتيب مراحل العمل؟ أي كيف يمكن للمشاركين أن يعرفوا ما سيتم القيام به وكيف سيستجيبون له، وكيف يمكنهم بناء مجموعة أفعال مترابطة بشكل مسلسل والتي تكون مرحلة العمل؟ وتحول هذه المقولة بؤرة الانتباه إلى العلاقة بين الفعل الحالي والفعل التالي: نفترض أن هناك أشخاصاً يقومون حالياً بفعل ما، فكيف سيقومون بالفعل التالي؟ أو ما هي كيفية صنع الفعل التالي بصورة عامة؟ إن مشكلة النظام الاجتماعي مصنفة في إطار هذه القضية، لأنها المحيط الذي يشكل أفعال الآخرين، والحاجة إلى ربط أفعال الشخص بأفعال الآخرين جزء منه.

يؤدي طرح الأشياء بهذه الطريقة إلى توضيح أن منهجية غارفنكل العرقية ترى النظام الاجتماعي مواجهاً للتفاعل (ولا يقر

هكذا بالترتيبات الواسعة النطاق والشاملة لتحقيق استقرار الأبنية التي تتكون منها المجتمعات الحقيقية وشرط التفاعل الاجتماعي)، وستكون هذه النتيجة مضللة.

ولا يعتبر غارفنكل أقل حساسية تجاه مشكلات علم الاجتماع المنهجية مقارنة بمشكلاته النظرية، وكانت قضية التحول الموضوعي (Objectification) التجريبية شاغلاً مسبقاً آخر: كيف يمكن الاستدلال على خصائص النظام الاجتماعي، وكيف يمكن أن تتاح ـ هذه الاستدلالات ـ أمام المراقبين السوسيولوجيين باعتبارها أحداثاً قابلة للتسجيل؟ إذ تعتبر الحقيقة الاجتماعية بالنسبة إلى غارفنكل بمثابة تدفق مستمر لأنشطة أشخاص لا يمكن حصرهم، يشتركون في أعمال متداخلة، ويدعون جميعهم إلى وجوب أن تتحول الخصائص الاجتماعية ـ عاجلاً أم آجلاً ـ في ضوء ملامح ملاحظة، إلى مراحل ملموسة من العمل في شكل موثق نوعاً ما. وهذا هو مأخذ غارفنكل على العلاقة محل الاختلاف الدائم داخل علم الاجتماع بين النظرية والبحث. تتعامل النظرية في مجال مليء بالملخصات، ومن المعروف جيداً أن هذا التعامل مع الملخصات صعب بصورة عامة لصعوبة ذكر ما تتحدث عنه الملخصات النظرية. ولم يبد ذلك بالنسبة إلى غارفنكل موقفاً قابلاً للسيطرة، وتساءل دوماً كيف يمكن تعريف الظاهرة في آليات علم الاجتماع العامة التي تتحدد ـ بدورها ـ في ضوء شواهد محلية (Localizable) في المجتمع. وحيثما كان يوجد أشخاص يعملون لفترة مثلاً، فما هو بالضبط الذي يقومون به ويمكن اعتباره في إطار الفعل السابق؟

وهكذا، هناك مفهوم محوري لبرنامج غارفنكل عن «دراسات العمل»، وهو ـ بالنسبة إلى أي قضية سوسيولوجية ـ التوصل إلى مكان يمكن لشخص ما أن تكون له مهمة عملية في التعامل مع هذه المشكلة، من أجل رؤية كيفية تنظيمهم لحلولهم العملية والمرتبطة بالحياة اليومية. وهكذا، يمكن أن ترتبط ملخصات النظرية الاجتماعية بأفعال وأحداث قابلة للمشاهدة في الحياة الاجتماعية، وتعتمد قدرة النظرية الاجتماعية على التحدث عنهم وعن هويتهم في «المحيط العامي» (Vernacular)، وتحديدهم وفقاً للمصطلحات المستخدمة بالفعل في المجتمع نفسه، مثل الانتحار، والقيادة الخطرة، وتقديم الدواء، وما إلى ذلك. وهكذا، فإن السؤال الذي يسأله دوماً علماء الاجتماع هو: كيف يمكننا، بوصفنا مراقبين، أن نعرف أنهم يقومون بفعل هذا، أو ذاك أو ذلك؟ ثم التحول إلى سؤال: كيف يعرفون؟ كيف يعرفون أن مثل هذا الشخص مات جراء الانتحار، وأن ذاك المريض يحقق تقدماً علاجياً، وما إلى ذلك؟ ويوصي غارفنكل بهذا النموذج الأخير بديلاً عن السابق وأسلوباً في كشف كيفية انتظام الأنشطة الاجتماعية، حتى يمكن الحديث عنها بالطرق التي يمكن اعتبارها شيئاً عادياً.

لا يعتبر غارفنكل أن أسئلته عبارة عن أسئلة نظرية، تحتاج إلى أجوبة عامة، لكنها أسئلة تحتاج إلى دراسات. ليست أسئلته قضايا يجب على عالم الاجتماع حلها، لكنها أسئلة لها حلول بالفعل: إن للناس في المجتمع بالفعل طرقهم في الإجابة عنها، والتوصل إلى سبب

وفاة المريض، هل هو نتيجة الانتحار أم غير ذلك. وتعتبر هذه الدراسات هي المحددة للطرق ـ أياً كانت ـ التي يحدد بها أعضاء المجتمع وضع هذه المحددات، والتي تشبه تماماً تناول طريقة انتظام مراحل العمل. وهكذا، فإن من يحققون بالانتحار لديهم أساليب للتأكد من أن وفاة هذا الشخص راجعة إلى الانتحار. وتتضمن مهمة التحقيق هذه مسارات عملهم الخاصة وتقرير أي شيء يقومون به أولاً ثم تالياً، حتى تكون الأشياء التي قرروها متلائمة، وتؤدي إلى تحقيق فاعل يقرر أن الوفاة كانت بسبب الانتحار. هذه التحقيقات تستلزم من المحقق عملية أن يعيد تحديد الأفعال التي أدت إلى موت هذا الفرد، وتحديد ما إذا كانت هذه الأفعال منظمة بشكل يؤدي إلى اتخاذ الفرد قرار سلب حياته.

والفعل، بالنسبة إلى غارفنكل هو فعل عملي خاضع للأهداف العملية كلها وملائم للظروف المحيطة به: وهو منتظم كأنه يتم لتحقيق الاحتياجات المراد تحقيقها أياً كانت، واستراتيجيته عبارة عن مقابلة كل ما تم اتباعه عادة في دراسات العمل الاجتماعي التي تعرّف ملامح العمل العامة بترتيب، يمكن الاستناد فيه إلى خصوصيات نوع محدد من العمل. ويصر غارفنكل على أنه من طبيعة العمل أن يتم في ظروف معينة، وأنه متعلق ومتشكل بناء على هذه الظروف، ومن هنا يكون توكيده مجرد وضع ما يتم وفقاً لكل ظرف. كما إن لغارفنكل إصراراً مماثلاً، حتى في الموضوعات الأكثر تعميماً ـ مثل النظام (Order)، والسبب، والمنطق، وما إلى ذلك ـ التي لا تتحدث عن

الأحداث المماثلة التي حدد وقوع الأشياء في إطارها بكل صرامة، بل إنها تتحدث عن المناسبات المتنوعة والمتنافرة، حيث يعرف المحتوى الحقيقي لمثل هذه المصطلحات في ظروفها المحددة: إن ما يعتبر سبباً (Reason) في قاعة المحكمة ليس كذلك في حجرة الدراسة أو في المعمل أو في الورشة أو غير ذلك. وتخبرنا الدراسات ما الذي تقوم به الملخصات النظرية المتخصصة للحديث عنه، وإظهار ماهيته بالنسبة إلى أشخاص معينين لاحترام نظام المرور، وبناء عرض مسؤول لتوضيح السبب في قاعة المحكمة، وعمل حسابات للشركة محسوبة بطريقة آمنة، وما إلى ذلك.

ولا يشك غارفنكل في أن المجتمعات تظهر قدراً كبيراً من «الخصائص الدوركهايمية» من الاستقرار والاستمرار والتعاون الواسع النطاق. لكنه اهتم بكيفية تحقق مثل هذه الخصائص فعلياً، بطريقة ما، وما يتم القيام به لإحداث ملامح معيارية واسعة النطاق للسلوك. وبالنسبة إلى غارفنكل فإن «طريقة ما» هي مسألة تقصي كيف ينظم الناس أعمالهم لإنتاج مجموعة معيارية من السلوك، وما هو وزن التغيرات في تنظيم مراحل العمل، مثل الاهتمام «التقني» لأعضاء المجتمع، وكيف يمكن لأي مرحلة عمل محددة أن تنتظم بهذه الطريقة مرات ومرات بطرق قياسية، وكيف يمكن تنظيم مرحلة العمل من قبل أي شخص في الأغلب ومن دون إعداد مسبق. ودرست زميلة غارفنكل ماليندا باكس مشكلة الإنجاز من خلال التعديل والمعايرة في الممارسات، في اختيار الإطار الملائم لسيارة النقل. وحتى يتم تطبيق

إجراء حاسم لجعل الإطارات أكثر ملاءمة، كيف يمكن للمرء قيادة السيارة، ويخرج بها على الطريق، وأن يحترم الاجراءات الصارمة؟ وكيف يمكن للمرء أن يعرض هذا الإجراء أمامهم في شكل تدريسي يجعلهم قادرين على اتباعه في الظروف العملية وجذب انتباههم إلى الحاجة الملحة لفعل ذلك؟ وفي السياق نفسه، كيف يمكن للعلماء ـ في ظل القدرة على إعادة إنتاج الإجراءات العلمية، أن يحولوا الطرق التي يستخدمونها في أبحاثهم الأصلية إلى صيغة منهجية، يمكن لأي عالم آخر في مجالهم استخدامها لإنتاج نتائجهم؟ ومن ثم، يكون الاهتمام «التقني» في التوصل إلى هويات واعتماد متبادل قائمة على مجال عمل فاعل: ما الذي يمكن أن يعنيه توافق أوضاع الأيدي والأرجل مع اتجاه العين والانتباه بوصفه جزءاً من الصيغة التي يمكن تعلمها من أجل التحكم الآمن في سيارة ما على الطرق العامة، والتي يمكن تعليمها لأي سائق، على سبيل المثال؟

وليست الإثنية العرقية مجرد فكرة معنية بأعمال «المجتمع غير الأخلاقي» لدوركهايم فقط من بين ضروب علم الاجتماع الأخرى، لكنها لا تستجيب لمتطلبات هذا الطلب التي تشكل مثل هذه الآليات النظرية والمنهجية. ولم يعد يتصور أن «مشكلة النظام الاجتماعي» يتم التوصل إليها داخل المجتمع نفسه، من خلال سلوك ممارس لشؤون الحياة اليومية. وفي ما يتشابه مع ذلك، فإن مشكلات المنهج «نقلت» إلى أفراد المجتمع أنفسهم سؤال: «كيف يضمن علماء الاجتماع المتخصصون موضوعية تساؤلاتهم؟» وهذا

يفسح الطريق أمام تساؤل: «كيف يقدم أفراد المجتمع عملياً مظاهر موضوعية لترتيب شؤونهم (صنع سجلات، رسوم بيانية، أشكال، ملفات، وما إلى ذلك)؟» هناك مفهوم بديل وضعه غارفنكل نقيضاً بين الآراء التي تقول إنه لا يوجد ترتيب في الواقعية (Concrete) والالتزام بالإثنية العرقية في تناول الترتيب في الواقعية. ويؤدي هذا إلى التفريق بين:

- اقتناع بكون ترتيب (Orderliness) البناءات الاجتماعية يصبح ملموساً من خلال تطوير الظاهرة العادية القابلة للملاحظة في الحياة اليومية، من خلال تنظير متخصص متماسك ومصفوفة منهجية للتوصل إلى الخصائص العامة من ظروفها المحلية.

- والفكرة المقابلة بأن مثل هذه العمليات (Operations) تجرد هذه الظاهرات من أسسها المنظماتية الأساسية.

وتعتبر أي قضية سوسيولوجية قابلة للتعديل، ولإعادة الصياغة بوصفها دراسة في المنهجية العرقية، وموضوعاً يخضع للتقصي في مجتمع تكون المشكلة هي المهمة العملية لأحد الأشخاص. على أي حال، ليست العملية العكسية ممكنة: إن الأمور التي توليها المنهجية العرقية عناية فائقة هي «وضعها على طريق» تقصٍ مهني سليم.

انظر أيضاً: **إرفنغ غوفمان؛ تالكوت بارسونز.**

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists:* Alfred Schutz.

■ أهم الأعمال:

«The Perception of the Other: A Study in Social Order.» (1952). (Ph D. Thesis, Cambridge, MA: Harvard University).

Studies in Ethnomethodology (1967). Englewood Cliff, NJ: Prentice-Hall.

«The Work of a Discovering Science Construed with Materials from the Optically Discovered Pulsar.» (1981). With Michael Lynch and Eric Livingston. *Philosophy of Social Sciences*: vol. 11, no. 2.

Ethnomethodological Studies of Work (1986). London: Routledge and Kegan Paul. (Studies in Ethnomethodology)

«The Curious Seriousness of Professional Sociology.» (1990). Papier présenté à: *Les Formes de la conversation: Analyse de l'action et analyse de la conversation: colloque, [Paris], septembre 1987.* [Organisé par le GDR Communication CNET-CNRS]; actes réunis par Bernard Conein, Michel de Fornel, Louis Quéré. Issy-les-Moulineaux: CNET. 2 vols.

«Respecification.» (1991). in: Graham Button (ed.). *Ethnomethodology and the Human Sciences*. Cambridge, MA: Cambridge University Press.

«Two Incommensurable, Asymmetrically Alternate Technologies of Social Analysis.» (1992). With D. Lawrence Wieder. in: Graham Watson and Robert M. Seiler (eds.) *Text in Context: Contributions to Ethnomethodology*. Beverly Hills, CA: Sage. (Sage Focus Editions; 132)

«An Overview of Ethnomethodology's Program.» (1996). *Social Psychology Quarterly*: vol. 59.

Ethnomethodology's Program: Working through Durkheim's Aphorism (2002). Edited by Anne Warfield Rawls. Lanham, MD: Rowman and Littlefield Publishers. (Legacies of Social Thought)

■ قراءات إضافية:

Wes Sharrock and Bob Anderson (1985). *The Ethnomethodologists*. Chichester: Ellis Horwood.

Michael Lynch and Wes Sharrock (eds.) (2003). *Harold Garfinkel*. London; Thousand Oaks, CA: Sage. 4 vols. (Sage Masters of Modern Social Thought)

أنتوني غدنز Anthony Giddens

قد يكون أنتوني غدنز أبرز علماء الاجتماع في بريطانيا، اكتسب وضعه من نظرياته حول إعادة البناء وأواخر الحداثة، وريادته في سياسة «الطريق الثالث». ولد في لندن عام ١٩٣٨، والتحق بجامعة هل (Hull)، وتخرج فيها عام ١٩٥٩ في تخصص علم الاجتماع وعلم النفس. ودرس درجة الماجستير في علم الاجتماع في مدرسة لندن للاقتصاد، وأصبح عام ١٩٦١ محاضراً في قسم علم الاجتماع بجامعة ليسستر. وتقلد مناصب في جامعة سيمون فرازر وجامعة كاليفورنيا في لوس أنجلس قبل انتقاله إلى كينغز كوليج في كمبردج. أسس دار بوليتي للنشر عام ١٩٨٥، وأصبح مدير مدرسة لندن للاقتصاد عام ١٩٩٧، وارتفعت مكانته بوصفه أهم نصير لسياسة «الطريق الثالث»، وجعلته يقفز إلى الدائرة الداخلية لرئيس الوزراء البريطاني توني بلير، وفي العام ٢٠٠٤ منح أهم تكريم في حياته بمنحه لقب لورد غدنز لساوثجيت.

ويمكن فهم شخصية غدنز العلمية في ضوء أربع فترات متعاقبة مرت بها، وتميزت كل منها بمجموعة مميزة من الاهتمامات النظرية. كانت أعماله **الأولى** في الفترة (١٩٧٠ ـ ١٩٧٥) تركز على تناول علم الاجتماع الأوروبي الكلاسيكي، وكان غدنز متأثراً، بالدرجة الأولى، بأعمال الثلاثي ماركس وفيبر ودوركهايم أساساً للنظرية الاجتماعية. ونتيجة ذلك، ركّز، حتى العام ١٩٨٩، على إمكانية إدراج مجموعة من الثنائيات (Dualisms) المتصورة داخل النظرية الاجتماعية، وأكثرها أهمية ثنائية العامل (Agency) والبناء (Structure)، وأدت نظرية البنيوية (Structuration) إلى محاولة إعادة كتابة وتحديد فترات التاريخ البشري. كانت الفترة **الثالثة** من حياته العلمية في الفترة (١٩٩٠ ـ ١٩٩٣) قد طورت وجهات النظر التنظيرية هذه إلى تحليل أكثر تماسكاً للحداثة والمرحلة المعاصرة مما أشار إليه وصفه «الحداثة المتأخرة»، ومهد ذلك الطريق أمام المرحلة الأكثر حداثة في أعماله التي انتقل فيها من علم الاجتماع إلى الاهتمامات النظرية السياسية، ويمكن اعتبار تعريف غدنز لمفهوم «الطريق الثالث» تطبيقاً لأعماله التنظيرية المبكرة حول «الثنائيات» ومحاولة للتقريب بين الأيديولوجيات السياسية للجناحين اليساري واليميني.

وعرض في كتابه **الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة** ـ وهو أول مؤلفاته الرئيسة ـ بصورة شاملة، الأفكار الاجتماعية لكل من ماركس وفيبر ودوركهايم، إضافة الى إعادة فحصه نقاط الالتقاء والاختلاف عند هؤلاء الثلاثة الذين كانوا مهتمين بمشكلة سوسيولوجية تاريخية جوهرية، هي فصل الرأسمالية عن الأشكال

الاجتماعية الإقطاعية أو التقليدية السابقة، وكانت سياستهم قائمة على التأليف بين الأشكال الفكرية الليبرالية والثورية أو الراديكالية بطرق مختلفة. وطور غدنز بعض هذه الأفكار في كتابه **البناء الطبقي للمجتمعات المتقدمة**، مؤلفاً بين وجهات النظر الفيبرية والماركسية بخصوص الطبقة.

وكانت أبرز إسهاماته في النظرية الاجتماعية، ألا وهي نظرية البناء، محاولته التغلب على الانقسام بين المقاربات السوسيولوجية التي تشدد على العامل (Agency) وتلك التي تشدد على القيود البنيوية. وتركز الأولى على عوامل الوعي الذاتي ـ مقصوديتها ومعرفيتها وقدرتها على بناء أو ابتكار أو صنع عالم اجتماعي تعيش فيه. وتضمنت هذه النظريات جوانب تأويلية وتفاعلية رمزية ونظرية انتخاب عقلاني. ومن جهة أخرى، تضع النظريات البنائية تشديداً إضافياً على المحدد الاجتماعي للذات والقوى غير المرئية والآليات الناشئة التي تشكل الأفعال والتصورات و«الطبيعة الثانية» للأفراد. وتضمنت هذه النظريات الوظيفية والبنيوية وتنويعات مختلفة من الماركسية. إن ثنائية العامل ـ البناء التي تعلمنا عن هذين التقليدين، تجري خلال سلسلة من التوترات المنظورية والمنهجية ذات العلاقة التي تزعج النظام: الفرد مقابل المجتمع، الجزئي مقابل الكلي، والذاتي مقابل الموضوعي.

ويؤكد غدنز، في نظريته حول البناء، أنه لا يمكن تجاوز ثنائية العامل ـ البناء إلا من خلال توليف وجهات نظر من مجموعة مختلفة من

الاتجاهات. ويرتبط ذلك بإعادة صياغة مفردات المفاهيم السوسيولوجية. وبالنسبة إلى غدنز، فإن التطبيقات النظرية السابقة لمفهوم «البناء» ـ التي توجد أساساً في الوظيفية والماركسية ـ كانت تهدف إلى تعريف البناء على أنه علاقات اجتماعية منمطة، ليست فقط مظهراً خارجياً للعامل البشري، ولكنها تقيده أيضاً. ويجد فهماً شديد الاختلاف «للبناء» في بنيوية ليفي ـ شتراوس، ويشير البناء هنا إلى نماذج مختصرة في شكل تعارضات نصفية وعلاقات ثنائية موجودة في الكائنات البشرية ومن خلالها، وأنها لا توجد في الزمن والفضاء، لكنها على شكل علاقات للوجود والغياب. ويقوم غدنز، من خلال هذا الأسلوب، بتقديم تعريفه المبتكر للبناء، فالأبنية ـ مثل اللغات ـ «مفترضة»، طالما أنها توجد «خارج الزمن والمكان»، ويعاد إنتاجها في الممارسات بطريقة غير مقصودة. ومن خلال تعريف البناء مع اللغة، يأمل غدنز في تقديم ربط فاعل بين الكلام أو الفعل الذي يقوم به العامل والبناء الذي يشكل حالة القدرة على توليد هذا الكلام والفعل. ولهذا تأثيران، **أولهما** هناك ما يشير إليه غدنز باعتباره «ثنائية البناء»، لا يستمر فهم البناء من خلالها بوصفه مجرد قيد، لكنه مساعد (Enabling) أيضاً. لا يقتصر البناء على تقييد الفعل فقط، من خلال قواعد «البنية» (Syntax)، لكنه قد يولّد الفعل نفسه. **ثانياً**، إن البناء وسيط وناتج من الفعل معاً، ومن هنا، تعتمد «لحظية» (Instantiation) البناء في الفعل الفردي على البناء، ويكونه بالطريقة نفسها التي يعتمد فيها فعل القول على اللغة، ويقوم في الوقت نفسه بإعادة إنتاجها. ومن ثم يعتبر كل فعل للإنتاج الاجتماعي في الوقت نفسه إعادة إنتاج.

ويمثل البناء والعامل وجهي العملة نفسها بالنسبة إلى غدنز، ويرتبطان من خلال الممارسات الاجتماعية. وهما بعدان متلازمان لتدفق الأنشطة التي يشارك من خلالها الأفراد في فترات حياتهم اليومية. وهو يرى ـ على وجه الخصوص ـ أن الأبنية تتكون من قواعد ومصادر. ويمكن أن تكون القواعد ثابتة أو تكتيكية، رسمية أو غير رسمية، أو خلاف ذلك، لكن لا بد أن تكون مفهومة عامة باعتبارها ـ كما يرى ويتنشتاين ـ أشكالاً عملية من المعرفة التي «تسمح لنا بالمضي» في ظل ظروف جديدة. تولّد المصادر ذات القدرات «التحكمية» تحكماً في الأشخاص أو «تخصص» القدرات التي تولد تحكماً في الأشياء أو الظواهر المادية الأخرى.

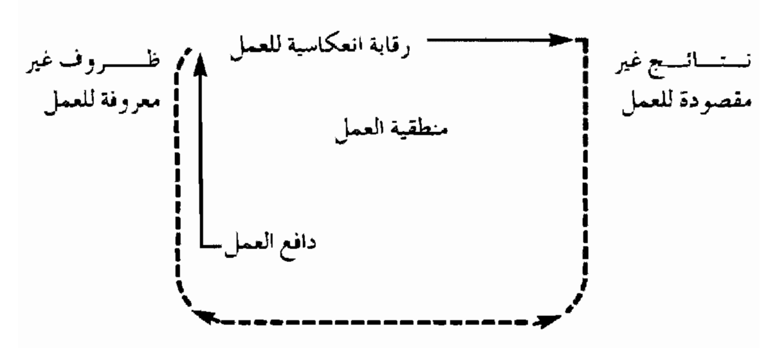
ويعيد غدنز صياغة مفهوم العامل، إضافة إلى إعادة التفكير في مفهوم البناء، ويعتمد على المفهوم الفرويدي للعامل، في النموذج الذي وضعه للعمل، ويعدله للتأكيد أن لوعي الفاعل جوانب ثلاثة: وعي عشوائي، ووعي عملي، ولا وعي، ويشير إلى الرقابة الانعكاسية، والمنطقية، والدوافع العميقة للعمل. إن هذا الوعي العملي ومنطقيته، باعتبارهما تكتيكاً أو معرفة «متبادلة»، يزودان العمال (Agents) بالقدرة على «المضي» في ما له علاقة بالحياة الاجتماعية المقيدة بالقواعد، وهما (هذا الوعي ومنطقيته) الأكثر أهمية في فهم الحياة الاجتماعية.

وبالرغم من حرية العمال في الاختيار، فإنهم يتبعون طرقاً روتينية لتفادي عدم الأمان الطبيعي وأي تهديد آخر لنظام الأمن

الأساسي الداخلي خلال الطفولة. ويؤكد غدنز، اعتماداً على مقالة ميرتون الكلاسيكية حول الآثار غير المقصودة للعمل الهادف، أن أفعال الفرد المقصودة غالباً ما تسبب نتائج غير مقصودة، وسرعان ما تصبح هذه النتائج غير المقصودة الظروف المجهولة مستقبلاً التي تبني العمل التالي للعامل (انظر الشكل الرقم (٢)).

الشكل الرقم (٢)

نموذج غدنز



المصدر: Anthony Giddens, *Central Problems in Social Theory: Action, Structure, and Contradiction in Social Analysis* (Berkeley, CA: University of California Press, 1979).

وهناك جانب ثانٍ من نظرية غدنز عن البناء يربط العامل بالقوة، مؤكداً أن العامل لا يصبح كذلك إذا فقد قدرته على «العمل بطريقة مختلفة»، على أي حال فإنه في ضوء وجود «جدلية تحكم» قائمة داخل طبيعة العامل وترتبط بجدلية الاستقلال والتبعية، فإن الخسارة الكاملة للعامل تصبح نادرة الحدوث.

وأنتج غدنز، بالتوازي مع تطور نظرية البناء، علم اجتماع تاريخياً خاصاً به، بوصفه «نقداً إيجابياً» للمادية التاريخية لماركس التي اعتبرها مختزلة اقتصادياً ومحل شك منهجياً. وفي كتابه **نقد معاصر للمادية التاريخية** يتبنى وجهة نظر غير وظيفية، وغير تطورية، ومتعددة الأبعاد ومرتبة تاريخياً إزاء التغير الاجتماعي. ويقوم مشروعه التاريخي على دمج نمط مجتمعي ثلاثي، يميز المجتمعات القبلية والمجتمعات المنقسمة طبقياً عن المجتمعات الطبقية. وتحدد هذه المجتمعات وفقاً لمستوى تكاملها الاجتماعي والنظامي ولظرفية الزمان والمكان. وطور غدنز في كتابه **الدولة القومية والعنف** إطار العمل هذا، وعدّله ليتناول التنمية المشركة ذات التعقيد الرمزي للرأسمالية والصناعية (Industrialism) والدولة القومية. وبالنسبة إلى غدنز، تقدم هذه النطاقات الثلاثة أساساً لأربع سمات لا تتجزأ، وإن كانت متصلة، للمجتمع الحديث، وهي: المؤسسة الرأسمالية، والإنتاج الصناعي، والرقابة الفائقة، والسيطرة المركزية على وسائل العنف. وتطورت سمات المجتمع الحديث هذه في المرحلة الثالثة من أعماله. ويؤكد غدنز في كتابه **نتائج الحداثة** أن الملمح النقدي للتكوين الاجتماعي الديناميكي الذي بدأ في التطور في أوروبا من القرن السابع عشر تقريباً، كان في ذروة حدته ـ ومختلف نوعياً عن سابقه ـ بالنسبة إلى النظام الاجتماعي التقليدي. ويرتبط هذا الانفصال بتحول عميق على المستويين العالمي والشخصي.

وتندرج تحت مفهوم الحداثة ثلاثة مصادر للدينامية، هي: الابتعاد، والانفصال، والانعكاس. وييسر انفصال وإعادة الجمع بين

الزمان والمكان تزايد «منطقة» (Zoning) الحياة الاجتماعية، وتصبح وقائع وتفاعلات الحياة اليومية أقل ارتباطاً بالثوابت وأقل اعتماداً على الوجود المشترك للأفراد المنخرطين في هذه الحياة اليومية، وفي المقابل، ييسر ذلك تطور المنظمات الحديثة، ويسمح بظهور تأريخ راديكالي، يمكن من خلاله ملاءمة الماضي بهدف تشكيل المستقبل. والأمر الأكثر أهمية أنه ييسر «انفصال» النظم الاجتماعية، ويشير الانفصال إلى «رفع» العلاقات الاجتماعية من سياقات تفاعلها الاجتماعية التي تسمح بإعادة بنائها عبر مساحات زمنية ومكانية أكبر. ان الحداثة هي عملية عولمة في طبيعتها، وهكذا يربط التباعد المكاني ـ الزمني المحلي بالعالمي من خلال الانفصال، بالرغم من وجود عمليات «إعادة تجمع» يتم من خلالها تقليل انفصال العلاقات الاجتماعية. والنوعان الرئيسان من آلية الانفصال هما: «الشواهد الرمزية» و«النظم الخبيرة». الشواهد الرمزية هي وسائل إعلام يمكن تداولها مثل النقود، بغض النظر عمن يستخدمها، بينما النظم الخبيرة هي نظم من الإنجاز التقني والخبرة التخصصية، مثل الأطباء والمحامين والمعماريين والعلماء.

والثقة أمر أساسي بالنسبة إلى مثل هذه الآليات، فالشعور بالثقة في العمليات والناس والأشياء هو عامل حاسم في استمرار الشعور بالأمن في العالم الحديث، إذ يسبب غيابها شعوراً بالقلق. وعلى العكس من المجتمعات قبل الحديثة، حيث ارتكزت الثقة والمخاطر على ظروف المكان المحلية، وترتبط بشدة في طبيعتها، وتتسم بالمخاطر من جهة العالم المادي أو العنف في الحياة الاجتماعية، وتقدم

الحداثة «خطراً» جديداً، يتسم «بالخطر المصطنع». وهنا، يعني انتشار المعرفة المنتظمة اجتماعياً، في شكل نظم موجزة، أن الخطر يصبح المحدد للثقافة والحياة الحديثة، أو يحل حتى محل التصور المسبق المرتبط بالثروة. وكما يلاحظ غدنز، فإن «إمكانية الحرب النووية والدمار البيئي والانفجار السكاني غير القابل للاحتواء وانهيار التبادل الاقتصادي العالمي والكوارث العالمية الأخرى، تقدم مجالاً غير مسبوق لحدوث أخطار لكل شخص»، ويؤدي تحليل غدنز الحداثة إلى التوصل إلى أنه في ما يخص اثنين من الكتابات السوسيولوجية الكلاسيكية عن تجربة الحداثة ـ وهما نظرية الاغتراب لدى ماركس، و«العصر الحديدي» للبيروقراطية لفيبر ـ فإن أعمال غدنز أفضل منهما في هذا الصدد.

وبالرغم من أن انعكاسية نظريته البنائية يعتبر ملمحاً رئيساً للعمل الاجتماعي، فإنها تقوم على معنى خاص في نظرية غدنز حول الحداثة، وفي ظل الظروف الناشئة من «الانعكاسية الكلية» (Wholesale Reflexivity)، فإن كل شيء (بما في ذلك الأفراد والمؤسسات) يصبح منفتحاً أمام الانعكاس والرقابة الذاتية، بما في ذلك الانعكاسية في حد ذاتها. ويتم تناول الممارسات الاجتماعية باستمرار، ويعاد تناولها في ضوء المعلومات الداخلة وعمليات التقييم الذاتي.

ويؤدي ذلك إلى أن يأخذ غدنز في اعتباره تحول الملامح الشخصية للوجود اليومي في الحداثة. وتدفع ضغوط العمل والحياة

المنزلية الأفراد باتجاه إعادة البناء المستمرة للهويات الذاتية باعتبارها جزءاً من مشروع انعكاسي. وفي ظل هذا المشروع القائم على السيرة الذاتية، بصورة لا يمكن تفاديها، تتم الاختيارات الفردية في سياق مجموعة من المنحنيات والخيارات متولدة بواسطة نظم مجردة. وترتبط الحداثة بحدوث تحول في أسلوب الحياة و«تحول في الحميمية» التي تنتظم بها صلات الفرد، وتتشكل باعتبارها «علاقات صرفة». ووفقاً لغدنز، فإن «العلاقات الصرفة» ترتبط «بالتزام» ومطالب لصالح الحميمية، وتتطور مثل هذه الثقة من خلال الإفصاح المتبادل فقط، بدلاً من المعايير ـ مثل صلات القرابة أو الواجب الاجتماعي أو الالتزامات التقليدية ـ التي توجد خارج العلاقة ذاتها.

ويضع غدنز برنامجاً سياسياً عاماً، اعتماداً على نظرية الحداثة هذه، وفي مؤلفه *Beyond Left and Right and The Third Way*، فقد أخذ في اعتباره كيف يمكن للسياسة الراديكالية أن يعاد التفكير فيها، سواء أكان الأمر نظرياً أم عملياً، في سياق عالم حديث متغير. ويرتبط ما يشير إليه بسياسة «الطريق الثالث» بإعادة تقييم الاشتراكية والديمقراطية الاشتراكية والمحافظة (Conservatism) في ضوء الظروف الاجتماعية المتغيرة للحداثة التي تحولها إلى أمور غير عاملة. ويؤكد أن انهيار الشيوعية ميّز بين «اليسار» السياسي و«اليمين» المهيمن، ونتيجة ذلك، تحتاج فكرة المناصفة بين اليسار واليمين، عند غدنز، إلى استكمال، بذكر مركز راديكالي أو «وسط نشط» (Active Middle) يجسد وضعاً «مثالياً واقعياً».

وأصبح دعم مجتمع مدني نشيط نقطة اهتمام محورية بالنسبة إلى سياسة «الطريق الثالث»، ويرتبط ذلك بالدولة والمجتمع المدني اللذين يعملان بالمشاركة معاً لتقديم دعم مادي واجتماعي للمجموعات المحلية لتشارك في «سياسة عامة». وإضافة إلى مناقشة بك حول أهمية «السياسة الفرعية» في فترة مجتمع عرضة للخطر، فإن غدنز يؤكد أيضاً أن تزايد التحول إلى النزعة الفردية (Individualization) والانعكاسية قد أديا إلى أشكال جديدة من التحول الديمقراطي أو «الديمقراطية الحوارية». وهناك افتراض مسبق في «التحول الديمقراطي للديمقراطية» (Democratization of Democracy) وهو الذي يتبع من بعض الوجوه نظرية هابرماس للعمل الاتصالي ـ بوجود مناقشة هادفة أساساً للاتفاق. وإضافة إلى الإشارة إلى توسيع الحقوق الاجتماعية والمدنية فإن الديمقراطية الحوارية تشير إلى «ديمقراطية مستهدف تحقيقها» حيث يكون من الممكن إرساء أشكال التغير المتبادل الاجتماعي والتماسك الاجتماعي والتحرر الثقافي من المحلية (Cultural Cosmopolitanism)، كما يتطلب توسيع نطاق الديمقراطية تفكيك مركزية الدولة أو ما يسميه «التحول الديمقراطي المزدوج»، والابتعاد عن الوصاية الأبوية للدولة.

وكان من النتائج الأخرى «للتحول إلى الفردية الانعكاسية» إعادة تقييم فهم الجناح اليساري التقليدي للانعتاق كموجد «لفرص الحياة» والحرية. إذ إنه يجب أن يتم استكمال مثل هذه السياسة الانعتاقية حالياً «بسياسة حياة» تخفف من وطأة السياسة الطبقية. وبخصوص حياة الفقراء والأغنياء، فإن سياسة الحياة هذه تتناول قضايا عالمية، وتكون أقل دفعاً من قبل الطبقة الاجتماعية، وهي قضايا متعلقة

بأسلوب الحياة، وأوقات الفراغ، والاستهلاك، والهوية، كما يشدد غدنز أيضاً على «الاقتصاد المختلط الجديد» الذي سيرتبط بوقائع «مجتمع ما بعد الندرة» التي يحل فيها أساس الانتاج بمثل تحقيق الذات.

وغالباً ما قدم غدنز وجهات نظر مميزة حول طبيعة العالم الاجتماعي، وعلى أي حال، فإنه لاقى انتقاداً لانتقائيته وعدم تواصله وافتقاره الأدوات التجريبية. كما تم نقده بصورة خاصة لإفراطه في تأكيد العامل الفردي، وكان قد تم التأكيد أن كل من نوربرت إلياس وبيار بورديو قد قدما أساليب أكثر فاعلية لتجاوز الثنائيات السوسيولوجية. كما ذكر أيضاً أن شواهده السياسية ذات نزعة مثالية قوية، وهو الأمر الواضح تماماً في «الطريق الثالث»، وهو الأمر الذي يدفعه إلى تجاهل التوزيع غير العادل للسلطة ورأس المال واستمرار الصراع القومي ـ الإثني على المستويين القومي والعالمي.

انظر أيضاً: **زيغمونت باومان؛ أولريخ بك؛ هارولد غارفنكل؛ يورغن هابرماس.**

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists:* Emile Durkheim, Karl Marx, Max Weber.

■ **أهم الأعمال:**

Capitalism and Modern Social Theory; an Analysis of the Writings of Marx, Durkheim and Max Weber (1971). Cambridge, MA: Cambridge University Press.

The Class Structure of the Advanced Societies (1973). London: Hutchinson. (Hutchinson University Library: Sociology)

The New Rules of Sociological Method: A Positive Critique of Interpretative Sociologies (1976). London: Macmillan.

Studies in Social and Political Theory: Essays (1977). London: Hutchinson.

A Contemporary Critique of Historical Materialism (1981). London: Macmillan. 2 vols.

Vol. 1: *Power, Property, and the State.*

Vol. 2: *The Nation-state and Violence.*

Profiles and Critiques in Social Theory: Essays (1982). London: Macmillan.

Social Theory and Modern Sociology (1982). Cambridge: Polity Press.

The Constitution of Society: Outline of the Theory of Structuration (1984). Cambridge: Polity Press.

The Consequences of Modernity (1990). Cambridge: Polity Press.

Modernity and Self-Identity: Modernity and Self-Identity the Late Modern Age (1991). Cambridge: Polity Press.

The Transformation of Intimacy: Sexuality, Love, and Eroticism in Modern Societies (1992). Cambridge, UK: Polity Press.

Beyond Left and Right: The Future of Radical Politics (1994). Cambridge, UK: Polity Press.

The Third Way: The Renewal of Social Democracy (1998). Cambridge, UK: Polity Press.

■ قراءات إضافية:

David Held and John B. Thompson (eds.) (1989). *Social Theory of Modern Societies: Anthony Giddens and his Critics.* Cambridge [England]: New York: Cambridge University Press.

Christopher G.A. Bryant and David Jary (1991). *Giddens' Theory of Structuration: A Critical Appreciation.* London: Routledge. (International Library of Sociology)

Lars Bo Kaspersen (2000). *Anthony Giddens: An Introduction to a Social Theorist.* Translated by Steven Sampson. Oxford: Malden, MA: Blackwell.

Steven Loyal (2003). *The Sociology of Anthony Giddens.* London; Sterling, VA: Pluto Press.

جورج غورفتش Georges Gurvitch

تكفي معرفة نبذة بسيطة عن صعود وسقوط سمعة غورفتش لجعل القارئ متشككاً بالتقلبات المسؤولة عن التقدم في التنظير السوسيولوجي. عرف غورفتش، في وقت ما، بوصفه من كبار العلماء في علم الاجتماع، وصاحب تنوع فكري كبير، ومؤسساً لدوريات وجمعيات دولية. ثم اختفت أعماله من الساحة بعد ذلك بوقت قصير، وانتهت شهرته من دون أن تترك أثراً. وحتى اليوم، فإنه لا توجد سوى جهود مترددة لإلقاء الضوء على أفكاره والاعتراف بأصالتها. وحتى أولئك الذين قاموا بإلقاء نظرة جديدة على أعماله، فإنهم يوقنون غالباً أنها سابقة لأوانها، وأنه ما زال لديها الكثير لتطرحه.

وبكل تأكيد، فإنه لم يكن هناك من هو أفضل منه من ناحية الإعداد الجيد لتطوير علم الاجتماع، بطريقة متماسكة، من ناحية الإفادة والجانب الفكري. ولد في تشرين الثاني/نوفمبر من العام ١٨٩٤ في نوفوروسيسك بروسيا، وكان غورفتش بالفعل مثقفاً جامعياً وناشطاً

سياسياً راديكالياً وقت قيام الثورة البلشفية. كما كان مشاركاً مهماً فيها لعدة سنوات حتى العام ١٩٢٠، عندما قابل لينين وعرف تروتسكي وراقب بعدم ثقة متزايد الاتجاه المركزي الذي تتجه إليه. تعمق في دراسة الفكر الماركسي، لكنه وصل إلى نقطة رفضه فكرة الحتمية الاقتصادية، ولم تعقه الأنشطة السياسية عن حياته الأكاديمية. نشرت أولى أطروحاته في العام ١٩١٥، وكانت تتناول مفاهيم المنظر السياسي الروسي بروكوبوفيتش، كما نشرت دراسته عن روسو وإعلان الحقوق في العام ١٩١٧. حصل على درجة الدكتوراه وأعطى مقرراً دراسياً في جامعة لينينغراد ـ بيتروغراد عام ١٩٢٠، لكنه هاجر بعدها بأشهر قليلة إلى تشيكوسلوفاكيا، ثم هاجر إلى فرنسا عام ١٩٢٥، حيث حصل على مواطنتها عام ١٩٢٩. وكان من دائمي السفر قبل هجرته من روسيا، وأصبح معروفاً لدى كبار واضعي النظريات الاجتماعيين والقانونيين الفرنسيين والألمان بمن فيهم دوركهايم وبرغسون وفيبر وفيخته، إضافة إلى فلاسفة الكانطية الجديدة، وفلاسفة الجدلية، وعالم النفس الاجتماعي فيلهلم فندت. وعندما ترك روسيا صحب معه مخططات لكتب ثلاثة: **أحدها** عن الواقعية الجدلية لفيخته كما يتم تطبيقها على الأخلاق، وآخر عن فكرة القانون الاجتماعي (القانون أو التنظيم النابع من المجموعات الاجتماعية وليس الدولة)، و**الثالث** حول المستويات المختلفة من الحقيقة الاجتماعية. وما زالت هذه الخيوط الثلاثة لفكره مهيمنة طوال حياته، إضافة إلى الالتزام السياسي بتفكيك مركزية الاشتراكية التي تتضمن إدارة العمال لأنفسهم.

قضى غورفتش غالبية الفترة المتبقية من حياته في باريس في السوربون ومدرسة براتك للدراسات العليا، بجانب الفترة التي قضاها في نيويورك خلال الحرب العالمية الثانية، حيث حظي بشهرة أمريكية لفترة وجيزة، وقام بتحرير كتاب *Twentieth Century Sociology* بالاشتراك مع ولبرت إ. مور (١٩٤٧)، وقدم هذا الكتاب مقالات كتبها الكثيرون من كبار علم الاجتماع الأمريكيين، وضم جزءاً ثانياً مكوناً من مقالات حول علم الاجتماع في دول أخرى. وبجمع إسهامه هذا مع المقالات الأخرى التي كتبها بالإنكليزية خلال هذه الفترة، بدا لحظتها وكأنه يستعد لتبوؤ مكانة لائقة في نطاق علم الاجتماع. وكان قد أثبت نفسه بالفعل شخصية رئيسة في علم الاجتماع الفرنسي بسبب المحاضرات التي كان يدعى إلى تقديمها في السوربون في الفترة (١٩٢٧ ـ ١٩٢٩) حول موضوع: الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة الألمانية (عنوان أحد كتبه، نشر عام ١٩٣٠) الذي اعتمد فيه أساساً على معرفته بالفكر القائم على تفسير الظاهرات لدى كل من هسرل وشيللر. وبالرغم من اتخاذه موقفاً نقدياً تجاه علم الظاهرات، فإنه أضاف بعض وجهات نظره إلى أعماله التنظيرية والمنهجية التي ظهرت تباعاً. وكانت مفاهيم قائمة على علم الظاهرات مثل «التعمدية» (Intentionality) و«الوعي المفتوح» ـ على وجه الخصوص ـ قد مكنته من تطوير نظرية جدلية حول العلاقة بين وعي المجتمع ووعي الفرد. وأطلق على أسلوبه «تجريبية جدلية مفرطة» (Dialectical Hyper-Empiricism). وهو يطرح إمكان سد الفجوة بين واضعي النظريات هؤلاء الذين

ركزوا على العلاقات ما بين الوعي المجتمعي والوعي الفردي من جهة (مثل جورج هربرت ميد وأنصار التفاعل الرمزي الأمريكيين وأنصار التحليلات القائمة على علم الظاهرات للحياة العالمية والثقافة اليومية كما بدأت على يد شوتز، واستمرت في جزء منها على يد علماء المنهجية الإثنية Ethnomethodologists)، ومن جهة أخرى نظريات البناء الجدلية التي قدمها العديد من العلماء الماركسيين الذين افتقدوا الفهم النظري للوسائط بين العمليات الهيكلية والوعي الفردي. وأكد ستارك (Stark) أن أسلوب غورفتش أثر بشكل ملحوظ في وصف سارتر الجدل الاجتماعي. إضافة إلى ذلك، رفض غورفتش الفرضيات السوسيولوجية المتشددة للبناء (سواء أكانت الوظيفية ـ البنيوية لتالكوت بارسونز أم تصور كلود ليفي ـ شتراوس للبنيوية)، وأكد مرونة العمليات البنائية (وهي الفكرة التي أعاد غدنز تناولها في ما بعد).

اتبع غورفتش مارسيل موس في تناولها موضوع علم الاجتماع باعتباره «ظاهرة اجتماعية شاملة» تتطلب أن ينظر إلى أي جانب من جوانب الحياة الاجتماعية في ضوء سياق الواقع الاجتماعي ككل، وذلك من أجل تفادي أخطار «الاختزال الثقافي»، أو الاجتماعي أو النفسي. والمدركان الحسيان (Two Percepts) لعلم الاجتماع عند غورفتش هما أنه يجب الأخذ في الاعتبار جميع مستويات الواقع الاجتماعي، كما يجب تطبيق منهج قائم على دراسة الرموز (Typological). وبناء على هذا، يتم تمييز الواقع الاجتماعي أو الظاهرة الاجتماعية الشاملة على محورين أساسيين، أفقي ورأسي، بالتوازي مع

«الأنواع الاجتماعية» و«مستويات العمق» للواقع الاجتماعي. وتميز الأنواع الأطر الاجتماعية (Cadres Sociaux) وهو المفهوم العام للفئات على المحور الأفقي. وميز غورفتش ثلاثة أنواع رئيسة: أشكال النشاط الاجتماعي (Sociality) (الطرق التي تجمع الناس معاً في صورة جماعية)، والأنواع المختلفة للمجموعات، أنواع مختلفة وأنواع متعددة للمجتمعات العالمية. ويتم تمييز كل من هذه الأنواع بدوره إلى أنواع فرعية، وعلى سبيل المثال، إن الأشكال الرئيسة للنشاط الاجتماعي هي تلك الخاصة بالجمهور والجماعة والاتصال. أما مستويات العمق التي تكون المحور العمودي للظاهرة الاجتماعية الكلية المحولة إلى مفهوم ، فيمكن ربطها جزئياً بدرجات التلقائية أو الصرامة بالواقع الاجتماعي للعناصر المختلفة. كما زاد غورفتش من المستويات الخمسة لدوركهايم إلى عشرة مستويات، هي: السطح المورفولوجي والإيكولوجي، والمنظمات الاجتماعية، والأنماط الاجتماعية أو النماذج، السلوك الجماعي المنتظم غير المقيد بالمنظمات الاجتماعية، وشبكة القواعد الاجتماعية، والمواقف الجماعية، والرموز الاجتماعية، والسلوك الجماعي العفوي والابتكاري والإبداعي، والأفكار والقيم الجماعية، والذهنيات الجماعية أو الوعي الجماعي.

وعلى الرغم من أن هذين المحورين، الأفقي والرأسي ـ بجانب رموزهما العديدة ـ يمكن أن يبدوا على أنهما إطاران معقدان، إلا أنهما جزء من مشروعه الطموح لحل مشكلة الربط بين علم الاجتماع الجزئي وعلم الاجتماع الكلي. وربما تكون نظريته أكثر أصالة، حيث إن التفاعلات بين المحورين الأفقي والرأسي تهتم بأعمق

المستويات العميقة (وهي هذه الشرائح من الواقع الاجتماعي التي تكون أقل صلابة وأكثر عفوية)، وأقل الأطر الاجتماعية بنائية (أشكال النشاط الاجتماعي مثل الجمهور والجماعة والاتصال، والتي تخضع لموضوع علم الاجتماع الجزئي). تظهر قابلية تطبيق إطار العمل هذا على علم اجتماع المعرفة، في أنضج أعماله وهو كتاب *The Social Frameworks of Knowledge* الذي نشر بعد سنة من وفاته في العام ١٩٦٦، وبخاصة التقرير البحثي حول المعرفة اليومية للجماعات المختلفة. وهناك مجالات أخرى، تشهد فيها الاهتمامات والأفكار التنظيرية لغورفتش اهتماماً حديثاً، وهي علم اجتماع القانون وعلم اجتماع الدين وعلم اجتماع الزمن.

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists:* Emile Durkheim, Karl Marx, Marcel Mauss.

■ أهم الأعمال:

Les Tendencies actuelles de la philosophie allemande (1930). Paris: Vrin.

L'idée du droit social; notion et système du droit social: Histoire doctrinale depuis le 17ème siècle jusqu'à la fin du 19ème siècle (1932). Paris: Sirey.

Essais de sociologie (1938). Paris: Sirey.

Sociology of Law (1942). New York: Philosophical Library.

The Bill of Social Rights (1946). New York: International Universities Press.

Twentieth Century Sociology (1946). Ed. with Wilbert E. Moore. New York: Philosophical Library.

La Vocation actuelle de la sociologie; vers une sociologie différentielle (1950). Paris: Presses universitaires de France. (Bibliothèque de sociologie contemporaine)

Déterminismes sociaux et liberté humaine; vers l'édude sociologique des cheminements de la liberté (1955). Paris: Presses Universitaires de France. (Bibliothèque de sociologie contemporaine)

Traité de sociologic (1958-1960). Paris: Presses Universitaires de France. 2 vols. (Bibliothèque de sociologie contemporaine)

Dialectique et sociologic (1962). Paris: Flammarion. (Nouvelle bibliothèque scientifique)

The Spectrum of Social Time. [Translated and edited by Myrtle Korenbaum, assisted by Phillip Bosserman] (1964). Dordrecht: D. Reidel Pub. Co. (Synthese Library)

The Social Frameworks of Knowledge (1971). Translated from the French by Margaret A. Thompson and Kenneth A. Thompson, with an introductory essay by Kenneth A. Thompson. Oxford: Blackwell.

■ قراءات إضافية:

Philip Bosserman (1968). *Dialectical Sociology.* Boston, MA: Porter Sargent.

Georges Balandier (1975). *Gurvitch.* Oxford: Blackwell.

G. J. Stark (1975). «Gurevitch and Sartre's Dialectic.» *Modern Schoolman*: vol. 52.

Richard Swedberg (1982). *Sociology as Disenchantment: The Evolution of the Work of Georges Gurvitch.* Atlantic Highlands, NJ: Humanities Press.

R. Banakar (2001). «Integrating Reciprocal Perspectives: On Georges Gurvitch's Theory of Immediate Jural Experience.» *Canadian Journal of Law and Society*: vol. 16.

A. J. Blasi (2001). «Marginality as a Societal Position of Religion.» (Presidential Address, Association for the Sociology of Religion, Anaheim, California).

إرفنغ غوفمان Erving Goffman

هو أحد أشهر أنصار مصطلح «علم الاجتماع الجزئي أو الصغير»، وهو المصطلح الذي استخدمه لوصف اهتمامه بالتفاعل الاجتماعي وتأثيره في الذات. وينظر إليه دوماً على أنه شخصية رئيسة لتقاليد التفاعلية الرمزية، بالرغم من أنه يفضل أن يفكر في نفسه على أنه مجرد مراقب للحياة اليومية: «إثنوغرافي بالحضر» أو «متخصص في القيم الإنسانية». حظيت أعماله بقبول جماهيري، تجاوز علم الاجتماع، نظراً إلى أسلوب كتابته الفريد الذي تصحبه وجهات نظر تنظيرية دقيقة وتشوبه روح الدعابة، وعادة ما يذكر أن القراء يشعرون بصدمة مبهجة عند معرفة ما يحدده غوفمان ويشرحه من السلوك الإنساني. يقوم غوفمان، طوال كتبه ودراساته العديدة، بتوظيف تصوير الحياة الاجتماعية على أنها مسرح، معتمداً على أسلوب كينيث بيرك تجاه الدراما الاجتماعية لصوغ ما يسميه وجهة نظر درامية (Dramaturgical) (مسرحية). وهو الأمر الذي يسمح له بتحليل الطرق التي يعرض فيها الأفراد «شخصيات» مختلفة ويؤدونها داخل مجاميع من «الممثلين» في الحياة اليومية.

ولد إرفنغ مانويل غوفمان في مانفيل بألبرتا في كندا في ١١ حزيران/يونيو عام ١٩٢٢، وكانت أسرته من اليهود الأوكرانيين الذين انتقلوا لاحقاً إلى دوفين بالقرب من وينيبج في مانيتوبا حيث نشأ إرفنغ. وبعد انتهائه من المدرسة، درس في البداية الكيمياء، ثم عمل لصالح الهيئة القومية للأفلام في أوتاوا قبل قراره البدء في الحصول على درجة في علم الاجتماع من جامعة تورنتو، حيث تخرج عام ١٩٤٥، ثم انتقل إلى جامعة شيكاغو التي مكنته من أن يتعلم في قسم الاجتماع فيها على يد إيفرت هيغ وغيرها من العاملين في إطار اتجاهات شخصيات، مثل روبرت بارك وإدوارد بيرغس وكليفورد شو. ولاقى غوفمان تشجيعاً من مشرفه لويد وارنر على متابعة اهتمامه بالأنثربولوجيا الاجتماعية، وذهب إلى (Shetland Isles) لدراسة «البناء الاجتماعي لسكان الجزيرة»، غير أنه وجد أنه أكثر اهتماماً بأنماط التفاعل ورموز الاتصال بين سكان الجزيرة. نشر غوفمان في البداية دراسة بخصوص الطبقة والوضع الاجتماعي، لكنه انتقل سريعاً إلى مزيد من التحليل التفاعلي للإجراءات التي يستخدمها الناس في التعامل مع فقدان الدور الاجتماعي في الفصل الذي حمل عنوان «On Cooling the Mark Out»، وسوف تشكل الملاحظات المبدئية التي أخذها هنا، أساساً لكتابه الذي حظي بازدراء أشد، وهو *The Presentation of Self in Everyday Life*.

نشر هذا الكتاب للمرة الأولى عام ١٩٥٩، وأرسى سمعة غوفمان بوصف عالماً اجتماعياً دراميا، ومقولته الأساسية هي أن الحياة الاجتماعية تتم من خلال أعمال وطقوس وعادات روتينية يومية، تشبه الأداء المسرحي، إذ عندما يتقابل الناس في المواقف الاجتماعية، فإنهم

يتعاونون مثل فرق الممثلين «للبقاء على استمرار العرض» ودعم تعريف معين للحقيقة. وفي الوقت نفسه، يكون الأفراد مهتمين بتقديم شخصيات معينة أو نسخاً من أنفسهم أمام الجمهور الذي يواجهونه، وهو الأمر الذي يرتبط بفنيات «تمثيل الذات» (Self-presentation) «وإدارة الانطباع». غير أن نجاح عمليات الأداء هذه يعتمد أيضاً على تصورات الجمهور. ورأى غوفمان أنه من الضروري دراسة انطباعات الناس التي تظهر عليهم بشكل غير مقصود، وليس فقط تلك الانطباعات التي تظهر بشكل مقصود، وهكذا فإننا قد نحدد ممثلاً لا يؤمن حقيقة في الدور الذي يلعبه، ومن ثم فإنه يقدم أداء «مثيراً للشك» (Cynical) بدلاً من الأداء «الصادق».

إن المحيط المادي الذي يؤدي فيه الفرد والفريق مهم للغاية، ورأى غوفمان أن هذا المحيط ينقسم إلى جزأين رئيسين، يرتبطان بمجالات المسرح. وهناك منطقة «الخشبة الأمامية» حيث نقدم هوياتنا العامة للجمهور، وحيث نعرف في أدوار محددة. وتتكون «مقدمة» الأداء من «وضعها» (موقعها ومشهدها وديكورها)، الذي يكون غالباً ثابتاً في مكان واحد، مع «الواجهة الشخصية» التي نستحضرها في موقف ما (مفردات معدات الهوية مثل الملابس، والدعامات (Props)، وتعبيرات الوجه). ومن جهة أخرى، فإن منطقة «الخشبة الخلفية» (Backstage) هي المكان الذي يرتاح فيه الممثلون، بعيداً عن الدور، وربما يناقضون فيها هوياتهم العامة، فهو مكان خاص، يقومون فيه بالتدرب من جديد ومراجعة الأداء وإعادة شحن البطاريات قبل عودتهم إلى خشبة المسرح. وقدم غوفمان لتوضيح هذا التمييز مثالاً بالحجرات في المنزل، حيث قد

تخدم غرفة الجلوس والطعام كمناطق خشبة أمامية ندعو فيها الضيوف، بينما تظل غرف النوم والحمام أكثر خصوصية، وهي مناطق الخشبة الخلفية التي يمكن لأفراد الأسرة أن «يكونوا أنفسهم» ويلبوا الاحتياجات الجسمانية. وأشار غوفمان إلى الارتباك الذي قد يحدث إذا أزيلت الحدود بين هاتين المنطقتين، مثل أن يقوم شخص ما بدخول غرفة النوم من دون أن يطرق الباب. كما ذكر أن الموظفين في فندق جزر شيتلاند يتصرفون بصورة مختلفة تماماً في الخشبة الخلفية بالمطبخ (حيث يمكنهم أن يسبوا ويضحكوا ويهينوا الزبائن ويبصقوا في طعامهم)، عن طريقة تصرفهم في الخشبة الأمامية بالمطعم (حيث يكونون مهذبين للغاية في حضرة الزبائن). إن الانتقال من الخشبة الأمامية إلى الخشبة الخلفية يمكن أن يكون أمراً ضاغطاً مسرحياً، لأنه يتطلب وضع وجه المرء العام والاستعداد للتعرض للفحص الدقيق، وهو الأمر الذي يمكن أن يشكل مشكلة خاصة بالنسبة إلى الأشخاص الخجولين.

انتقل غوفمان بعد مغادرته شيكاغو في منتصف الخمسينيات مع زوجته الأولى أنجيليكا شوات ورضيعهما إلى واشنطن العاصمة، حيث بدأ في أبحاثه المتعلقة بكتابه التالي **المصحات**. ومن خلال عمله في مستشفى إليزابيث في مواقع مختلفة، لاحظ وسجل ما كان يجري. وعرف غوفمان مستشفى العلاج النفسي على أنها «مؤسسة شاملة»، وهو المصطلح الذي أدرجته مشرفته إيفرت هيغ لوصف الأماكن، حيث كان يسجن نزلاء المصحة ليل نهار، وتتم السيطرة عليهم بنشاطات لها جدول مواعيد. وبالنسبة إلى غوفمان، فإن بناء المستشفى ـ الذي يعبر عنه من خلال قواعد وروتين الحراسة،

وإجراءات وتفاعلات العلاج بين العاملين والمرضى ـ يبدو أنه قد غير بعمق الهويات الخاصة بالعاملين. وأكد أن المرضى يتقدمون من خلال «شخصية معنوية» ذات ثلاث مراحل: ما قبل المريض، فترة المريض، فترة المريض السابق. وشرح غوفمان ـ بتركيزه على المرحلتين الأوليين ـ كيف أن المرضى يحرمون بالتدريج من جميع ممتلكاتهم وعلاقاتهم وحقوقهم التي كانوا يستخدمونها سابقاً في استعراض هوياتهم، في عملية يطلق عليها «إماتة الذات» (The Mortification of the Self). وبفقدانهم هوياتهم التي كانت بحوزتهم في العالم الخارجي، فإنهم يكونون مجبرين على الإذعان لمتطلبات نظام المستشفى. وانحاز غوفمان بكل وضوح إلى جانب المرضى الذين دافعوا عن ثقافة مقاومتهم من خلال «الحياة السفلية» (Underlife) في المستشفى، مظهراً أنه لم يتجاهل قضايا السلطة، كما يرى بعض ناقديه.

والتحق غوفمان بقسم علم الاجتماع في جامعة كاليفورنيا ببيركلي عام ١٩٥٧، وترقى حتى أصبح أستاذاً متفرغاً عام ١٩٦٢. وهناك، نشر ثلاثة كتب رئيسة، منها *Stigma* الذي واصل تناول موضوع كيف تمر المجموعات عديمة القوة نسبياً بالتفاعل، وعرف غوفمان السمة التشخيصية (Stigma) على أنها تعني وجود تناقض بين الهوية «الافتراضية» والهوية «الفعلية» للفرد، وهو التعارض نفسه بين الذات التي نعرضها أمام الآخرين، والذات التي نعتقد أنها ذاتنا «الفعلية»، أو الخشبة الخلفية. ويمكن أن تكون «تشوهات الشخصية» هذه إما فقداناً محتملاً للصدقية (مثل السجل الجنائي الذي يمكن أن يظل سرياً، لكن يمكن الافصاح عنه فجأة) أو فقداناً فعلياً للصدقية (على سبيل المثال، فإن الإعاقة

البدنية لا يمكن إخفاؤها). ولم يقترح غوفمان أن هذه الإحالات غير مرغوب فيها، لكنها يمكن أن تفقد ادعاءات تمثيل الصدقية في أن يكون نوعاً معيناً من الأشخاص أو أن يكون قادراً على المشاركة في أنشطة بعينها. ونتيجة ذلك، يرتبط الممثلون بفنيات إدارة الانطباع ـ المسمى «التحكم في المعلومات» ـ التي تهدف إلى إخفاء إضفاء السمة التشخيصية (Stigmatizing) من وجهة نظر الجمهور. كما يمكن أن تساعدهم مجموعات من المؤيدين الآخرين الذين يسميهم غوفمان «الخاصين بي» (الذين يتشاركون في السمات التشخيصية نفسها) و«الحكماء» (الذين يعرفون السمة التشخيصية للممثلين، لكنهم لا يتوقعون منهم إخفاءها). وهكذا يذكرنا غوفمان بأن العديد من السمات التي نراها في الآخرين ليست مجرد ميزات شخصية، لكنها عمليات أداء للأدوار التي تخضع للتفاوض في التفاعل الاجتماعي.

وقام غوفمان من خلال الكتابين التاليين **السلوك في الأماكن العامة** (*Behavior in Public Places*)، و**طقس التفاعل** (*Interaction Ritual*) بتصنيف استراتيجيات تمثيل الذات الأكثر تعميماً والمستخدمة في الحياة اليومية، مستكملاً مجموعة دراسات سابقة سمّاها (Encounters). إن التلاقي الاجتماعي (Social Encounter) هو نموذج للتفاعل المقصود (Focused Interaction) الذي يقع بين شخصين، لديهما الغرض نفسه في عقليهما، بينما يتحقق التفاعل غير المقصود (Unfocused Interaction)، عندما يتصادف أن يوجد أفراد معاً. وتناول غوفمان في كتابه **السلوك في الأماكن العامة** نوعي التفاعل السابقين مؤكداً، بصورة خاصة، دور الجسم في «إعطاء» و«أخذ» الملامح الاتصالية. على سبيل

المثال، يشارك الناس في الشارع في حالة «عدم الانتباه المهذب» الذي يتضمن إلقاء نظرة عابرة على الناس لمجرد معرفة وجودهم، ثم النظر بعيداً عنهم. وعلى العكس من ذلك، ترتبط المشاركة الملائمة في تلاقٍ مقصود بعرض قدرتنا على الوصول إلى الآخرين، مثل ضيوف الحفلة الذين قد يستخدمون الاتصال بالعين، ويقفون بالقرب ممن يرغبون في التفاعل معهم. وإذا كان هناك شخص في موقف تلاقٍ مقصود، لكنه يعمل على تفادي التفاعل، فإنه يمكنه استخدام «واقي المشاركة» لتكوين خشبة خلفية محدودة المساحة للذات في وجود الآخرين. وهناك أمثلة، مثل امرأة تقرأ جريدة في موقف سيارات عامة، أو ضيف حفلة يخرج لتدخين السجائر. وربما تعود هذه المشاهدات إلى فترات سابقة من عمل غوفمان خلال عمله موزعاً أوراق اللعب في إحدى صالات القمار في لاس فيغاس، حيث كان معروفاً بين زملائه بوصفه مقامراً متحمساً.

أما كتاب **طقس التفاعل** فهو عبارة عن مجموعة من الدراسات والمقالات حول الموضوع نفسه، وتشير دراسة **On Facework** مرة أخرى إلى استراتيجيات التمثيل الذاتي المستخدمة في الحياة اليومية، لتكوين انطباعات مرغوبة عن الآخرين، ويعتبر «الوجه» هوية عامة مقبولة اجتماعياً، نعرف أنها ستقيم إيجابياً، ويشير «عمل الوجه» إلى الفنيات التي يستخدمها الممثلون للحفاظ على صورتهم تلك. وذكر غوفمان أنه طالما أن «عمل الوجه الدفاعي» الذي نستخدمه للحفاظ على أنفسنا بالوجه نفسه، فإنه يكون هناك أيضاً تعمد في تقديم «عمل وجه دفاعي» للآخرين الذين نراهم زملاء بالفريق. وفي دراسته حول الارتباك، شرح غوفمان كيف أن الناس يقصدون رد فعل معيناً لاستعراض الخجل مع

ملامح دعم «تصلح» الموقف، كما أنهم بتركهم الممثل يعمل على أن يبدو مرتبكاً على الخشبة، سيقلل من حجم الخطأ، ويظهر أنه ليس مهماً. وفي المقابل، يساعد ذلك الممثل على استعادة هدوئه واستعادة الموقف إلى «حالته العادية» حتى يمكن للعرض أن يستمر.

انتقل غوفمان إلى جامعة بنسلفانيا عام ١٩٦٨، ونشر كتابين آخرين حول تفاصيل الحياة اليومية. ويتناول كتاب **التفاعل الاستراتيجي** «الحركات» المتنوعة التي يقوم بها الممثلون عندما يؤدون أمام الآخرين. على سبيل المثال، هناك «حركة السيطرة» التي تهدف إلى تحسين هوية المرء المتصورة، و«حركة الكشف» التي تكشف أسراراً أخرى للممثل. وكان غوفمان يدرس نظرية اللعب خلال سنة سبتية (Sabbatical Year) (تخصص كل سابع سنة للراحة بعد ستة أعوام عمل، وبخاصة لراحة الأرض عند اليهود – ويقصد غالباً بعد ستة أعوام من عمله في جامعة بنسلفانيا) وتأثيرها في هذا الكتاب بالغ الوضوح. ونشر *Relations in Public* بعد ذلك بوقت قصير، وعكس اهتمام غوفمان المتزايد بعلم الأعراق البشرية، ودراسة سلوك الحيوانات. وتناول هذا الكتاب الطريقة التي يستخدم بها الناس أجسادهم وفضاءهم الاجتماعي لعرض وضبط علاقاتهم مع الآخرين. على سبيل المثال، فإننا نحمي «مناطق الذات» من خلال صنع ادعاءات عن الفضاء الشخصي والتحكم في قدر المعلومات الخاصة التي نفصح عنها للآخرين. وذكر غوفمان أن هذه القواعد لا تصبح ظاهرة إلا عندما تنتهك، ومضى في مناقشة بعض الطقوس التي يستخدمها الناس لإصلاح مثل هذا التفاعل الأخرق. وهناك

«تغيرات متبادلة علاجية» (Remedial Interchanges) مثل الكتابات والاعتذارات وطلبات الإذن بإظهار نأي الممثلين عن أي مشكلات، وعدم تحميلهم أي مسؤولية أخلاقية في حال قبولهم ذلك.

ومثّلت كتب غوفمان الثلاثة الأخيرة تحولاً في اهتماماته البحثية تجاه اللغويات وعلم الظاهرات والتأويل. وتناول كتاب *Frame Analysis* الطرق التي يفسر من خلالها الناس المواقف من خلال وضع «أطر» أو تعريفات للواقع بالنسبة إليهم. ويؤكد غوفمان أن إيكونغ شوتز هو عالم الاجتماع الذي يضيف شريحة تفسير أخرى من خلال التأطير النظري لتلك العوالم الاجتماعية. وألقى كتاب *Gender and Advertising* نظرة على الطرق التي يؤدي بها الناس، ويستعرضون هوياتهم النوعية من خلال تعبيرات طقوسية، يفسرها الآخرون وفقاً للأطر المرجعية المشتركة. أخيراً، ركّز كتاب *Forms of Talk* على أساليب المعالجات (الحديث) المستخدمة في وسائل الإعلام المختلفة مثل المسرحية الإذاعية. وكانت تلك هي السنة التي تزوج فيها غوفمان من اللغوية جيليان سانكوف التي أنجبت له ابنة.

واجهت أعمال غوفمان بعض الانتقادات بمرور الأعوام، حتى من جانب أولئك الذين أعجبوا به كثيراً. وعلى سبيل المثال، عرف عن غولدنر انتقاده إهمال القوة ـ السلطة (Power) والتفاوت البنائي الأوسع في نظرية المستوى الجزئي لغوفمان، وقال إن ذلك ينتمي إلى علم اجتماع طبقة وسطى، ذات تعليم أمريكي على مستوى الكلية (وليس دراسات عليا). وأثيرت بعض الملاحظات بخصوص الطريقة التي يتحدث بها عن «الناس» عموماً من دون

النظر في تأثيرات النوع والطبقة والعرقية، وما إلى ذلك. كما يتحفظ لوفلاند (١٩٨٠) على الطريقة التي كتب بها غوفمان، بادئاً كل كتاب له، وكأنه الأول، ويقفز بين المفاهيم من دون ربطها معاً. ومع هذا، سيرى البعض أن هذا هو ما يجعل أعماله تبعث السعادة عند قراءتها، لأنه يمكن لأي شخص أن يفتح عشوائياً أحد مؤلفاته ويقرأها، ويصبح على الفور ملماً بأفكاره.

توفي غوفمان في تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩٨٢، بعد وقت قصير من إلقائه خطبته الرئاسية أمام الجمعية السوسيولوجية الأمريكية، على شكل ورقة سميت «نظام التفاعل»، ويذكرنا ذلك العنوان بأن غوفمان لم يتجاهل قضايا السلطة والبناء، لكنه تناولها كما يتم التعبير عنها في الحياة اليومية. وقام غوفمان بإظهار كيف أنه حتى الجوانب الأكثر خصوصية في حياتنا تعتبر منظمة اجتماعياً، من خلال تناول العمليات الطقوسية التي يقوم الناس من خلالها بأداء الهويات وإدارة التلاقي الاجتماعي. وفي هذا الصدد، يسد أسلوبه المسرحي الفجوة بين التحليل الجزئي والتحليل الكلي، مقترحاً صلات ممكنة بين التفاعلية (Interactionism) والنظريات البنائية مثل الوظيفية. وكانت أفكار غوفمان ذات تأثير كبير في تشكيل أعمال علماء الاجتماع في أنحاء العالم، وهو يظل أحد أكثر الشخصيات إمتاعاً وإبداعاً ونفاذ بصيرة في علم الاجتماع الحديث.

انظر أيضاً: **هوارد س.بيكر؛ جوديث باتلر؛ راندل كولينز.**

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists*:
Alfred Radcliffe-Brown, Charles Cooley, George Herbert Mead, Lloyd Warner.

■ أهم الأعمال:

«The Nature of Deference and Demeanor.» (1956). *American Anthropologist:* vol. 53.

The Presentation of Self in Everyday Life (1959). Harmondsworth: Penguin.

Encounters: Two Studies in the Sociology of Interaction (1961). Indianapolis, Bobbs-Merrill.

Asylums; Essays on the Social Situation of Mental Patients and Other Inmates (1961). New York: Doubleday.

Stigma: Notes on the Management of Spoiled Identity (1963). Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall. (Spectrum Book)

Behavior in Public Places; Notes on the Social Organization of Gatherings (1963). New York: Free Press.

Interaction Ritual: Essays on Face-to-Face Behavior (1967). New York: Doubleday.

Relations in Public: Microstudies of the public Order (1971). New York: Free Press.

Frame Analysis: An Essay on the Organization of Experience (1974). New York: Harper and Row.

Gender Advertisements (1979). London: Macmillan.

Forms of Talk (1981). Pittsburgh: University of Pennsylvania Press. (University of Pennsylvania Publications in Conduct and Communication)

«The Interaction Order.» (1983). *American Sociological Review*: vol. 48.

■ قراءات إضافية:

Kenneth Burke (1945). *A Grammar of Motives*. New York: Prentice-Hall.

Alvin Gouldner (1970). *The Coming Crisis of Western Sociology*. New York: Basic Books.

Jon Lofland (1980). «Early Goffinan: Style, Structure, Substance, Soul.» in: Jason Ditton (ed.). *The View from Goffman*. London: Macmillan.

Tom Burns (1992). *Erving Goffman*. London: Routledge.

Philip Manning (2003). «Erving Goffman.» in: George Ritzer (ed). *Encyclopedia of Social Theory*. London; Thousand Oaks, CA: Sage Publications.

Susie Scott (2005). "The Red, Shaking Fool: Dramaturgical Dilemmas in Shyness.» *Symbolic Interaction*: vol. 28.

ألفن وارد غولدنر Alvin W. Gouldner

ولد ألفن وارد غولدنر عام ١٩٢٠، وهو عالم اجتماع أمريكي، أسهم في العديد من مجالات الفكر السوسيولوجي. ومن الجدير بالذكر أن وارد لم يكن هو الاسم الأوسط لغولدنر بالميلاد، وقد اتخذه غولدنر تكريماً لعالم الاجتماع الأمريكي الكبير لاستر ف. وارد، وبالرغم من مشاركة غولدنر في البحوث التجريبية في بداية حياته العملية، وبخاصة في دراسته التي أعدها في كولومبيا والتي نشرت تحت اسم **أنماط البيروقراطية الصناعية** عام ١٩٥٤، فإنه يعرف أكثر بكونه منظراً سوسيولوجياً وناقداً اجتماعياً.

وكانت كتابات غولدنر الأولى في علم الاجتماع الصناعي متأثرة بأستاذه في جامعة كولومبيا روبرت ميرتون، الذي أكد ـ في سبيل سعيه إلى التوصل لأجندة تنظيرية متوسطة المدى في الوظيفية ـ أهمية الحفاظ على مستوى تجريبي، بدلاً من القيام بنوع من التنظير المبالغ فيه، والذي عرف به تالكوت بارسونز كثيراً. وهو ما يعني أن

الأطروحات التي كانت تحت إشراف ميرتون في جامعة كولومبيا خلال الأربعينيات والخمسينيات في مجال علم اجتماع المنظمات أو الصناعات ـ والتي كان من معديها على سبيل المثال لا الحصر كل من غولدنر، وبيتر بلاو، وسيمور مارتن ليبست، وفيليب سيلزنك ـ كانت قائمة على البحوث التجريبية واختبار النظريات المختلفة (مثل نظريات فيبر وميشيل بدلاً من قبولها باعتبارها مسلمات. إن هذا التوجه نحو التدريس العلمي العملي الذي انتهجه ميرتون، وهو تحديداً الشكوكية المنظمة أو النزعة السوسيولوجية، كان موظفاً لدى غولدنر في كتاباته كلها.

ولا يزال عمل غولدنر **معيار التآزر** (*The Norm of Reciprocity*) الذي نشر عام ١٩٦٠، يعتبر حتى اليوم إحدى أعظم الدراسات العلمية التي قام بها أحد علماء الاجتماع، وكانت الدراسة ولا تزال مؤثرة، لأنها كانت أول تفسير وتلخيص لكيفية استخدام مفهوم التآزر في التحليل السوسيولوجي والأنثربولوجي. وطبقاً للاستخدام الوظيفي، يفترض التآزر أن A يقدم شيئاً ما ذا قيمة إلى B وأن B يقوم بتقديم شيء مماثل إلى A، في صورة «هدية» حيث أن رد الفعل المقابل يكون متوقعاً في لحظة مستقبلية غير محددة سلفاً، لكن مثل هذا الفهم الدارج للتآزر يفترض إمكانية أن B قد يستفيد من A من دون توقع من جانب A أنه سوف يحصل على التعويض. وبعبارة أخرى، في حالات القوة غير المتكافئة، إن ما يبدو على أنه نموذج جامع للتآزر قد يكون في الواقع متسماً بنوع من الصراع. وكتب غولدنر ذلك لتنبيه الوظيفيين بشأن

الكتابات والفرضيات غير المختبرة التي يضعونها عن العلاقات الاجتماعية الإنسانية، وبخاصة في هذه الحالة المحددة في **معيار التآزر**.

وترك غولدنر بعد العام ١٩٦٢ مجال علم الاجتماع الصناعي وراء ظهره، ووجه انتباهه أكثر نحو النقد الاجتماعي وتطور علم الاجتماع المنعكس، كما أصبحت شخصية غولدنر صعبة المراس، وبدأ نمط حياته الشخصي يؤثر في قدرته على الإنجاز في علم الاجتماع، وكانت أحد أشهر الحوادث التي وقعت في جامعة واشنطن، عندما هاجم غولدنر أحد طلابه من الخريجين، وهو لود همفريز، وسبب له إصابات أودعته المستشفى، وكان همفريز يقوم بأبحاث حول الجنس السري في الحجرات العامة المزودة بالمراحيض بين البالغين الذكور، أو المسمى **حرفة غرفة الشاي** (*Tearoom Trade*)، وهو عنوان كتاب همفريز. وهدف همفريز عبر أداء دور «المراقب» إلى الاقتراب من الحدث بقدر الإمكان من أجل جمع المادة العلمية، وكان هذا الجانب من المنهجية الذي أغضب غولدنر بشدة هو الذي حدا همفريز على تسجيل أرقام سيارات الرجال المتورطين في هذه الحرفة (Trade) ثم الحصول على عناوين منازلهم من خلال إدارة مرور سانت لويس. وكان الإعصار المنهجي الآخر المميز لهمفريز هو زيارة منازلهم بعد عدة أشهر للقيام بدراسة أحوالهم الصحية. وبهذه الطريقة، كان همفريز قادراً على جمع مادة سكانية اجتماعية حول هؤلاء الرجال، وهو الأمر الذي لم يكن ممكناً سوى بهذه الطريقة، وبالرغم من أن ذلك كان تخطيطاً منهجياً فائق المهارة، شعر غولدنر أن البحث كان غير أخلاقي بالمرة، وواجه همفريز بذلك. وبعدها

بوقت قصير أخذ الإثنان في العراك، وكان غولدنر هو الطرف صاحب النصيب الأوفر في إلحاق الضرر، وقام همفريز برفع دعوى قضائية ضد الجامعة، فنقل غولدنر إلى الدانمارك، وتم إغلاق قسم علم الاجتماع بجامعة واشنطن، في ضوء ما سبق وأمور أخرى مرتبطة بغولدنر، سواء بصورة مباشرة أم غير مباشرة.

غير أن حادث همفريز لا يقلل من واقع أنه لو لم يصبح غولدنر بهذه الصورة المتزايدة من العدوانية والغضب والعصبية خلال الستينيات والسبعينيات، فإنه كان سيواصل أعماله ليكون أحد أعظم علماء الاجتماع على الإطلاق، سواء الأمريكيين أم غير الأمريكيين. فقد كان غولدنر أستاذاً ذا عقل تحليلي عميق، وطوال فترة السبعينيات حتى وفاته عام ١٩٨٠ صب طاقاته الإبداعية في بناء علم الاجتماع المنعكس.

وفي تصور غولدنر لعلم الاجتماع المنعكس، يصبح علم الاجتماع وعياً ذاتياً بمجموعة فرضياته عن العالم وعن المعرفة والحقيقة. وتماماً كما انتقد غولدنر سابقاً الوظيفيين لعدم كونهم انعكاسيين، بما فيه الكفاية، بخصوص فرضياتهم المكتوبة حول النظام الاجتماعي وأهمية معيار التآزر في الإسهام في هذا النظام، فإن كلاً من الماركسيين والمنظرين النقديين ـ في رأي غولدنر ـ لم يكونوا كذلك أيضاً. من أحد أكثر الشذوذ المتشنجة والناشطة في بنية الماركسية هي عدم القدرة على تعيين مواقع منظريها ضمن المخطط التفسيري، خصوصاً مع احترام الجدل القائل أن الوعي ينبع من موقع اجتماعي، بل وأكثر أهمية، من خلفية طبقية رفيعة. فكيف يمكن للمثقفين الراديكاليين، خصوصاً أولئك الذين أتوا من خلفيات ثرية،

أن يتعاطفوا مع وعد المضطهد والمفقود، مع أولئك المقموعين على يد الطبقة المسيطرة؟

هذه المسألة تعاقبت بقوة منذ كتاب *The Coming Crisis of Western Sociology* المنشور عام ١٩٧٠، حتى كتاب *The Two Marxism* المنشور في سنة وفاته. لم يكن هناك أي إجابة جيدة على هذا، على الأقل بالنسبة إلى المنطق الداخلي للماركسية. لا بد من شرح الشذوذ على أنه نتيجة المستويات غير الكافية لانعكاسية الماركسية والخيوط الأخرى لنظريات الصراع والانتقاد. ومثل الأغلبية الواسعة من البرامج النظرية في علم الاجتماع والموضوعات الأخرى، فقد أُنفق معظم الوقت في تطوير المستوى التقني للنظرية من دون أي اهتمام لمستوى البنية التحتية، أي، افتراضات المجال الضمني في مساحات الأنطولوجية، الإبيستيمولوجية والأكسيولوجية التي تنعكس وتفهم بوعي.

في النهاية، علم الاجتماع الانعكاسي عند غولدنر يصبح متشائماً بطريقة نيتشية أو شوبنهاورية، ويصبح غولدنر نفسه بطلاً تراجيدياً في رواية يونانية قديمة. علم الاجتماع الانعكاسي يصبح متشائماً بشكل مفرط لأنه يكشف «اللاتناهي السيئ» عند هيغل ـ ليس هناك نظرية تحيا بمثاليات الانعكاسية، والنقد يصبح نكوصاً لامتناهياً للنقد نفسه ـ بينما العيوب في شخصية غولدنر الغامضة والعميقة تمسكه عن الوصول إلى العظمة التي، ربما، قصد إنجازها. وبعد، معارك غولدنر هي معاركنا، وربما هذا هو تشريعه الأعظم من بين الجميع.

انظر أيضاً: روبرت ميرتون.

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists:* Lester Ward, Max Weber.

■ أهم الأعمال:

Patterns of Industrial Bureaucracy (1954). Glencoe, IL: Free Press.

Wildcat Strike (1954). [Yellow Springs, Ohio]: Antioch Press.

«Reciprocity and Autonomy in Functional Theory.» (1959). in: Llewellyn Gross (ed.) *Symposium on Sociological Theory*. New York: Harper and Row.

«The Norm of Reciprocity: A Preliminary Statement.» (1960). *American Sociological Review:* vol. 25.

The Coming Crisis of Western Sociology (1970). New York: Avon.

For Sociology: Renewal and Critique in Sociology Today (1973). New York: Basic Books.

The Dialectic of Ideology and Technology (1976). New York: Oxford University Press.

The Future of Intellectuals and the Rise of the New Class: A Frame of Reference, Theses, Conjectures, Arguments, and an Historical Perspective on the Role of Intellectuals and Intelligentsia in the International Class Contest of the Modern Era (1979). New York: Seabury Press. (Dark Side of the Dialectic; v. 2)

The Two Marxisms: Contradictions and Anomalies in the Development of Theory (1980). New York: Oxford University Press. (Dark Side of the Dialectic; v. 3)

■ قراءات إضافية:

James J. Chriss (1999). *Alvin W. Gouldner: Sociologist and Outlaw Marxist*. Aldershot, UK: Ashgate.

James J. Chriss (2002). «Gouldner's Tragic Vision.» *Sociological Quarterly:* vol. 43.

كليفورد غيرتز Clifford Geertz

ولد كليفورد غيرتز عام ١٩٢٦، والتحق بكلية Antioch بأوهايو، وفقاً لمواد قانون GI، بعد إنهاء خدمته العسكرية في بحرية الولايات المتحدة. وكان جورج جيجر من بين أساتذته، وهو طالب سابق لجون ديوي، ومن خلال هذا الأخير، اطلع غيرتز على البراغماتية الإنكليزية الجديدة، وكذلك على فلسفة اللغة الجديدة التي كانت تظهر آنذاك في أكسفورد في أعمال جلبرت رايل وجون أوستن. إضافة إلى ذلك، ألمّ غيرتز بنقده الأدبي شخصيات بارزة، مثل كينيث بيرك في الولايات المتحدة، ووليام إمبسون وف. ر. ليفز في بريطانيا.

قابل غيرتز عام ١٩٥٠ كلايد كلوكون، صديق جيجر، وأحد كبار علماء الاجتماع في جيله، وعضو قسم العلاقات الاجتماعية في هارفرد الذي كان يرأسه تالكوت بارسونز. وأقنعت مقابلة أخرى مع مارغريت ميد غيرتز بأن مستقبله يكمن في الأنثربولوجيا، وبخاصة في البحث الميداني. وخرج بعد عامين من الدراسة ـ مع زوجته هيلدرد ـ

إلى جمهورية إندونيسيا، الحديثة الاستقلال آنذاك، وظلا هناك في مدينة بار، وأسفر عن هذه الإقامة ما لا يقل عن أربعة كتب، هي *The Religion of Java*، و*Agricultural Involution*، و*Peddlers and Princes*، و *The Social History of Indonesian Town*.

بعد عودتهما، عمل غيرتز لعدة سنوات في جامعة شيكاغو التي كانت منشغلة آنذاك بمشروع كبير لتحليل الظروف الحالية في ما يسمى بالدول «الناشئة» في العالم الثالث، بعد الحرب العالمية والفترة الاستعمارية، بهدف مساعدتها في تحقيق طريقة حياة حديثة وديمقراطية، وإن كان ذلك برعاية من الولايات المتحدة. ووجد غيرتز أن ذلك لا يناسبه، وكان راغباً بمعاودة العمل الميداني مرة أخرى. واستقر بعد ثلاث سنوات ـ عام ١٩٦٣ ـ مع وزوجته في سيفرو، على بعد عشرين ميلاً جنوب مدينة فاس المغربية، وهي مدينة عربية استعمرها الفرنسيون مع وجود جماعة يهودية قوية، ووفر امتزاجها الثقافي هذا إمكانات كبيرة لدراسة مفصلة ومقارنات بين الثقافات المختلفة. وأسفرت السنوات التي قضاها غيرتز في المغرب ـ تماماً كتلك السنوات التي قضاها في الشرق الأقصى ـ عن إنتاج مماثل. وأصبح بعودته أستاذاً في مدرسة العلوم الاجتماعية بهارفرد ليكون موجهاً لأجيال جديدة من علماء الأنثربولوجيا وطلاب الثقافة.

عندما دخل غيرتز مجال الأنثربولوجيا، توافرت عدة أمور لتشكل أساس منهجه العملي. وكانت **أولاها** الأنثربولوجيا

الكلاسيكية لألفريد رادكليف براون وسير إدوارد إيفانز برتشارد، وكانت اهتماماتهما بالجوانب الوظيفية لنظم وممارسات، مثل القرابة والاحتفالات، والمحرمات، مثل العقيدة والمعتقدات. وكانت أعمال بارسونز هي الأساس **الثاني**، في مناقضتها للتأثير المؤكد في نظرية شبه علمية للمجتمع، تركز على ظروف النظام الاجتماعي. ولا يعتبر هذا المنهج مقبولاً حالياً، لكنه كان مقبولاً في السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية، باعتباره وسيلة لإبقاء الوضع القائم في الديمقراطيات الغربية المتقدمة وحشد الدول الحديثة الاستقلال التي كانت مستعمرة سابقاً خلف الولايات المتحدة. وكانت أعمال كلوكون نظرة أكثر تقدماً، وبخاصة في ما يتعلق بنظريته القائلة إنه من الصعب ترجمة المفاهيم والأحكام من لغة إلى لغة أخرى، ومن ثم من ثقافة إلى ثقافة أخرى. وفي المقابل، يرتبط ذلك بمفهوم ويتنشتاين للغة باعتبارها وسيلة للاتصال، يجب أن تتضمن اتفاقاً على التعريفات والأحكام أيضاً.

كان كينيث بيرك الشخصية الأخيرة التي أثرت في غيرتز الشاب. ويوجد هنا مفهومان محوريان، **أولهما** أن بيرك كان مهتماً بالوظيفة البلاغية للغة: إن اللغة تفعل أكثر مما تصف. وكان أوستن يقدم، في الوقت نفسه، تمييزاً مشابهاً بين اللغة التعبيرية أو الخبرية، اللغة المحفزة أو الأدائية، واللغة الفاعلة. واعتبر بيرك أن التفاعل بين الكائنات البشرية، سواء من خلال اللغة أم غيرها، دراما اجتماعية، وهي الفكرة **الثانية** التي استقاها غيرتز من بيرك، الذي صك ـ بدوره ـ مصطلح

«النزعة الدرامية» لوصف كيفية سعي اللغة إلى إحداث التعاون داخل العمل الاجتماعي. وسعت أنثربولوجيا غيرتز إلى تطبيق فكرة وصف ما يحدث داخل كل تفاعل «درامي» النزعة وفقاً لما يعنيه للمشاركين في الوقت والمكان المحددين.

تناول غيرتز هذه المنهجية المركبة، المتعددة التخصصات، في أربعة كتب ظهرت خلال فترة عمله الميداني الأولى في جاوه. ويصف كتابه **التاريخ الاجتماعي لمدينة إندونيسية** الطريقة التي تطورت بها بار بمواجهة الاحتلال الهولندي، ثم الغزو الياباني، ثم العودة قصيرة الأجل للهولنديين عام ١٩٤٥، والحصول على الاستقلال، عندما تصارعت أربعة فصائل على السلطة. وكان الكتاب بالفعل تحليلاً لكيفية تطور المجتمعات، بالرغم من التغيرات والقرارات التي تتخذ على مستوى أرفع وأبعد مكاناً. ويضع الكتاب نبذة مختلفة عن التي تقدمها الدراسات الأخرى، كما يصف عوامل فاعلة رئيسة. ويقدم *Agricultural Involution* وجهة نظر جغرافية، تقوم على التأريخ المقدم بالفعل فيها. ومن جوانب عدة، فإنه عمل رائد عن البيئة، ويعتبر محذراً من أن العلوم السياسية ليست بديلاً من الإهمال الإمبريالي.

ويعتبر كتاب **باعة جوالون وأمراء** تحليلاً طبقياً على هدي مبادئ فيبر، تناول فيه غيرتز وجهة النظر التي تقول إن العديد من الفصائل المسلمة في إندونيسيا قد تتحرك بوصفها تجسيداً للتقدم الاقتصادي، تماماً كما كان البروتستانت ذات مرة في أوروبا خلال القرن السادس

عشر. وبدت حقيقة كون المسلمين منقسمين إلى أحزاب تقدمية وتقليدية، وكأنها تسبق وتصادق على استنتاج غيرتز. وأخيراً، يحاول كتاب *The Religion of Java* (كان غيرتز قد طلب من الناشر عنواناً ثنائياً، لكنه رفض ذلك الطلب) أن يصف تنوع المعتقدات الإسلامية والوثنية، وكيف يصفون أفعال الأشخاص المعنيين.

وربما كان أشهر ما أخرجه غيرتز خلال وجوده في إندونيسيا دراسته *Deep Play: Notes on the Balinese Cockfight* التي نشرت في كتاب **تفسير الثقافات**. وكانت فكرة هذا الكتاب أنه يمكن لحدث رياضي أن يخبر أي شخص شيئاً ما عن ثقافة ما ومعانيها، وكانت هذه الفكرة محل جدل كبير. لقد وصف صراع الديكة (Cockfight) بلغة حيوية، ويعتبر في حد ذاته قطعة مميزة من الكتابة. والتفسير الثقافي لغيرتز لهذه اللعبة هو أنها قد تكشف شيئاً (ثقافياً) ما بديلاً وثقافة تحتية. وتمثل هذه الجولات من اللعبة مشاعر متوحشة تبعد تماماً عن الحياة المرتبة والمهذبة لشعب بالي في العديد من المناطق المجاورة. وتبرز همجية الحدث في المعنى المزدوج لكلمة (Cock)، واقتصار مثل هذه الأحداث على الرجال. ويأخذ الأفراد المشاركون الموضوع بصورة جدية، إذ يقارن الخاسرون بشخصيات مأساوية، مثل لير أو راسكولنكوف، وبالطبع، يجب ألا تجعلنا مثل هذه المقارنات نغفل عن الطبيعة المزعجة للحدث في حد ذاته. ولم يدن غيرتز أبداً مثل هذه الأحداث فحسب، بل هو يضع الحقائق وتفسيره لها أمام القارئ.

قسمت جوانب الحياة المختلفة في سيفرو بين غيرتز وفريقه، وتركز عمله على السوق وتقسيماته الفرعية المختلفة، ووصف الممارسات داخل السوق، وقام بتوثيقها (على سبيل المثال فنيات المساومة) بتفصيل مذهل، يتجاوز الجولة اليومية التي يتم وصفها من خلال عين سائح. وساعدت التراتبية الراسخة المجتمع المغربي في الحفاظ على نوع من الترتيب أو البناء في مواجهة تنوعه البارز (مسلمون ويهود، عرب وبربر).

وأخرج غيرتز عمله التالي *Islam Observed* لدراسة أشكال الخبرة الدينية فيهما، من خلال دراسته مجتمعين مسلمين (في جاوة والمغرب). ومن أجل فهم التنوع الإسلامي، تناول أربع شخصيات رئيسة في سياق تاريخها الثقافي الخاص (لكل منها)، بادئاً بسنان كالدجاجا؛ وهو رجل إندونيسي اعتنق الإسلام وعرف بالتصوف. وكان يقابله الداعي المغربي سيدي الحسن ليوسي الذي كان سوطاً في يد سلاطين القرن السابع عشر. ودفعت هذه الروايات (الشفوية) غيرتز إلى صياغة مفهوم «الدولة ـ المسرح» التي يعمد فيها الحكام إلى اتخاذ قرارات تدمج المصلحة الشخصية بالشأن العام. واستخدم غيرتز مرة أخرى الشخصيتين لتبسيط ذلك الرأي. أما سوكارنو، أول رئيس لإندونيسيا المستقلة، فقد كوّن تصوره الخاص عن الاشتراكية مع عناصر من المعتقدات الإسلامية، لإنتاج مجموعة كبيرة من الأفكار التي تلهم أمته. واتخذت «الدولة ـ المسرح» شكل أكبر مسجد في العالم في صورة ستاد عملاق، تمت فيه استضافة الألعاب الأولمبية

لدول آسيان وجيش كبير (Crusading). وعلى العكس من ذلك، استخدم محمد الخامس، ملك المغرب صورته، قائداً عسكرياً قوياً وتابعاً مخلصاً للرسول [ختم] للحصول على استقلال بلاده عام ١٩٥٥. وتم تناول مسألة الدولة ـ المسرح بشكل أكثر تفصيلاً في *Negara*، وهي دراسة عن البلاط البالي في القرن التاسع عشر.

وكان غيرتز يرى أن العلوم الاجتماعية ملاحظاتية وتفسيرية، إذ يعيش الباحثون داخل مجتمع، ويسجلون ما يلاحظونه، ويحاولون تفسير ما يرونه، وتعتبر هذه التفسيرات والنتائج التي توصلوا إليها موقتة بطبيعة الحال. ويجب أن نبقي طوال الوقت على ذاتيتنا بمسافة ذراع واحد، بينما يجب ألا نكون خائفين من التوصل إلى نتائج كبيرة من ملاحظاتنا، إذا كانت مضمونة. والنموذج الأبرز على ذلك ـ في هذا الصدد ـ هو تشارلز داروين الذي مكّنته ملاحظاته الدقيقة من تكوين نظرية «كبيرة». تميل التفسيرات (التي ستصبح نظريات) إلى أن تكون نسبية أكثر من كونها مطلقة، إذ تنتمي أفكار قديمة لأنثربولوجيين أمثال رادكليف ـ براون وإيفانز ـ برتشارد إلى ذلك العصر القديم، لكن غيرتز يتفادى فخ الإفراط في فكر ما بعد الحداثة، وقام بتحديد أي تقصٍ وقصره على الملاحظات الدقيقة لثقافة المرء. ويعلمنا غيرتز أننا يجب ألا نخاف من تناول ثقافات الآخرين (وانتقاد ما نراه ملائماً للانتقاد منها)، وأن نقدم نتائجنا القائمة على الملاحظة المفصلة والمعمقة. كما يمكن أن تزودنا هذه المادة العلمية بأساس بناء نظريات عامة، تربط المحلي بالعالمي. أخيراً، يظهر لنا أن

الثقافة (كالحياة اليومية) هي تماماً بقدر أهمية البنيات الاجتماعية، والأنظمة، والمؤسسات، من جهة، أو الصفة الشخصية لنفسية كل شخص في تعريف العلاقة بين الفرد والكائنات ككل، من جهة أخرى.

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists:* Max Weber.

■ أهم الأعمال:

The Religion of Java (1960). Glencoe, IL: Free Press.

Peddlers and Princes; Social Change and Economic Modernization in Two Indonesian Towns (1963). Chicago, IL: University of Chicago Press.

Agricultural Innovation: The Process of Ecological Change in Indonesia (1964). Berkeley, CA: University of California Press.

Islam Observed; Religious Development in Morocco and Indonesia (1968). Chicago, IL: University of Chicago Press.

The Interpretation of Cultures: Selected Essays (1973). New York: Basic Books.

Negara: The Theatre State in Nineteenth-century Bali (1980). Princeton, NJ: Princeton University Press.

Local Knowledge: Further Essays in Interpretive Anthropology (1983). New York: Basic Books. (Key Contemporary Thinkers)

Works and Lives: The Anthropologist as Author (1988). Stanford, CA: Stanford University Press.

■ قراءة إضافية:

Fred Inglis (2000). *Clifford Geertz: Culture, Custom, and Ethics.* Cambridge: Polity Press. (Key Contemporary Thinkers)

إرنست غيلنر Ernest Gellner

ولد إرنست غيلنر عام ١٩٢٥، وترعرع في براغ حتى العام ١٩٣٩، عندما قررت أسرته اليهودية الانتقال إلى إنكلترا، حيث حصل بعد فترة وجيزة على مكان في كلية باليول بأكسفورد. خدم في الجيش التشيكي حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، ثم عاد لاستكمال تعليمه في أكسفورد، حيث حصل على درجة في الفلسفة والسياسة والاقتصاد. وعقب فترة وجيزة في أدنبرة، عين عام ١٩٤٩ لتدريس الفلسفة الأخلاقية والاجتماعية في قسم علم الاجتماع في مدرسة لندن للاقتصاد، التي ظل فيها لمدة ٣٥ عاماً، وأصبح أستاذاً للفلسفة والمنطق والمنهج العلمي عام ١٩٦٢. وتلا عمله في مدرسة لندن تفرغ مدته تسعة أعوام أستاذاً للأنثربولوجيا الاجتماعية في كمبردج. وأصبح رئيساً لمركز دراسة القوميات في جامعة وسط أوروبا ببراغ عقب تقاعده من كمبردج عام ١٩٩٣، ثم توفي عام ١٩٩٥.

صنع غيلنر اسمه في ثلاثة تخصصات علمية، هي: علم الاجتماع، والأنثربولوجيا الاجتماعية، والفلسفة. وكان في هذه المجالات الثلاثة جميعاً ذا رؤية نقدية للثوابت المعاصرة، وبخاصة تلك المتعلقة بالنسبية والمثالية. كانت كتاباته النقدية ظريفة ومؤثرة، فظل يعتبر بصورة ما خارج هذه التخصصات الثلاثة، بالرغم من ارتباطه بمؤسسات علمية طوال تاريخه (أكسفورد، وكمبردج، ومدرسة لندن للاقتصاد). وخلال حوار له عام ١٩٩٢ وصف غيلنر نفسه بأنه أحد «متطهري التنوير»، وبأنه مفكر قبل العلاقة الصعبة بين الإيمان واللامبالاة والجدية. واستقى إلهامه من هيوم، وكانط، وفيبر، ودوركهايم، وكارل بوبر. وفي الواقع، عنى ذلك أنه هاجم دعاة الأنظمة المغلقة في جميع المجالات ـ وتضمنت قائمة الذين يستهدفهم الفلسفة اللغوية، والتحليل النفسي، والإسلام، والاشتراكية، والليبرالية الجديدة. وأعلن أحد الزملاء ذات مرة أنه غير متأكد من الجهة التي ستصدر عنها الثورة التالية: هل هي من اليمين أم من اليسار؟ لكن أياً كانت الجهة، فإن غيلنر ، بالتأكيد ، سيكون أول شخص يتم إعدامه.

كان أول بروز لاسم غيلنر من خلال هجومه على المثالية اللغوية (Linguistic Idealism) في الخمسينيات في مؤلفه **كلمات وأشياء**، وعند ظهور هذا الكتاب كان قد وجه اهتمامه بالفعل إلى الأنثربولوجيا الاجتماعية، وقام بعمل ميداني بين القبائل المغربية. وأظهر في مؤلفه **قديسو الأطلس** كيف حافظ شيوخ البربر على السلام

بين الرعاة البدو الذين كانوا ينقلون قطعانهم عبر ممرات جبال الأطلس. وحافظ غيلنر على اهتمامه بالمغرب والإسلام طوال حياته المهنية، الأمر الذي أدخله في جدل قاس مع إدوارد سعيد حول أهمية الإمبريالية، وكان غيلنر ينظم مؤتمراً حول الاستشراق عند وفاته.

لقد صبت أفكاره في نهر من الكتب والمقالات والمراجعات. وتقدم ثلاثة كتب معاً رؤية عامة للعمود الفقري لفكره، وهذه الكتب هي: **الفكر والتغيير**، **المحراث والسيف والكتاب**، **والأمم والقومية**. ورفض غيلنر في **الفكر والتغير**، وهو أقدم الكتب الثلاثة، فكرة أن التغيير الاجتماعي هو عملية كلية تتحرك من حالة غير مرغوب فيها إلى حالة مرغوب فيها عبر سلسلة من التحولات المتوقعة. هناك بالفعل تحولات تاريخية محددة، مثل الانتقال من المجتمع الزراعي إلى المجتمع الصناعي، لكنها غير مفسرة بموقعها داخل سلسلة تطورية من المراحل المتعددة. وتعتبر الماركسية نظرية منهجية مهمة، طالما أنها تقدم تفسيرات لآليات التحول المحددة، بالرغم من واجهتها التطورية التي تؤكد المراحل الحتمية.

ولم ير غيلنر حاجة إلى اللجوء إلى آليات تشمل التاريخ ككل، وفضل النظريات العرضية الجديدة (Neo-episodi) (نسبة إلى سلسلة من الأحداث الواقعية المترابطة) التي تركز على تفسير أنواع معينة من التحول. ورأى التاريخ مجموعة من الهضاب (السهول المرتفعة الواسعة) التي تعترضها الجروف (Cliffs) الشديدة الانحدار، وتحولات دراماتيكية، مثل الثورة الصناعية أو الحجرية. ونحتاج من

أجل تفسير المجتمعات البشرية إلى نوعين من علم الاجتماع، يهتم **أحدهما** أساساً بالطريقة التي تحافظ بها المجتمعات الموجودة في السهول على نفسها في استقرار نسبي، وسيكون لهذا النوع من علم الاجتماع جنوح وظيفي. ويركز النوع **الآخر** من علم الاجتماع على كيفية مواجهة وتعامل المجتمعات مع الجروف الشديدة الانحدار عندما تمر بها. ويجب أن يقبل هذا النوع الثاني من علم الاجتماع الذي يهتم بالتحولات العميقة بأن هذه التفسيرات المحددة لأنواع معينة من التحول (مثل التحول الصناعي) لا يمكن تعميمها لتصبح تفسيرات لجميع أنواع التحول المجتمعي، وهو الخطأ الذي ارتكبه ماركس وأتباعه.

ورفض غيلنر فكرة أن التقدم الاجتماعي ينمو بطريقة محددة سلفاً. ووافق تجريبياً في كتابه الثاني، **المحراث والسيف والكتاب**، على أن الجنس البشري قد مر بالفعل بعدد من المراحل بترتيب محدد، وهذه المراحل هي: (١) مجتمع الصيد والجمع، (٢) المجتمع الزراعي، (٣) المجتمع الصناعي، وبعبارة أخرى، فيجسد التاريخ البشري بناء، إذ لا يمكن الانتقال من المرحلة الأولى إلى الثالثة مباشرة، والتراجع من الثالثة إلى الثانية أو من الثانية إلى الأولى أمر نادر الحدوث. وجهة نظره الرئيسة هنا هي أن التحول من المجتمع الزراعي إلى المجتمع الصناعي يستلزم مثل هذا التحول الضخم الذي يقع في داخل مجتمع مستوى معيشته متدن. وبمجرد حدوثه (التحول) في مجتمع ما، من خلال ما يشبه المعجزة، فإن التكرار في أماكن أخرى يصبح ممكناً.

ويستلزم تفسير هذا الانتقال الرئيس من المجتمع الزراعي إلى المجتمع الصناعي التميز بين الإنتاج (سلطة التكنولوجيا والزراعة)، والإكراه (سلطة السيف)، والمعرفة (قوة الأفكار والكتب). وليس لأي منها أولوية نظرية. ولكن غيلنر ركز على المعرفة، إذ تمّ التعبير عن التقسيم المبسط للعمل في المجتمعات البسيطة، القائمة على الصيد والجمع، بأساليب معرفية ولغوية متعددة المستوى. وعنى استخدام اللغة إحداث العديد من الأدوار معاً، تؤكد وضع الفرد في الطبيعة، والنظام الاجتماعي والكوني، وتستجيب بطريقة عملية فاعلة لتحدي البقاء الجسماني.

سمحت زيادة مستوى الفائض المادي الذي تحقق مع الانتقال إلى الإنتاج الزراعي، بظهور طبقة حاكمة مسيطرة، وطبقة من المتخصصين في الطقوس، قادرة على تقنين الثقافة والمعرفة. فصلت مركزية قوة الدولة وتقنين الثقافة أقلية صغيرة ومهيمنة من المجتمعات الفلاحية القروية، بسماتها المحلية المحددة وثقافاتها ذات المظهر الداخلي (Inward-looking Cultures). ومكّن التعليم ووجود كتب مقدسة النخبة من الحصول على السلطة من خلال تفسير النصوص المقدسة أكثر من الطقوس المتعارف عليها. وسمحت الطباعة للنص أن يكون متاحاً عالمياً في معظم الأحوال، الأمر الذي ساعد الدعاة على تقنين المفاهيم والتعاليم. وقدمت هذه النظم الدينية «الأفلاطونية» نموذجاً لتطور الأطر العالمية للمعرفة في الحكومة، والمهن والتجارة أيضاً.

كان التحول من المجتمعات الزراعية إلى المجتمعات الصناعية حدثاً معقداً، ساعدت عليه روح العقلانية الذرائعية (Instrumental Rationality)، وكان تأثير النزعة البروتستانتية الذي عمم غيلنر استخدامه على أي مجموعة دينية محددة قد دعم من الاندفاع في تناول العالم الناشئ بطريقة منتظمة. وكان الاندفاع المنظم موجهاً نحو الطبيعة، وتحرر فجأة من المعتقدات الدينية. وتمكنت الأغلبية، في الوقت نفسه ـ نتيجة انتشار التعليم والتوسع فيه – من الاطلاع على ثقافة رفيعة مقننة.

كما أن تحليل غيلنر في كتابه **الأمم والقومية** مبني في هذا الإطار، إذ يجب أن تفهم القومية وفقاً للتحولات البنائية والثقافية الراديكالية المرتبطة بتطور المجتمعات الصناعية. ووضع الترتيب الاجتماعي، داخل مثل هذه المجتمعات، على أساس الوظائف المهنية المخصصة تبعاً للشهادات التعليمية. لا ينبع الشعور بتزايد الانتماء من عضوية قرية معينة، أو جماعة عمل، لكنه ينبع من كون المرء جزءاً من ثقافة مشتركة على نطاق واسع داخل حدود الدولة القومية. إن القومية متجذرة في التقسيم المعقد والدائم التغير للعمل داخل مجتمع صناعي ما، والذي يخدمه نظام تعليم موسع ومكلف، يقدم تدريباً عاماً قياسياً. وهو ما يضمن أن جميع المواطنين يتشاركون في الفهم والمهارات الأساسية نفسها، وهو ما يمثل نصراً للثقافة الرفيعة على الثقافات الدنيا المنافسة.

ويرى غيلنر أن القوميات هي التي تكوّن الأمم، وليس العكس، إذ تقوم الحركات القومية الناجحة باختيار وتغيير ثقافة

موجودة سلفاً، وتعمل على ضمان انصهار هذه الثقافة مع حكومة ـ دولة واحدة. ويمكن لمن يجدون أنفسهم ـ في المراحل الأولى من التحول الصناعي ـ مستبعدين ومحرومين أن يحصلوا على أي رموز لغوية أو جينية أو ثقافية، بقدر ما يمكنهم ذلك، باعتباره طريقة لتمييز أنفسهم، وشعباً له مطالب يجب تلبيتها. ويمكن أحياناً استخدام ثقافة محلية دنيا أو أحياناً ثقافة رفيعة، إذ تعتمد القومية العربية على الإسلام، بينما تبنت بعض الحركات القومية الأفريقية ثقافة أوروبية رفيعة لتحقيق أهدافها.

وربما تكون مثل هذه العمليات أكثر وضوحاً في عقل إنسان، مثل غيلنر الذي كان مطلعاً على العديد من الثقافات، والذي أعلن أنه غير مؤمن ولا ينتمي إلى جماعة معينة. وتجسد الكتب الثلاثة ـ التي تمت الإشارة لها سابقاً ـ قدرة غيلنر على بناء نماذج بسيطة للنظم الاجتماعية والعمليات الاجتماعية، وتفسيرها بوضوح ويسر، واستخدم هذه المهارات لتحديد أنماط ونتائج حول أحداث تاريخية كبيرة، الأمر الذي وضعه في زمرة علماء عصر التنوير، إلى جانب ديفيد هيوم وماكس فيبر.

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists:* Emile Durkheim, Max Weber.

■ **أهم الأعمال:**

قائمة ببليوغرافية كاملة موجودة في: <http://members.tripod.com/GellnerPage/Biblio.html>.

Thought and Change (1964). London: Weidenfeld and Nicolson.

Saints of the Atlas (1969). London: Weidenfeld and Nicolson.

Cause and Meaning in the Social Sciences (1973). Edited with a preface by I. C. Jarvie and Joseph Agassi. London; Boston, MA: Routledge and Kegan Paul.

Legitimation of Belief (1975). Cambridge, MA: Cambridge University Press.

Spectacles and Predicaments: Essays in Social Theory (1980). Cambridge, MA: Cambridge University Press.

Muslim Society (1981). Cambridge, MA: Cambridge University Press.

Nations and Nationalism (1983). Oxford: Blackwell.

Relativism and the Social Sciences (1985). Cambridge, MA: Cambridge University Press.

The Psychoanalytic Movement: The Cunning of Unreason (1985). London: Paladin.

Culture, Identity and Politics (1987). Cambridge, MA: Cambridge University Press.

Plough, Sword and Book. The Structure of Human History (1988). Chicago, IL: University of Chicago Press.

Reason and Culture, the Historic Role of Rationality and Rationalism (1992). Oxford: Blackwell. (New Perspectives on the Past)

Encounters with Nationalism (1994). Oxford: Blackwell.

Language and Solitude. Wittgenstein, Malinowski and the Hapsburg Dilemma (1998). Cambridge, MA; New York: Cambridge University Press.

■ قراءات إضافية:

John A. Hail (1998). *The State of the Nation: Ernest Gellner and the Theory of Nationalism*. Cambridge, MA: Cambridge University Press.

Michael Lessnoff (ed.) (2002). *Ernest Gellner and Modernity*. Cardiff: University of Wales Press. (Political Philosophy Now)

فرانز فانون Frantz Fanon

ولد عام ١٩٢٥ في المارتينيك، وخرج للقتال دفاعاً عن فرنسا في الحرب العالمية الثانية، وظل فيها بعد الحرب ليدرس الطب في الفترة الممتدة من العام ١٩٤٧ حتى العام ١٩٥٣، فتخصص في الطب النفسي، وتتلمذ على يد إيميه سيزار، أحد أشهر المفكرين السود في فرنسا، والذي عرّف فانون على فلسفة الزنوجة (حركة للمفكرين السود في فرنسا وأفريقيا تعلي من الإبداع الأسود والقيم الأفريقية) وعلى الحاجة إلى التمسك بصفاته الشخصية التي عمل المستعمر الأبيض على سلبه إياها. كما شجع سيزار فانون على قراءة أعمال هيغل وماركس ولينين وجان بول سارتر. وبالرغم من عدم قبول فانون بالأسس التي تقوم عليها وجودية سارتر وزنوجة سيزار، فإنهما ظلا أصدقاء طوال حياته كلها. مارس الطب في الفترة ١٩٥٣ــ ١٩٥٦ في مستشفى للطب النفسي في بليدة ـ جونفيل بالجزائر التي كانت مستعمرة فرنسية آنذاك، وهناك عالج المرضى الذين كانت تعذبهم

القوات الخاصة الفرنسية، وكان لديه حنق متزايد تجاه عداء الأطباء الفرنسيين للمرضى الجزائريين؛ الأمر الذي دفعه إلى الاستقالة من وظيفته، ولذلك طرد من الجزائر عام ١٩٥٧، وعمل لصالح جبهة التحرير الوطني الجزائرية في تونس، حيث شارك في مؤتمر جميع الشعوب الأفريقية عام ١٩٥٨، وتولى لفترة وجيزة منصب سفير الجزائر لدى غانا، قبل أن يصاب بسرطان الدم في العام ١٩٦١.

تأثرت أفكار فانون كثيراً بعمله في الطب النفسي في مستشفيات الجزائر وتونس، وبخبرة مشاركته في القتال في الحرب العالمية الثانية، وبدراساته في علم النفس والسياسة ومكافحة الاستعمار. ومرّ بداية برفض فرنسا لاحترام رعاياها الأفارقة، واقتنع فانون اقتناعاً قوياً بأن الظروف المرضية التي عرفها في الأفراد المختلفين كانت نتيجة مباشرة للظروف الاجتماعية التي سببها الاستعمار. وتناول كيف أن الظروف الاجتماعية والثقافية للشعوب المقهورة ـ التي تعيش في ظل هيمنة سياسية واقتصادية وثقافية تفرضها الإمبراطورية الفرنسية ـ أدت إلى خلق مشاعر بالنقص النفسي والشك في الذات. وكان فانون مناهضاً شرساً للاستيعاب الثقافي الذي اعتبره مدمراً لروح وسيكولوجية المستوعبين (الذين يتم استيعابهم)، وكان لديه الكثير ليقوله عن اللغة الفرنسية التي اعتبرها إحدى الآليات الثقافية الرئيسة المستخدمة في هيمنة المستعمر.

كان عمله الرئيس الأول **بشرة سوداء وأقنعة بيضاء** قائماً على تحليل وجودي وسيكولوجي واجتماعي ـ اقتصادي لآثار الاستعمار في شعب المارتينيك الأسود المستعمَر. وصف كيف أن التفاوت

الاجتماعي ـ الاقتصادي والعرقية قد أديا إلى علو نزعة الشعور بالدونية ورغبة هذا الشعب الأسود، بأغنيائه وفقرائه، في تبييض أنفسهم (اجتماعياً وتعليمياً). كما رصد كيف أن الشعب الأسود في المارتينيك تعلم أن يخجل من بشرته وكل ما كان يعتبر بربرية ووحشية وتخلفاً ثقافياً، وأن يرغب في ارتداء أقنعة بيضاء. ويورد فانون: إن «الزنجي، الذي ترسخ لديه أنه متخلف، ينتقل من عدم الأمن المذل، ومروراً بنبرة قوية باتهام الذات، ووصولاً إلى اليأس». ويقول فانون إن الصحة النفسية للإنسان الأسود لا يمكن أن توجد في ظل ثقافة عرقية. وركز في هذا التحليل على دور اللغة في الفكر الأسود السائد: كان تفشي اللغة الفرنسية متزامناً مع تشوه الأشكال الكريولية (Creole) (الشعوب المهجنة من السكان الأصليين في المستعمرات الأوروبية ومن المستعمرين الأوروبيين). وكانت اللغة الفرنسية آلية رئيسة يتم من خلالها ضخ الحضارة الأوروبية إلى وعي الشعوب المستعمرة، وهو ما يؤدي إلى نزع إنسانيتها. ورأى أن الشعب الأسود في المارتينيك مشارك في العملية الاستعمارية، في حين أنه يعاني آثارها (السلبية)، وكان يشعر أن الفلاحين فقط هم الذين يمكن أن يكونوا مصدر التحرر. وتناول الكتاب عن كثب قضايا العلاقات الجنسية بين الرجال السود والنساء البيض، متوصلاً من ذلك إلى أن الدافع الأساسي للرجال السود لملاحقة النساء البيض هو شعورهم بالدونية: «إنها (المرأة البيضاء) تبرهن بحبها إياي أنني أستحق حب البيض، لقد أحببت كأنني رجل أبيض... لقد تزوجت الثقافة البيضاء والجمال الأبيض والبياض الأبيض (White Whitneness).

ويمثل مؤلفه *The Wretched of the Earth* اكتمال لفلسفته الاجتماعية والسياسية، إذ قام فيه بصياغة نظرية التحرر المتجذرة في العمل العنيف القائم على تحليل التطورات السياسية في أنحاء العالم الثالث، وفي أفريقيا على وجه الخصوص. ونظراً إلى أن القمع في ظل الاستعمار قد تم بالقوة والعنف، فإنه يجب تحقيق التحرر من خلال استخدام العنف أيضاً. ويعتبر فانون أن العنف في دعم التحرر السياسي والثقافي هو قوة إيجابية، له صدى فاعل واستراتيجي، فمن وجهة نظر المقهورين:

«على مستوى الأفراد، فإن العنف هو قوة مطهرة، وهو يحرر المواطن (Native) (يطلق اللفظ على السكان الأصليين في المناطق التي يستعمرها الأوروبيون، وهو لفظ عنصري بحت) من شعوره بالدونية ومن يأسه وعجزه، ويجعله متحرراً من الخوف ويعيد له احترامه لذاته».

ويعيد هذا النمط من العنف تأكيد إنسانية المقهورين من خلال عملية تنفيس وتغيير سياسي. يؤدي تحرير العقل والفرار من الشعور بالدونية العقلية إلى التحرر السياسي للأمة. إن أفقر الناس، أو بعبارة أخرى بؤساء الأرض (وهم الفلاحون) ليس لديهم ما يخسرونه في هذا الصراع. ويقول النقاد إن أفكاره هذه كانت يوتوبية وغير واقعية، لأن قوة المستعمرين كانت كبيرة جداً، لا يمكن مقاومتها بهذه الطريقة، لكن فانون أكد أنه حتى لو فشلوا في جهودهم، فإنهم ـ الفلاحون ـ سيحققون تحرراً وخلاصاً عقلياً.

نشرت مجموعتان من دراسات فانون بعد وفاته، **الأولى** بعنوان **دراسات في موت الاستعمار**، وتعتبر رصداً لدوره ومشاركته في حرب الاستقلال الجزائرية، ودراسات تتناول سمات الهيمنة الفرنسية البيضاء في الجزائر ودور الطب في ظل الاستعمار. و**الثانية** بعنوان **نحو الثورة الأفريقية**، وتتكون من متفرقات مكتوبة خلال عمله في تونس مع حركة الاستقلال الجزائرية.

كان لكتابات فانون أثر رئيسي فيهم الثوريين، كما كانت مؤثرة للغاية في العديد من حركات مكافحة الاستعمار. واستلهم كتاباته الأفارقة الأمريكيون الذين نظموا أنفسهم في منظمة (Black Panthers) بالولايات المتحدة في الستينيات. ويتسم أسلوبه بأنه مباشر وأن الصور التي يثيرها نافذة، وأن لكتابته قوة وتأثيراً يغيبان عادة عن الكتابات الأكاديمية: «إنني لا أحمل قدراً من البراءة للدرجة التي تجعلني أوقن بأن التماس الغاية أو احترام الكرامة البشرية يمكن أن يغيّرا الحقيقة الواقعة»، وهذا هو سبب مطالبته بالعنف.

ولا تزال كتاباته تقرأ على نطاق واسع في أقسام الدراسات الثقافية والدراسات العرقية في أنحاء الولايات المتحدة. ويرى محللو ما بعد الاستعمار أن آراء فانون متصلة بفهم الطبيعة المستمرة للتبعية العرقية والثقافية في أفريقيا وآسيا بعد الاستقلال السياسي. وطور بعض المحللين، أمثال نجوجي وا ثيونجو (Ngugi Wa Thiong'o)، وإدوارد سعيد، وهومي بهابها (Home Bhabha) العديد من أفكاره خلال مناقشاتهم نظرية ما بعد الاستعمار.

إن تأثير فانون متنوع ومنتشر، فبالنسبة إلى علماء الاجتماع في الدول الغربية ـ الذين لديهم تصورات مسبقة حول التفاوتات الاقتصادية والسياسية ـ تذكرنا أعمال فانون بالدور الذي تؤديه الثقافة ـ أي الثقافة العرقية ـ في هذه العمليات، كما تذكرنا بنتائج التكوين السيكولوجي لجاليات الشعوب السوداء أو الآسيوية في بريطانيا والولايات المتحدة وبقية العالم. تزودنا قراءة فانون بوجهات نظر بخصوص الأهداف السيكولوجية لحركة، مثل حركة الأفرقة، والتشديد على اللغة السوداء في الصيغ الموسيقية السوداء، مثل هيب هوب وريجي (Reggae).

انظر أيضاً: إدوارد سعيد.

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists:* Karl Marx.

■ **أهم الأعمال:**

Black Skin, White Masks (1952). New York: Grove Press.

The Wretched of the Earth (1961). New York: Grove Press.

Toward the African Revolution (1964). New York: Grove Press.

Studies in a Dying Colonialism (1965). New York: Grove Press.

■ **قراءات إضافية:**

Irene L. Gendzier (1973). *Frantz Fanon: A Critical Study*. New York: Pantheon.

Fanon: A Critical Reader (1996). Edited, with an introduction and translations by Lewis R. Gordon, T. Denean Sharpley-Whiting and Renée T. White. Oxford: Blackwell. (Blackwell Critical Readers)

David Macey (2000). *Frantz Fanon: A Biography*. New York: Picador Press.

شولاميث فايرستون Shulamith Firestone

ولدت عام ١٩٤٥ بأوتاوا في كندا، وتعلمت في معهد شيكاغو للفن الذي حصلت منه على درجة الماجستير في الفنون الجميلة. وكانت شولاميث فايرستون إحدى مؤسسات حركة تحرير المرأة في الستينيات، وكانت عضواً في (New York Radical Women) و(The Redstockings)، وكتبت في مجلة *Notes* الراديكالية النسوية. نشرت عام ١٩٧٠ كتاب **جدل الجنس: حالة الثورة النسوية** الذي يعتبر أكثر المنشورات النسوية تأثيراً، ويقف على قدم المساواة مع مؤلفات كل من بيتي فريدان *The Feminine Mystique*، وكيت ميلليت *Sexual Politics*، وجرمين غرير *The Female Eunuch*.

كانت فايرستون إحدى أوليات المنظرات النسويات اللواتي تتضمن أعمالهن وجهات النظر الماركسية، وإحدى أوليات المحللات النفسيات اللواتي يربطن، في نقد مركب، أبنية التفاوت النوعي مع أبنية التطابق الاقتصادي والتدهور البيئي وسياسة المعرفة العلمية. وقامت فايرستون بصنع صلات قوية بين سياسة الاشتهاء الجنسي المغاير

المعياري (Normative Heterosexuality)، والنسوية الملزمة، ومأسسة التفاوت النوعي في أماكن العمل وغيرها، وهو الأسلوب الذي أصبح متبعاً في الكتابة النسوية في السبعينيات. وربطت فايرستون، بالمقابل، بين «المجتمع المتخم بالاستقطاب الجنسي (Sexual Polarity)» والعرقية، والتفاوت الطبقي (Class Inequality)، والإفراط في الاستهلاك، والتدهور الصناعي.

استهدفت فايرتسون، مثل بقية منظري النسوية السابقين واللاحقين، تحقيق «ثقافة الحب الرومانسي»، و«الجمال المثالي»، واعتبار أن (التفاوت على أساس) النسوية مصدر رئيسي لافتقاد النساء لتقدير الذات وتدني قيمة وضعهن في المجتمع، ورأت ـ تأثراً بكل من فردريك إنغلز وسيمون دي بوفوار ـ أن تجاوزات الرأسمالية الصناعية نتيجة حتمية لأبنية النوع، والزواج، والطفولة، والأسرة التقليدية التي ينظر إلى الأطفال فيها بوصفهم «يخصون» آباءهم، وأكدت أن «الرأسمالية تقوي الجوانب الأسوأ للأبوية (Patriarchalism)»، بينما تحافظ الأسرة البيولوجية (Biological Family) عليهما معاً.

وعلى النقيض من اقتناعها الدائم بأن سيادة التكنولوجيا الإنجابية سيقدم قوة تحرر كبيرة في المجتمع، فإن آراء فايرستون عكس ذلك من عدة نواح. وبالتأكيد، كان تناولها هنا يركز على النتائج «الثورية» للتكنولوجيا، وهو دقيق بدرجة كبيرة، في ما يخص أشكال التغير الاجتماعي التي رأت أنها ستكون مطولة. وفي المقابل، تركز مقولتها عن التكنولوجيا بصورة أكثر حدة على قدراتها التحولية

الجوهرية وعلى نزوعها نحو الفشل، في ما يشبه كثيراً عمل منظري المجتمع المعرض للخطر الذين أكدوا «جدليته» المحددة.

وهكذا، تؤكد مقولاتها أهمية الجزء الاجتماعي للتكنولوجيا، وما يستتبعه من قيود اجتماعية على نموه، وهو ما يناقض صورتها بوصفها مناصرة للتحديد التكنولوجي. وبالفعل، فإنه في عصر يمكن فيه وصف جهاز تكنولوجي جديد بأنه ثوري أكثر من اتفاق سلام أو حركة اجتماعية، تعتبر إسهامات فايرستون النظرية في دراسة التكنولوجيا ملائمة على وجه الخصوص.

وتعتبر فايرستون أن القدرة الثورية للتقدم التكنولوجي هي التي أرست صلة أساسية بين النسوية وعلم البيئة الراديكالي، في ضوء ـ من وجهة نظرها ـ أن توافر سيطرة تكنولوجية أكبر على الإنتاج والصحة الإنجابية سوف يصبح قضية بقاء الإنسان، لأن لا يمكن أن تتوافر حماية دائمة للبيولوجيا «بوصفها قضية أخلاقية»، ولذلك فهي ترى أنه:

«بلغة التكنولوجيا الحديثة، فإن أي حركة بيئية ثورية سيكون لها هدف الحركة النسوية نفسه، ألا وهو تحكم تكنولوجيا جديدة في الأغراض الإنسانية وإرساء توازن «إنساني» مُجدٍ بين الإنسان والبيئة الاصطناعية الجديدة التي كوّنها لتحل محل التوازن «الطبيعي» الذي تم تدميره».

وتتناول فايرستون ـ بهذه الطريقة ـ التكونولوجيا باعتبارها عاملاً ومنقذاً من التدهور الاجتماعي والبيئي. على أي حال، رأت

أنه لا يمكن للعلم والتكنولوجيا أن يحققا مثل هذه الغايات في غياب تغير اجتماعي راديكالي. وترى أنه لهذا السبب هناك ضرورة لتحقق ثورة نسوية شرطاً «لإرساء توازن بيئي جديد» من خلال تمثيل «بديل لعمليات قمع الأسرة البيولوجية»، الأمر الذي يمكّن من «إعادة تعريف كاملة للاقتصاد».

ونادت فايرستون ـ بهدف مواصلة تحقيق هذه الأهداف ـ بتطور اجتماعي تقدمي بعيداً عن الإحيائية (Biologism) المقيدة والأخلاقية التواقة إلى تقييد «طبيعية» (Naturalness) النوع، والأبوة والصحة الإنجابية. وهكذا، بينما ترى فايرستون بوضوح ـ مثلها مثل سيمون دي بوفوار ـ أن تجربة المرأة ولادة طفل تعتبر تجربة بربرية، فإنها كانت تمقت بشدة الظروف غير الإنسانية لعمال المصانع، وكانت تعتبرها ظروفاً مقننة في إطار المنطق الطبيعي للرأسمالية. ولهذا، فإنها رأت، بسبب هذه المساوئ وغيرها، أن الحلول التكنولوجية والسوسيولوجية والفلسفية التي تركز أساساً على التحكم في الإنتاج (Cybernation)، والصحة الإنتاجية (من خلال الوسائل الاصطناعية) هي حلول ضرورية.

وتشبه فكرة «الضبط الاشتراكي» (Cybernetic Socialism) أعمال جوديث باتلر الرافضة لفكرة التحول الطبيعي (Naturalization) للازدواجية النوعية، كما تشبه أيضاً دونا هاراواي في رفضها تيار النسوية البيئية الرافضة للتأصيل التكنولوجي في السبعينيات، وتتشارك الأعمال المؤثرة لهاراواي ـ التي تعمد إلى

المزج بين التفاؤل والتشاؤم التكنولوجي ـ مع فايرستون في آرائها بخصوص تأثير القصص النوعية (Gendered Narratives) في التطور التكنولوجي، وقدرة الابتكار التكنولوجي على تقوية التفاوت الاجتماعي والوجود الصارم لقدرته المقابلة على تغيير الأنماط الاجتماعية الراسخة.

وكما توقعت فايرستون، فإن تكنولوجيا الصحة الإنجابية وتكنولوجيا المعلومات أصبحتا مجالين مهمين لتناول هذه القضايا والنماذج الأخرى حول «الثورات التكنولوجية» التي قيدت قدراته الثورية من خلال القوى الاجتماعية أكثر من قيودها الذاتية الأخرى. وعلى العكس من السمة المتكررة لمقولة فايرستون المعولة كثيراً على اليقين بقدرة تكنولجيات الصحة الإنجابية الجديدة على تحرير النساء، فإن تقييمها لقدراتها ـ هذه التكنولوجيات ـ يجنح إلى أنها سوف تقوي من الاستقطاب النوعي، إذا لم يكن استخدامها مصحوباً بإعادة تعريف راديكالية للنوع، والأبوة، والأسرة. وكما حذرت عن تبصر، فإن «أي محاولة لاستخدام التكنولوجيا في «تحرير» أي شخص، ستكون عرضة للاشتباه في ظل مجتمعنا الحالي واتجاه العلماء الحاليين (وقلة منهم من النساء أو حتى من دعاة النسوية)».

ولا يحظى بالشهرة نفسها كتاب فايرستون الثاني *Airless Spaces* الذي نشر بعد ثلاثين عاماً من نشرها كتاب **جدل الجنس**، ويعتبر الكتاب الثاني توثيقاً ختامياً لكتاباتها الأولى حول الآثار السلبية للتفاوت الاجتماعي الذي توقعت بسببه حدوث ثورة محتملة

وفشلها المحتم في أغلب الأحوال. كما يعتبر هذا الكتاب بمثابة لقطات سينمائية لخبرات فايرستون حول المهمشين الذين عملت بينهم، وكانت تستقي نظراتها من أصدقائها ومعارفها ممن كانوا يحيون حياة مهمشة مثلها تماماً، وتعرضت لتعاطي المخدرات والانتحار والإحباط. وارتفعت نبرتها في تناول حياتها الخاصة، وحياة الآخرين أيضاً ممن يعيشون على الهامش، لكن بلغة تجنح إلى التحليل بطريقة وصفية، وبشكل ثوري تماماً.

ولا تزال إسهامات فايرستون كتابات نسوية ذات قيمة عالية عن النوع والتفاوت والأنماط البنائية للاستبعاد الاجتماعي، بدءاً من رصدها النظري القوي للنوع والتكنولوجيا والتغيير الاجتماعي في خضم فترة من الحركات الاجتماعية الثورية، إلى تصويرها الرائع للاستبعاد (الإقصاء) الاجتماعي، طوال ثلاثين عاماً في أواخر القرن العشرين.

انظر أيضاً: **سيمون دي بوفوار؛ جوديث باتلر؛ دونا هاراواي.**

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists*: Karl Marx.

■ **أهم الأعمال:**

The Dialectic of Sex: The Case for Feminist Revolution (1968). New York: Bantam.

Notes from the First Year (1968). New York: New York Radical Women.

Airless Spaces (1998). New York: Semiotext(e).

ميشيل فوكو Michel Foucault

أحد أهم المفكرين المؤثرين خلال القرن العشرين، كان لأعماله أثر كبير في مجالات مثل علم الجريمة، والدراسات الثقافية، والتاريخ، والفلسفة، والنظرية السياسية، والطب النفسي، وكذلك علم الاجتماع. وكانت دراسات فوكو، القائمة على تخصصات مختلفة، والمتضمنة قضايا مثل الجنون، والطب، والمعرفة، والعقاب، والمؤسسات، والجنسانية، قد أثرت بشدة في تناول علماء الاجتماع الحاليين لمثل هذه الموضوعات. وبالرغم من أن فوكو لم يكن عالم اجتماع، فإن أعماله تتناول بعض القضايا المحورية في علم الاجتماع. ويمكن أن يكون أفضل وصف له هو أنه مؤرخ النظم الفكرية، وهو اللقب الذي اختاره لنفسه، فهو الذي يوضح منهجه في التعامل مع الأفكار اعتماداً على التاريخ والفلسفة. وفي الوقت نفسه، يميز هذا الوصف بكل عناية أعماله حول الحدود النظامية المألوفة والتقاليد.

وتكمن في قلب تفكيره موضوعات رئيسة، قال لاحقاً إنها كانت مشتقة من هدف تكوين «تاريخ من الأنماط المختلفة التي تجعل من الناس ـ في ثقافتنا ـ رعايا». وبالارتباط مع هذه القضية توجد اهتمامات مشتركة بخصوص السلطة والمعرفة. وفي أعماله المبكرة، عمل فوكو على التوصل إلى فهم مفاده كيف أن العلوم الإنسانية والاجتماعية أصبحت ممكنة تاريخياً، بينما عمدت كتاباته الأخيرة إلى اعتبار القوة نظاماً استطرادياً من المعرفة التي تشكل الممارسات المؤسسية في أماكن محددة، مثل العشوائيات، والثكنات، والمصانع، والسجون، والمدارس. ويرى بعض الشارحين أن ما يميز فكر فوكو هو تباينه الواضح عن الماركسية، بينما يتحدى فهمه الذاتية النظريات التي تضع الكائنات البشرية في مركز التحليل. أثارت هذه الأفكار جدلاً كبيراً، لأنها تتعلق برفض مشروع سياسي يستلهم الانعتاق، وتحدد فلسفة ظاهراتية تميز الذات المستقلة.

ولد بول ميشيل فوكو عام ١٩٢٦ لأسرة ثرية في مدينة بواتييه الفرنسية، حيث تلقى تعليمه الأولي في المدارس الحكومية المحلية في باريس، استعداداً لدخول اختبارات الالتحاق بمدرسة نورمال العليا التي درس فيها الفلسفة وحصل منها على ليسانس الفلسفة عام ١٩٤٨. وبعد عام، حصل على ليسانس علم النفس، وبدأ حياته المهنية عالم نفس تحت التمرين في أحد المصحات النفسية بباريس، بينما كان يعمل في الوقت ذاته في سجن فرسن (Fresnes) في إجراء اختبارات دخول على المساجين. أصبح محاضراً في جامعة ليل في عام ١٩٥٢، ودفعته هذه الخبرة البحثية والتدريسية إلى نشر كتاب حول

المرض العقلي والشخصية، وأهّلته خبرته العملية إلى المحاضرة في العديد من الجامعات في الدول المختلفة طوال العقدين التاليين، بما فيها السويد، وبولندا، وتونس، وألمانيا. أكمل أطروحته للدكتوراه عن الجنون عام ١٩٦١ في جامعة هامبورغ، وهي الأطروحة التي رسخت سمعته عالماً، ومنحته لقب أستاذ في الفلسفة في جامعة كليرمونت ـ فيران عام ١٩٦٤. وانتخب عام ١٩٧٠ للالتحاق بمؤسسة فرنسا الأكاديمية الرئيسة، وهي كوليج دي فرانس التي ظل فيها حتى وفاته متأثراً بمرض الإيدز في عام ١٩٨٤.

كان المجال الفكري الذي طور فيه فوكو أفكاره تهيمن عليه أعمدة الماركسية وعلم الظاهرات، وفسر «كيف أن أبناء جيلي كان يشبون على هذين المعيارين من التحليل، أحدهما وفقاً للموضوع التأسيسي (المكوّن)، والآخر وفقاً للعوامل الاقتصادية والأيديولوجية ودور البنى الفوقية والبنى التحتية». واعتمد فوكو في اختلافه عن هذه الأفكار السائدة على أشكال التحليل البنيوية الناشئة التي تتوسع في أفكار اللغويات وتجعلها تشمل الظاهرة الثقافية والاجتماعية. وتتضمن الأمثلة على هذا الأسلوب البحثي الجديد تناول عالم الاجتماع كلود ليفي ـ شتراوس بنى علاقات القرابة، والنقد الأدبي لرولاند بارثز بالتطبيق على المناهج البنيوية في التعامل مع الثقافة الشعبية، وإعادة التفسير الراديكالية للماركسية التي قام بها الفيلسوف لويس ألتوسير من أجل تطوير نظرية «ضد النزعة الإنسانية» التي أثرت بعمق في فوكو.

وبالرغم من إنكاره المتواصل لوجود أي صلة بين أعماله والبنيوية، فإنه من الواضح أن أعمال فوكو المبكرة تحمل سمات البنيوية. ونتيجة ذلك، فإنه من المفيد تقسيم أعماله إلى مرحلتين متباينتين، **الأولى** ما يسميها «الأثريات (الأحفوريات)» وهي الأعمال التي لا تزال متأثرة بالتصور البنيوي المسبق عن اللغة، ولكنها تشمل فهماً موسعاً للموضوع. والمرحلة **الثانية** هي الكتابات اللاحقة التي تميزت بكونها انفصالاً عن هذه الدراسات المبكرة، وتأثرت بقوة بالفهم المتشكك للتاريخ الذي قدمه فردريك نيتشه، فيلسوف القرن التاسع عشر.

تتبعت أعمال فوكو المبكرة الأنماط الفكرية المتغيرة في ما يتصل بأنواع المعرفة المختلفة، وكانت دراسته الرئيسة المبكرة الأولى: **الجنون والحضارة** نسخة معدلة من أطروحته للدكتوراه، حيث تناول العلاقة بين الجنون والسببية، وقام بدراسة مسحية لردود الفعل المتغيرة تجاه الجنون وفقاً للطريقة التي يتغير فيها التفكير في العقلانية، بصورة حادة منذ فترة العصور الوسطى، ومروراً بالتنوير أو «عصر السببية»، ووصولاً إلى القرن التاسع عشر. وكانت تلك الدراسة أهم أعمال فوكو وأكثرها قيمة من الناحية التاريخية، لكن القضايا التي أثارها استمرت قائمة في معظم أعماله البحثية التالية. واشتمل عمله *The Birth of the Clinic* على تركيز تاريخي أضيق، وتناول الطبيعة المتغيرة للمعرفة الطبية في وقت مقارب للثورة الفرنسية، وحتى هذه النقطة كان التاريخ الطبي المتعارف عليه قد أكد أن الطب تحرر نهائياً من الخيال والخرافة، ليصل إلى الحقيقة الموضوعية حول الجسم

والمرض. على أي حال، فإن المقولة التي يقدمها فوكو هي أن ما يعتبر عادة ممارسات غريبة وخرافية محكوم أساساً بقوانين معرفية هيكلية. إن التطبيق الراديكالي لمثل هذه المقولة هو أن ما ننظر إليه باعتباره دعاوى حقيقية ذات معنى وصل إليها الطب الحديث هي أيضاً محكومة بهياكل وضعية مماثلة.

وتطورت هذه الموضوعات بصورة أكبر في عمل فوكو **ترتيب الأشياء**، ويفتتح هذا الكتاب بفقرة مسلية من «موسوعة صينية معينة»، جاء فيها:

«تنقسم الحيوانات إلى (أ) ما يخص الإمبراطورية، (ب) محنَّطة، (ج) مروَّضة، (د) خنازير ترضع، (هـ) سيرانات (حيوانات أسطورية ذات رؤوس متعددة)، (و) خرافية، (ز) كلاب شاردة، (ح) موجودة في التصنيف الحالي، (ط) حيوانات مسعورة، (ي) حيوانات لا تحصى، (ك) مرسومة بألوان جميلة جداً، (ل) حيوانات كسرت إبريق المياه للتو، (م) التي من بعيد تشبه الذباب».

ويفسر فوكو الأمر هنا بأنه «سحر غريب لنظام فكري آخر»، وأنه أيضاً «تحديد طريقة تفكيرنا، واستحالة أن نفكر بتلك الطريقة». وهكذا، لم يكن هدفه جعل الماضي عجيباً، وإنما جعل الحاضر غريباً. كان هدف فوكو الأكبر هو الوصول إلى القوانين البنائية للمعرفة التي تحكم فترات معينة: عصر النهضة، العصر الكلاسيكي والحداثة، فكل من هذه العصور محكوم بما يسميه «معرفة» مفردة، وهو البناء المفهومي الذي يوفر مجالات من التفكير في مثل هذه العهود المختلفة.

وبحلول وقت تأليف فوكو لكتابه **علم آثار المعرفة**، كان من الواضح أنه لم يكن راضياً عن البنيوية، وأنفق جزءاً غير يسير من كتابه محاولاً النأي بنفسه عنها. بدأ الكتاب رسالة حول المنهج «الآثاري» الذي كان بصدد تطويره في كتابه السابق، وكانت دعوته المميزة هي أن **هذه** المحاضرات يجب أن تعامل بوصفها نظماً مستقلة من المقولات، غير أنه سرعان ما قام بمراجعة هذه الرؤية وتأكيد أن هذه الأشكال الاستطرادية بعيدة تماماً عن أن تكون مستقلة، لكنها مقيدة بشدة بالسلطة والهيمنة. وهو ما يميز تحولاً رئيساً في تفكيره، وبدا عند تلك اللحظة كأن «علم الأنساب» (Genealogy) هو منهجه المميز في التقصي.

ويرجع التغيير في الاتجاه إلى عاملين رئيسين، **أولهما** استجابة فوكو للمحيط السياسي المتغير، إذ إن فشل انتفاضات أيار/مايو ١٩٦٨ في فرنسا في إنتاج تحولات اجتماعية دائمة، واكتشاف الجرائم الستالينية في الاتحاد السوفياتي، والصين، وكمبوديا، وأوروبا الشرقية، دفعت هذه الأحداث فوكو وكثيرين من المثقفين الفرنسيين إلى رؤية التاريخ أشكالاً متعاقبة من الهيمنة. أما العامل **الثاني**، فهو تفجر الحركات الاجتماعية المحورة حول الحركات النسوية والبيئية والحقوق المدنية للأقليات، وقد عانت كل من هذه الحركات أشكالاً مختلفة من القمع، لا يمكن تفسيرها وفق المادية التاريخية وجعل الاهتمام فيها منصباً على الاستغلال الطبقي. وأصبح فوكو نفسه عضواً ذا نشاط متزايد في مثل هذه الحركات الاجتماعية في السبعينيات، وشن حملات لصالح السجناء، والمهاجرين، وللمطالبة بحقوق الشاذين في العديد من المناسبات.

وتحول فوكو نحو أعمال الفيلسوف فردريك نيتشه، في جهده لفهم هذه الأشكال المختلفة من الهيمنة، وسجل هذا التحول في دراسته المميزة **نيتشه، وعلم الأنساب، والتاريخ** (نشرت أول مرة عام ١٩٧١)، وكان أحد المواضيع الرئيسة التي تناولها هي ملاحظة نيتشه حول «إرادة القوة» التي تنتقد فكرة التقدم وتؤكد أن الإنسانية تنتقل بطريقة حتمية من أحد أشكال الهيمنة إلى شكل آخر، كما عارضت فلسفة نيتشه أيضاً فكرة البحث عن الأصول أو الأسباب التي تقود التاريخ، وأكد، بدلاً من ذلك، أن التاريخ مكون من قوى متنافسة وحوادث و«انقطاع».

وتم استكشاف هذه الموضوعات في عمل فوكو الرئيس **النظام والعقاب** *(Discipline and Punish)* الذي يمكن أن يعتبر أعظم منجزاته، وهو أبعد ما يكون عن كونه كتاباً في تاريخ العقاب، بل هو رصد واسع النطاق لكيفية عمل السلطة في الحداثة، حيث أصبح منهج علم الأنساب مفروضاً بقوة في هذه النقطة. وهو يصر على أن الكتاب هو «تاريخ للحاضر»، وهو ما يمكن ملاحظته في الصفحات الافتتاحية، حيث يقارن مجموعة من عمليات التعذيب التي كانت تجري في منتصف القرن الثامن عشر عبر قائمة من العمليات المشابهة التي اكتسبت طابعاً مؤسسياً خلال الثمانين عاماً التالية، لتصبح معترفاً بها بالنسبة إلى القارئ الحديث باعتبارها شكلاً معترفاً به من أشكال العقاب. ويظهر لنا وضع الأشياء بجانب بعضها أهمية عدم الاستمرار (الانقطاع). وفي ما يعتبر حالياً تكتيكاً معتاداً، فإنه يستخدم غرابة الممارسات السابقة للتساؤل حول ما يفترض أنه عقلاني وشرعي في

الحاضر. وتعتبر مقولة فوكو الكلية أن اختفاء المشهد العام لعمليات التعذيب وإحلالها بالسجن، ليس علامة على التقدم والتنوير، بل هو علامة على تغيير تقنيات القوة التي تهدف إلى العقاب الأكثر عمقاً داخل الجسد الاجتماعي من خلال القصاص والمراقبة.

وأعاد فوكو النظر في تفكيره في القوة والمعرفة بصورة أكثر وضوحاً في الكتاب الأول من **تاريخ النزعة الجنسانية** (*The History of Sexuality*)، وفيه أكد خطأ رؤيتنا الشعبية الحديثة التي تتحدث عن أن الجنس شكل من أشكال التحرر، تماماً كما أن العصر الفيكتوري هو النقيض لما نفترض أنه كان يجب أن يكونه عند الحديث عن أن النزعة الجنسية كانت مقهورة فيه. وبدلاً من ذلك، أكد أن العصر الفيكتوري كان أحد العصور التي شهدت تطوراً في تخصصات مثل الطب والطب النفسي، والتي طورت من علاقاتها بالنزعة الجنسية. وعلاوة على ذلك، استمرت في النمو، منذ ذلك الحين، عملية إخضاع النزعة الجنسية للسيطرة من خلال التصنيف. وقبل مناقشة عمل فوكو الأخير، من المهم التوقف وتحديد بعض الموضوعات الرئيسة المرتبطة بنقد الماركسية وتفكيك مركزية التابع، الأمر الذي اعتبر حاسماً في تطور ما بعد البنيوية.

وهناك عدة أوجه، أدت إلى اعتبار أعمال فوكو تشكل تحدياً كبيراً للكتابات الماركسية عن القوة، والمفهومة بوصفها أداة هيمنة طبقية، تنشأ عن المصالح الاقتصادية. وأكد فوكو أن القوة تعمل في ظل أوضاع متنوعة، لا يمكن تحجيمها لتصبح في نطاق واحد، وتكمن

جميعها في مصطلح تفسيري واحد، مثل نمط الإنتاج. إضافة إلى ذلك، قام فوكو في كتابه **النظام والعقاب** بتفريغ مفهوم «الطبائع الدقيقة للقوة» (Microphysics of Power) التي تعمل في أجساد الأفراد. والمعنى الحاسم هنا هو أنه إذا أصبحت القوة محلية ومهشمة، فان أي جهد لتحويل علاقات القوة يجب أن تبذل جهداً لمخاطبة ممارسات الحياة اليومية. وهناك مظهر آخر في نقده موجه ضد الأيديولوجيا. وهذا المفهوم أساسي في الكتابات الماركسية عن القوة التي يشبهها «باقتصاديات الزيف» (Economics of Untruth) بوصفها نقيضاً لاستغراقه الخاص في «سياسة الحقيقة» (Politics of Truth).

تستخدم عبارة «تفكيك محورية التابع» لنقد النزعة الإنسانية (Humanism) (التي ترى وجوب أن يقع الوعي الإنساني في مركز التحليل الاجتماعي) من خلال تناول الطريقة التي يقوم من خلالها الفرد بتكوين معنى في العالم، وكان الهدف الرئيس من وراء ذلك نظرية الوجودية لجان بول سارتر. وهي التي كانت مؤثرة تماماً في النزعة الإنسانية اليسارية، وكانت تؤكد حرية الفرد في مقاومة أشكال القهر. وبالنسبة إلى فوكو والبنيويين، أمثال ألتوسير، كان ذلك خطأ، وأكدوا أن التابع ليس حراً، لكنه محاط من جميع الجوانب بالمحددات الاجتماعية. وبالفعل، أكد فوكو أن الفكرة المهمة عن الفرد هي البناء الاجتماعي، وهي الفكرة التي ظهرت من خلال المراحل التي تناولت وضع الأفراد في مجال علاقات القوة. وهناك خطأ آخر، وهو رؤية الوعي الفردي مركزاً للمعنى. ورأى فوكو أن ذلك يتجاهل كيف أن المعنى موزع من خلال مراحل. كما رفض

أيضاً فكرة تماسك ووحدة التابع، ليس فقط لأن ذلك مبالغة في درجة التحكم التي تكون لدينا على مصائرنا، لكن لأنها تفترض على سبيل الخطأ أن الكائنات البشرية غير متأثرة بالمشاعر المتناقضة والمتداخلة والتي لا تكون لديهم سيطرة عليها إلا بقدر يسير.

وكما كان متوقعاً، أثارت هذه المقولات جدلاً شديداً. رد النقاد الماركسيون بالإشارة إلى كيفية تجاهل فوكو التام للبنيات الكلية للقوة (Macro-Physics of Power). وقام فوكو بالرد على ذلك ـ جزئياً ـ بتعريف نوع آخر من القوة، وصل إلى المقدمة في العصر الحديث، ألا وهو «القوة الحيوية» (Bio-Power) التي تركز على الأجساد، وتستهدف جميع السكان بدلاً من أفراد بعينهم. وكان هذا الاهتمام بإدارة السكان هو ما أدى إلى عمل فوكو التالي حول الحكومية (Governmentality) التي عرفت ببساطة على أنها «ضبط السلوك» (The Conduct of Conduct)، وهو النشاط الذي يهدف إلى تشكيل أو توجيه أو التأثير في سلوك الفرد أو السكان، وكانت هذه الكتابة الأخيرة مهمة، لأنها تقترب نوعاً من تعريف أهمية التمثيل البشرية (Human Agency). وتدعم مقولته بأن القوة تروض وتقمع وتختزل الأفراد ليصبحوا مجرد «جثث سهلة الانقياد»، من خلال تأكيد وجود تابعين ناشطين في عمليات حكمهم السلوك. وقدم فوكو في الكتابة الختامية عن النزعة الجنسية «تكنولوجيات الذات» التي يمكن للأفراد الذين سيتورطون في برنامج «التبعية» (Subjectification) تبنيها، أو أولئك الذين يختلفون مع الممارسات الحكومية من خلال «سلوكيات مضادة».

وواصل المؤرخون العثور على أخطاء في أفكار فوكو، ولم يقتصر الأمر على منهجه ككل، ولكن تضمن ما يشير إليه جون بريثويت بالأخطاء التاريخية «المروعة» (Appalling). وانتقد إدوارد سعيد المركزية الأوروبية عند فوكو التي لا تقر «بواقع أن التاريخ ليس إقليماً فرنسياً متجانساً»، بينما تصمت (المركزية الأوروبية) إزاء «كيفية استخدام النظام إدارة ودراسة وإعادة بناء ـ من خلال الاحتلال والحكم والاستغلال آنذاك ـ معظم العالم غير الأوروبي». كما كان لتفكير فوكو تأثير ملموس في الحركة النسوية، إذ وجدت كل من جوديث باتلر ودوروثي سميث فائدة في مفاهيمه لتحدي التمييزات بين الجنس والجندر. وأكد آخرون كيفية فشل فوكو في استكشاف السمة الجندرية للنظام. وتأخذ يورغن هابرماس على فوكو تفضيله الوصف المبسط على التحليل المعياري. ويتضح أن هذه الانتقادات ذات أوجه متعددة، لكن لا يبدو أن فوكو كان منعزلاً في مكانه، في هيكل الفكر الحديث، عن هذه الاعتراضات.

انظر أيضاً: **لويس ألتوسير؛ رولاند بارثز؛ جوديث باتلر؛ جيل ديلوز؛ كلود ليفي ـ شتراوس؛ إدوارد سعيد.**

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists*:
Emile Durkheim, Karl Marx, Max Weber.

■ **أهم الأعمال:**

Madness and Civilization: A History of Insanity in the Age of Reason (1961). London: Roudedge.

The Birth of the Clinic: An Archaeology of Medical Perception (1975). Translated from the French by A.M. Sheridan Smith. New York: Vintage Books.

«Nietzsche, Genealogy, History.» (1977). in: *Language, Counter-memory, Practice: Selected Essays and Interviews*. Edited by D. F. Bouchard. Ithaca, NY: Cornell University Press.

Power/Knowledge: Selected Interviews and Other Writings, 1972-1977. (1980). Edited by Colin Gordon; translated by Colin Gordon [et al.]. New York: Pantheon Books.

«The Subject and Power.» (1982). in: Hubert Dreyfias and Paul Rabinow (eds.). *Michel Foucault: Beyond Structuralism and Hermeneutics*. Chicago, IL: University of Chicago Press.

Paul Rabinow (ed.) (1984). *The Foucault Reader*. London: Penguin.

The History of Sexuality (1990). London: Penguin. 3 Vols.

Vol. 1: *An Introduction*.
Vol. 2: *The Use of Pleasure*.
Vol. 3: *The Care of the Self*.

Discipline and Punish: The Birth of the Prison (1991). London: Penguin.

«Governmentality.» (1991). in: Graham Burchell, Cohn Gordon and Peter Miller (eds.) *The Foucault Effect: Studies in Governmentality*. London: Harvester Wheatsheaf.

The Order of Things: An Archaeology of the Human Sciences (1994). New York: Vintage Books.

The Archaeology of Knowledge (2000). Translated by A.M. Sheridan Smith. London; New York: Routledge. (Routledge Classics)

Society Must Be Defended (2003). Harmondsworth: Penguin.

■ قراءات إضافية:

Hubert L. Dreyfus and Paul Rabinow (1983). *Michel Foucault: Beyond Structuralism and Hermeneutics*. Chicago, IL: University of Chicago Press.

Barry Smart (1985). *Michel Foucault*. London: Routledge. Revised ed. (2002).

Gordon Burchell, Cohn Gordon and Peter Miller (eds.) (1991). *The Foucault Effect: Studies in Governmentality*. Hemel Hempstead: Harvester Wheatsheaf

Dither Eribon (1992). *Michel Foucault*. London: Faber and Faber.

مانويل كاستلز Manuel Castells

ولد مانويل كاستلز في أسبانيا عام ١٩٤٢، وتعلم في كتالونيا، لكن دراسته الاقتصاد والقانون في جامعة برشلونة توقفت عندما اضطر إلى الفرار من أسبانيا لأسباب سياسية، عندما كان عمره عشرين عاماً. وكان ذلك في عهد دكتاتورية فرانكو (١٩٣٦ـ ١٩٧٥)، إذ كان كاستلز يسارياً نشيطاً. وذهب إلى المنفى في فرنسا، وحصل على الدكتوراه في جامعة باريس عام ١٩٦٧. كان يدرس في الجامعة عندما حدث تمرد الطلاب عام ١٩٦٨ (أحداث أيار/مايو ١٩٦٨ الطلابية)، وكانت مشاركته في تلك الأحداث ستؤدي إلى طرده من فرنسا، لكن الجهود الحثيثة للمشرف على رسالته ألين تورين مكنته من البقاء.

قضى كاستلز العام الدراسي ١٩٦٩ـ ١٩٧٠ بكندا في جامعة مونتريال، لكنه عاد إلى باريس لمواصلة عمله حول علم الاجتماع الحضري، ونشر أول كتاب رئيس له بعنوان: **المسألة الحضرية** عام

١٩٧٢. وكان لهذا التحليل الماركسي أثر متنوع، وبخاصة في مجال الحضرية (Urbanism). عمل في مدرسة الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية في باريس في الفترة بين عامي ١٩٧٠ و١٩٧٩، ثم انتقل إلى جامعة كاليفورنيا في بيركلي أستاذاً للتخطيط المدني والإقليمي، وأستاذاً لعلم الاجتماع. ومع عودة الديمقراطية إلى أسبانيا، زاد كاستلز من اتصالاته ببلاده، وتولى منذ أواخر الثمانينيات مناصب في جامعة أوتونوما بمدريد (Autonoma de Madrid) والجامعة المفتوحة في كتالونيا. وفي نهاية العام ٢٠٠٣ ترك بيركلي وتولى كرسي ويليس أنينبرغ لتكنولوجيا ومجتمع الاتصالات في جامعة جنوبي كاليفورنيا، ويقسم وقته حالياً بين لوس أنجلس وبرشلونة. وهو متزوج بعالمة الاجتماع الروسية إما كيسليوفا.

وكاستلز معروف جيداً، باعتباره أحد أشهر المتخصصين في الدراسات الحضرية على مستوى العالم، إذ مكنته كتبه ـ ولا سيما *The Urban Question*، و*The City and the Grassroots*، و*The Informational City* (بالاشتراك مع بيتر هال)، و*Technopoles of the World* ـ من احتلال مكانة مهمة في هذا المجال. غير أنه في الفترة ما بين عامي ١٩٩٦ و١٩٩٨ نشر ثلاثية، **عصر المعلومات**، الذي تجاوز الاهتمام بالمدن، وقدم رصداً شاملاً وموسوعياً لحال العالم اليوم. واستقبلت هذه الكتابات بحفاوة واسعة النطاق، فأصبح كاستلز يقارن بماكس فيبر وكارل ماركس. وتمت ترجمتها إلى أكثر من عشرين لغة، وساعدت على جعل كاستلز أحد أكثر المحللين الاجتماعيين المعاصرين شهرة.

وبالرغم من مولده في أسرة تعتنق أفكار فرانكو (A Francoist Family)، إلا أنه انتهج أفكار اليسار في السياسة، كما تميز عمله بالجودة التي يمكن العثور عليها في أعمال رالف دارندورف ودانيال بيل وس. رايت ميلز. ولا يصبغ ذلك أعماله الفكرية، لكنه يحركها. وكرس نفسه مؤخراً بوصفه مستشاراً خبيراً بمنأى عن الشؤون السياسية، لكن لا يزال الاهتمام بالعدالة الاجتماعية يدفع أعماله الفكرية ويحركها.

كان كاستلز في بداية حياته العمية متأثراً بالماركسية، وبخاصة بنسختها البنيوية التي سكها لويس ألتوسير، وظل الأسلوب البنيوي مع كاستلز، فواصل تأكيد أهمية الاقتصاد والإنتاج بالرغم من أنه كان يولي اهتماماً كبيراً للثقافة والسياسة. وتحول بعيداً عن اهتمامه ـ الذي كان يسيطر عليه في فترة شبابه ـ بالطبقة محوراً للتحليل الاجتماعي، مؤكداً ـ منذ منتصف الثمانينيات ـ أهمية الحركات والمجموعات الاجتماعية، مثل نشطاء الشواذ والبيئيين والنسويين باعتبارهم عوامل مهمة للتغيير، لهذا يمكن أن يعتبر مفكراً «لما بعد الماركسية».

يصف كاستلز نفسه بأنه عالم اجتماع تجريبي، ويعتبر من أهم ملامح أسلوب كتابته الولع بالتفاصيل والشواهد. وهذا يعني أنه يعطي الشواهد أولوية على النظرية، وهو دارس ذو خبرة جيدة في التنظير، لكنه يدعو إلى «نظرية قابلة للتطبيق» (Disposable Theory) لتأكيد نفوره من التنظير الموجز الذي يدخل العلوم الاجتماعية بصورة متكررة، كما تتناول أعماله اختصاصات علمية مختلفة. وعلى

الرغم من كونه عالم اجتماع، غير أنه مزود بمعرفة واسعة لعدد كبير من أدبيات المجالات الأخرى التي لا يتردد في استخدامها.

وبلا شك، إن كاستلز مشهور أكثر بعمله *The Information Age* (١٩٩٦ ـ ١٩٩٨)، وهو دراسة تجريبية تقع في ١٥٠٠ صفحة موزعة على ثلاث كتابات، وتقدم رصداً شاملاً لحال العالم، ويمكن اعتبارها تدريباً في «السرد الكبير» (Grand Narrative)، وتحليل مكبر لكيفية عيش حياتنا اليوم، وموضوعها هو العلاقات بين تكامل العالم في شبكات، بموازاة التفكك والانقسام، وتركز على قضايا البناء (عمل المنظمة والاقتصاد). ويركز الكتاب **الثاني** على الثقافة (الهويات، والحركات الاجتماعية، ووسائل الإعلام)، أما الكتاب **الثالث**، فيركز على القضايا الاجتماعية الكلية، مثل سلاسل الجرائم العالمية، والاتحاد الأوروبي والشرق الأقصى.

وتؤكد المقولة الرئيسة للكتاب أن عملية إعادة البناء ـ التي دفعتها الأزمات الاقتصادية في السبعينيات ـ تزامنت مع التطور في «النمط المعلوماتي للتطور»، وبخاصة نمو تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات (ICT) لإنتاج مجتمع جديد. وبينما يشير كاستلز إلى «الرأسمالية المعلوماتية» و«عصر المعلومات»، فإنه لا يستريح لمقولة أن المعلومات هي فقط التي تميز العصر الحالي. والأكثر أهمية هو قدرة الشبكات حالياً على شمول الأنشطة الإنسانية. إن «تدفق المعلومات» يؤدي إلى تحيز كاستلز لمصطلح «مجتمع الشبكة»، ميسراً ـ غير محدداً ـ بـ «تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات (ICT)».

لقد نمت الشبكات بالتزامن مع عملية العولمة المقصودة، بالطريقة التي تسمح حالياً بالعمل في الوقت الحقيقي (على سبيل المثال في اتخاذ القرار المؤسسي وفي التغطية الإعلامية للرياضة، وفي الحملات السياسية، وفي المناقشات عبر البريد الإلكتروني). وهذا يسرع التوجه نحو التغيير، وحدود المنافسة ومرونة التنظيم. وهو الأمر الذي يحفز «شبكة الشركات» التي تحولت إلى سلطة للمبدعين والخبراء الذين يسيّرون المشروعات، مدفوعين بقدر ضئيل من الضغوط البيروقراطية، وبقدر أكبر من التقدير العميق الموظف في العلاقات الأفقية. كما تقلل الشبكات من قدرة الدولة القومية على السيطرة على الأمور، بينما تدفعها ـ في الوقت ذاته ـ إلى الالتزام بالتحرك في الوقت المناسب وبالطرق المناسبة (على سبيل المثال، فإن الدول التي لا تقر القانون معياراً للحكم، تعاني عندما تتجاوزها شبكات رأس المال).

يحدد كاستلز التغيرات الرئيسة الناشئة عن التقسيم الى طبقات، فقد انخفض عدد العمال اليدويين الذكور بحدة، وحل محلهم العمال غير اليدويين، وهم عادة من النساء، وبالتالي تدهور دورهم في السياسة الراديكالية. يوسع مصطلح «العمالة المعلوماتية» (عمل من أدخلوا في الشبكات، وهم يحظون بقدر من التعليم والقدرات ويعاد تدريبهم دائماً، ويوجدون في صلب الإبداع) ويحتل مكانة مركزية في المجالات كلها، بدءاً من الترفيه وحتى التحريض. كما هدد التخطيط وإعادة التنظيم التكنولوجي مصطلح

«العمالة العامة» (الذي حل محله مصطلح الطبقة العاملة) باستمرار، وتم إحلال هذه العمالة أو إعادة توظيفها. وأخيراً، هناك غير المهرة على حواف المجتمع الشبكي يحيون عمالة رخيصة في المناطق المتاخمة في معازل صغيرة أو يتم تجاهلهم تماماً في أجزاء من أفريقيا مثل السودان وتشاد.

ويتزايد شكل عالمية تدفقات المعلومات، لكنها في أماكن محددة، وتتحرك فيها، ولمثل هذه المدن المعلوماتية ملامح مميزة من الثقافة، والصورة، والإشباع، والتعليم، والتكنولوجيا، وهي الملامح التي تناولها كاستلز، ولا سيما في مفهوميه «أرخبيل الابتكار»، و«الثنائية القطبية». ويرى أن السياسات العامة والعمل السياسي العام ستكون أموراً حيوية بالنسبة إلى نوعية الحياة في الحضر، وستحث الناس على «التصرف عالمياً والتفكير محلياً».

هناك أصداء لأفكار مارشال ماك لوهان، تتعلق بالاستيراد الثقافي لتكنولوجيات وسائل الإعلام الجديدة، ويرى كاستلز أن الدخول إلى الشبكة هو شرط مسبق للمشاركة في عالم اليوم، ويعرضك عدم وجودك في الشبكة لخطر الاستبعاد. ويتضح ما سبق بصورة خاصة في كتاباته عن الحركات الاجتماعية والسياسية، وتقدم بوصفها ظاهرة متزايدة عالمياً، ومن خلال وسائل إعلام معقدة، وبقيادة عمالة معلوماتية مثل جماعات التيار النسوي أو حقوق الإنسان.

إن مؤلف ثلاثية **عصر المعلومات** له حق قوي ليكون أهم دراسة سوسيولوجية عبر جيل كامل. إن طاقته ومداه، وتركيزه على تفصيل

التماسك النظري والمشترك، ومادته ووثاقة صلته العملية، كلها أمور تفسر تأثيره الهائل والتصويت الانتقادي ضده.

أنظر أيضاً: لويس ألتوسير.

■ **أهم الأعمال:**

The Urban Question: A Marxist Approach (1977). Translated [from the French] by Alan Sheridan. London: Edward Arnold. (Social Structure and Social Change; 1)

The City and the Grassroots. A Cross-Cultural Theory of Urban Social Movements (1983). Berkeley, CA: University of California Press. (California Series in Urban Development; 2)

The Informational City: Information Technology, Economic Restructuring and the Urban-Regional Process (1989). Oxford: Blackwell Publishers.

Technopoles of the World: The Making of Twenty-first-century Industrial Complexes. (1994). With Peter Hall. London; New York: Routledge.

The Rise of the Network Society (1996). Oxford: Blackwell. (Information Age; v. 1)

The Power of Identity (1997). Oxford: Blackwell. (Information Age; v. 2)

End of Millennium (1998). Oxford: Blackwell. (Information Age; v. 3)

The Internet Galaxy: Reflections on the Internet, Business, and Society (2001). Oxford; New York: Oxford University Press.

■ **قراءات إضافية:**

Frank Webster and Basil Dimitriou (eds.) (2004). *Manuel Castells.* London: Sage. 3 vols. (Sage Masters of Modern Social Thought)

ميلاني كلاين Melanie Klein

ميلاني كلاين هي شخصية رئيسة في مجال التحليل النفسي، كما تعتبر أحد أهم المؤثرين من مفكري «ما بعد الفرويدية»، وتشتهر باهتمامها بفرع محدد في علم النفس، يسمى العلاقات الشيئية (Object Relations) الذي يركز على العلاقات المكونة بين الصور والأفكار والمشاعر في العقل والناس أو الأشياء في العالم الخارجي. كما كانت كلاين أيضاً رائدة في منهج التحليل النفسي للأطفال، المسمى بتكنيك اللعب، والذي لا يزال مستخدماً حتى الوقت الراهن. ولدت كلاين في فيينا عام ١٨٨٢، وتدربت في بودابست، ثم انتقلت إلى لندن، حيث ظلت فيها حتى وفاتها عام ١٩٦٠.

لم يكن بمقدور كلاين، وهي تكتب في منتصف القرن العشرين، إلا أن تتأثر كثيراً بأعمال سيغموند فرويد، لكن نظرياتها كانت تختلف عن نظرياته من عدة وجوه، **أولها**، أنه بينما كان فرويد قد قدم نموذجاً طبوغرافياً للنفس على أنها تنقسم إلى اللاشعور (Id)، والأنا (Ego)،

والأنا الأعلى (Superego)، غير أن كلاين رأت أن سر التحليل النفسي يكمن في فهم الذات. وبالفعل، يشار إلى أسلوبها البحثي، في الأغلب، بوصفه «علم نفس الذات». **ثانيها**، رفضت كلاين افتراض فرويد أن الجانب اللاواعي من العقل غير متاح أمام المحلل النفسي، ورأت أن اللاوعي يتكون من غرائز ومشاعر مرتبطة بها، يتم التعبير عنها في أشكال من السلوك الإنساني. **ثالثها**، أنه بينما كان فرويد يوقن بأن الطفل قد تقدم عبر مراحل متتالية من التطور «النفسي ـ الجنسي»، فإن كلاين أشارت إلى وضعين متكررين، يظل الناس يتبنونهما طوال حياتهم، وقالت إنه يمكن فهم الأطفال والبالغين بالطريقة نفسها، لأن جذور تطور الذات تكمن في طفولتهم المبكرة.

كانت المقولة الأخيرة هي التي دفعت كلاين إلى تطوير تكنيك جديد من الطب النفسي، يقوم على اللعب. فإذا كان الأطفال والبالغين مدفوعين بالصراعات غير الواعية نفسها ـ كما تعتقد كلاين ـ فإنه يمكن لكلاهما الاستفادة من التحليل النفسي. على أي حال، أقرت كلاين بأن الأطفال الأصغر سناً ومن لديهم خلل ما قد يجدون صعوبة في التعبير اللفظي عن أنفسهم، لذا فإنها نصحت بوسيلة بديلة، يمكن للمرضى من خلالها توصيل أفكارهم ومشاعرهم. وكانت كلاين تقدم للأطفال في حجرة الاستشارة العيادية ألعاباً ومواد عامة مثل الدمى، ونماذج السيارات، وأقلام الرصاص، وأوراق، وفرش ألوان، وكانت تشجعهم على القيام بما يرغبون به، وتجلس وتشاهدهم وهم يلعبون، وتسأل أسئلة عابرة للتوصل لأي نوع من المعاني الرمزية يضعه الطفل

على هذه الأشياء. وترى كلاين أن اللعب له محتوى كامناً، يكشف عن مشاعر الطفل غير الواعية. على سبيل المثال، فإن فتاة صغيرة اسمها «ترود» (Trude) قد لعبت متظاهرة أنها تهاجم محللتها، وتبحث عن شخصيات من الدمى داخل معدتها، ورأت كلاين أن ذلك يرمز لغيرتها من طفل شقيق، يتطلب اهتماماً من أمها.

تناول الكثير من أعمال كلاين الطرق التي يكتسب بها الأطفال خبرة، ويربطونها ببيئتهم الاجتماعية، ورأت أن الناس يولدون بمجموعة من الدوافع (Drives) أو الغرائز التي تشكل تصورهم للناس والأشياء الأخرى. وترتبط الطبيعة البشرية على وجه الخصوص بالصراع بين غريزتي الحياة والموت، أو الخير والشر، وما يرتبط بها من مشاعر، مثل: الحب، الكره، الإدانة، القلق،... إلخ، وترى كلاين أن الأطفال يتعلمون التوفيق بين هذه الدوافع المتعارضة في العالم الداخلي من خلال تفاعلاتهم مع العالم الخارجي، إن عملية الرضاعة على قدر كبير من الأهمية في هذا الصدد لأنها تعطي الأطفال أول صلة لهم بشيء خارجي يمكن أن يشبعهم ويحبطهم، وتمثل الطريقة التي يتم بها حل هذا التعارض أسلوب الشخص في العلاقات المستقبلية.

ويوجد ما يعرف بالصورة الذهنية (خيال) (Phantasy)، في قلب هذه العملية من ربط العالم الداخلي للشخص بالعالم الخارجي، وترى كلاين أن الأطفال يكونون عالماً داخلياً من الصورة الذهنية مكوناً من صور وتجسيدات للأشياء في العالم الحقيقي، للمساعدة في ربطها بهم. ويتم استعراض التعارضات الشعورية غير الواعية أولاً في

الصورة الذهنية للأشياء في العالم الداخلي، ثم يتم إسقاطها على أشخاص حقيقيين في العالم الخارجي. إن اللُعب مهمة في هذا الصدد، لأنها ترمز أيضاً لأشياء حقيقية، ومن خلال العلاج باللعب قد يكشف الأطفال عن صورهم الذهنية غير الواعية من خلال الطريقة التي يعاملون بها لعبهم.

كما يتم التعبير عن هذه الصراعات العاطفية في آخر العمر أيضاً، وترى كلاين ـ على سبيل المثال ـ أن مشاعر الحسد (Envy) تمثل تجسيداً يومياً لغريزة الموت، وعلى العكس من الغيرة، التي تتعلق بأن تريد شيئاً تحبه، فإن الحسد يرتبط بالغضب والمرارة لأن الشيء الذي ترغبه يمضي بعيداً عنك. وهناك أيضاً شعور «بالترفع الكاذب» (Sour grapes) (شيء يتظاهر المرء بعدم رغبته في الحصول عليه لعدم قدرته على تحصيله) الذي نخبر به أنفسنا بأننا لا نريد ما لا يمكننا الحصول عليه: إن هذا الفستان الغالي «ليس جميلاً بما فيه الكفاية».

ورأت كلاين أن عملية تطور الذات ترتبط بموضعين، يظهران أولاً في الطفولة، لكنهما يتكرران طوال حياة الإنسان. ويخاف الطفل من نتيجة حركاته المخربة في حالة الفصام ـ البارانويي (Paranoid-Schizoid)، ثم يرفض معرفة هذه المشاعر كما هي. ويرتبط ذلك بأساليب دفاعية «لفصل تجارب المرء الجيدة والسيئة»، و«إسقاط الأخيرة على الأشياء في العالم الخارجي». فعلى سبيل المثال، قد يوقن الرضيع بأن أمه «الجيدة» شيء منفصل عن الثدي «السيّئ» الذي يرفض تغذيته.

على أي حال فإن الطفل في وضع الاكتئاب يمكن أن يعرف أن حب الشيء نفسه يمكن أن يكون جيداً أو سيئاً، ومن ثم يتعلم تحقيق تكامل لهذه الخبرات في الذات. ويبدأ في التسامح عندما لا يتم إشباع الحاجات، ويمكن توليد صورة داخلية للأم في غياب مقابلها «الحقيقي». وتلك هي النقطة التي يخشى الأطفال عندها من أن الأحداث التي يرغبونها في تصوراتهم الذهنية، قد تؤثر في الأشياء في العالم الحقيقي: على سبيل المثال، فإن الغيظ من الجانب «السيئ» لأحد الأبوين قد يدمر أيضاً الأجزاء «الطيبة» لهذا الشخص. ورأت كلاين أن ذلك يؤدي إلى تكوين مشاعر بالإدانة والقلق، وتكون النتيجة محاولة إصلاح أي ضرر. ويساعد هذا الوضع أيضاً في الحياة المتأخرة في عملية الدفن، لأن الشيء المفقود يمكن أن يستمر مع الذات من خلال الذكريات والصور الداخلية. ومع هذا، يمكن أن يؤدي تبني مثل هذا الموقف إلى مشاعر السخط، لأن الناس تكتشف أنه «لا يوجد أحد مثالي» وأن «السعادة لا تستمر أبداً». وترى كلاين أن تعلم كيفية الحياة مع مشاعر متناقضة من الحب والكره، والامتنان والحسد، والغضب والذنب تعتبر جزءاً متكاملاً من النمو البشري، كما أن العقل السليم هو العقل الذي يمكنه تحقيق تكامل لجميع هذه العناصر.

كما تعرضت أيضاً نظريات كلاين للنقد بطبيعة الحال، فترى نيفيل سيمنتون أن كلاين قد أشارت إلى «أشياء» عامة في العالم، من دون أن تأخذ في الاعتبار الطبيعة المحددة لهذه الأشياء، وعلى سبيل المثال، فإنها لم تأخذ في اعتبارها شعور الأمهات تجاه أطفالهن الذين يغذونهن، وكيف يؤثر ذلك في التفاعل بينهم، كما انتقدت كلاين أيضاً، لأنها

تحدد الأمهات على أنهن الراعيات الرئيسات للأطفال (بالرغم من أن هذه هي طبيعة الحال في عصر كتابتها)، وتجاهلت دور الآباء ونماذج أخرى لهذا الدور. ومع هذا، نجحت أعمالها في تطوير أعمال فرويد بصور مميزة، من خلال التركيز على تطور الذات أكثر من النزعة الجنسية الطفولية، ومن خلال تحديد أوجه الشبه بين العالمين الشعوريين للبالغين والأطفال، ومن خلال ريادتها في تكنيك العلاج باللعب. وكان لكلاين نفوذ كبير في كتّاب القرن العشرين مثل جوليت ميتشل، وحنا سيغال، وإيان كريب، ولا تزال أفكارها مقروءة حتى اليوم.

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists*: Sigmund Freud.

■ أهم الأعمال:

أعمال كلاين خلال فترة العشرينيات جمعت في: *The Collected Works of Melanie Klein* (1975). London: Hogarth Press and Institute of Psychoanalysis.

- Vol. I: *Love, Guilt and Reparation, and Other Works.*
- Vol. II: *The Psycho-Analysis of Children.*
- Vol. III: *Envy and Gratitude, and Other Works.*
- Vol. IV: *Narrative of a Child Analysis.*

بعض الاقتباسات من أعمالها موجودة في: Juliet Mitchell (ed.) (1986). *The Selected Melanie Klein*. London: Penguin.

■ قراءات إضافية:

Neville Symington (1986). *The Analytic Experience: Lectures from the Tavistock*. London: Free Association Books.

Hanna Segal (1992). *Melanie Klein*. London: Sage.

Ian Craib (1994). *The Importance of Disappointment*. London; New York: Routledge.

فيولا كلين Viola Klein

تعتبر فيولا كلين رائدة في علم اجتماع النساء، وكانت من اللاجئين الفارين من أوروبا، بسبب سيطرة النازية، والذين أسهموا في تطوير علم الاجتماع البريطاني في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية. ويكمن إسهامها في عملها التنظيري الأصيل حول البناء الاجتماعي للمعرفة العلمية الموجزة حول النساء، وإسهامها بوصفها باحثة اجتماعية في تطوير معرفة تجريبية أفضل عن الوضع المتغير للنساء في المجتمع وفي سوق العمل.

ولدت فيولا كلين في فيينا عام ١٩٠٨ لعائلة يهودية تقدمية، تقدر قيمة التعليم والاستقلال الفكري لدى النساء. واضطرها الاضطراب السياسي إلى الانتقال مع أسرتها إلى براغ، ثم درست لمدة عام واحد في السوربون بباريس، ولفترة وجيزة جداً في جامعة فيينا. وعملت في تشيكوسلوفاكيا محررة مساعدة في جريدة سياسية أسبوعية، وأصبحت خريجة في اللغات وعلم النفس والفلسفة في

جامعة براغ، وكانت تكتب أطروحتها للدكتوراه حول الأسلوب اللغوي للكاتب الفرنسي الحداثي لوي ـ فردنان سيلين الذي كانت روايته السوداوية **رحلة إلى حافة الليل** (١٩٣٢) معبرة للغاية عن حياة الطبقة العاملة الفرنسية والأمريكية خلال الحرب العالمية الأولى والكساد الذي تلاها. وفي ما يتعلق بأطروحتها، استخدمت كلين معرفتها بالفلسفة واللغويات، وقراءاتها أعمال كارل مانهايم المبكرة حول علم اجتماع المعرفة وأهمية السياق الاجتماعي في فهم الأيديولوجيات المتغيرة (وهي القراءات التي أفادتها أكثر مستقبلاً). وكانت كلين بالفعل طالبة مستقلة وتقدمية في آرائها السياسية، واهتمت «بقضية المرأة»، وبخاصة من وجهة نظر علم النفس والتحليل النفسي. وقامت خلال تلك الفترة بزيارة الاتحاد السوفياتي، وهي الزيارة التي نتج منها العديد من المقالات اللاحقة في الصحافة البريطانية، حول الزواج والأسرة واستمرار الدعارة والفجوة بين الأيديولوجية النوعية المثالية السوفياتية الرسمية والواقع اليومي لدى العديد من النساء. وفي الفترة نفسها تقريباً التي حصلت فيها كلين على درجة الدكتوراه، قام سيلين بنشر أول سلسلة من المنشورات السياسية العدوانية والمعادية للسامية التي أدت إلى نفيه من فرنسا في فترة ما بعد الحرب وسجنه في الدانمارك عام ١٩٤٥، ولم تشر أبداً في كتاباتها التالية إلى سيلين أو أطروحتها مرة أخرى. وفرت كلين وأخوها إلى إنكلترا، مع تقدم الجيوش الألمانية صوب براغ عام ١٩٣٨، تاركين أبويهما خلفهما ليهلكا في معسكرات الاعتقال.

لم تكن إنكلترا مرحبة تماماً باللاجئين من القارة الأوروبية، ووجدت كلين نفسها تعمل في البداية خادمة لكسب قوتها. ومكنتها منحة علمية من الحكومة التشيكية في المنفى من الإعداد لأطروحة دكتوراه أخرى في مدرسة لندن للاقتصاد، ولأنها أصبحت تألف أعمال مانهايم فقد كتبت إليه، وكان هو أيضاً ـ حينذاك ـ لاجئاً أكاديمياً، يعمل في مدرسة لندن للاقتصاد، وطلبت منه أن يصبح مشرفاً عليها. ووافق بالفعل وأتمت أطروحتها الثانية عام ١٩٤٤، ونشرت عام ١٩٤٦ تحت عنوان: **الشخصية النسائية: تاريخ أيديولوجيا** بوصفها أحد المجلدات الأولى في سلسلة المكتبة الدولية لعلم الاجتماع، والتي نشرتها روتليدج وكيجان بول، وحررها مانهايم حتى وفاته عام ١٩٤٧.

كانت أطروحة كلين الثانية عملاً تأسيسياً نظرياً في علم اجتماع المعرفة والتناول النقدي التفصيلي للمفاهيم النفسية والبيولوجية والتحليلية النفسية والأنثربولوجية والسيكولوجية العلمية لظاهرة النسوية (Femininity). وبالرغم من كونها تحليلاً نظرياً أكثر من كونها تحليلاً سياسياً، فإن أوراق اعتماد توجه كلين النسوي قد بسطت منذ البداية عندما سألت عن العوامل التي أثرت في شخصية المرأة الحالية، وجعلتها في مرتبة دنيا، وما هي سماتها المشتركة مع المجموعات المقهورة أو الأقلية. وإحدى هذه السمات، كما أكدت، هي أنها مبنية اجتماعياً كصورة نمطية، وهي في هذه الحال «النسوية»، وحكم عليها المفكرون ـ الذين كانت نظرياتهم عن النساء متأثرة بثقافة ذكورية أكثر من تأثرها بالشواهد التجريبية ـ بأنها تابعة وأدنى فكرياً وشعورياً.

ولاقى الكتاب نقداً بمجرد نشره، لنزعته النسوية العدائية، وانحيازه ضد الذكورة، وتشجيعه النساء على الذهاب إلى العمل، ومن ثم تشويه جنسهن. وكانت محاولتها الجادة في علم اجتماع المعرفة ـ كما شعرت ـ قد تم تجاهلها وإساءة فهمها بصورة ملحوظة. وفي ضوء هذه الانتقادات، وفي خضم المنافسة مع الأعمال الأكاديمية للرجال العائدين من الحرب، فإن بحثها عن منصب أكاديمي لم يتوج بنتيجة إلا عام ١٩٦٤، عندما حصلت على وظيفة ملقية محاضرات في جامعة ريدنغ. ودفعها بحثها الدائم عن مصادر الدخل إلى العمل في عدة مناصب كمترجمة لدى الحكومة للوثائق الألمانية التي تم الاستيلاء عليها ثم كباحثة فيها. واستكملت دخلها بالعمل التحريري والكتابات لدى الصحافتين البريطانية والألمانية. وباعتبارها موظفة باحثة، واصلت صلتها بمدرسة لندن للاقتصاد، وأصبحت مسؤولة عن تقارير بحثية جديدة حول الأنماط المتغيرة لتوظيف النساء في بريطانيا.

وكانت سمعة كلين، الكاتبة والباحثة النسوية، قد انتشرت في أوائل الخمسينيات بين المنظمات الدولية المعنية بالمرأة، وقربتها من ألفا ميردال، وهي عالمة اجتماع سويدية وناشطة نسوية كانت معروفة دولياً بإسهاماتها ـ بالتعاون مع زوجها جونار ميردال ـ في التطورات المبكرة لحالة الرفاهية السويدية التي تمنح المرأة مكانة لائقة. وكانت ألفا ميردال تعمل آنذاك في باريس، مديرة قسم العلوم الاجتماعية التابع لليونسكو، وطلبت مساعدة كلين في تأليف كتاب لتقديم صورة مقارنة لوضع سوق العمل والوضع الداخلي للنساء في السويد، وألمانيا، وفرنسا، والولايات المتحدة. وحمل الكتاب عنوان

دورا النساء: **المنزل والعمل**، وكان قد نشر عام ١٩٥٦، وترجم إلى العديد من اللغات. وأصبح مؤلفاً كلاسيكياً في علم اجتماع النساء، بالرغم من الانتقادات الكثيرة التي وجهت إليه وإلى النسوية لفشلها في تناول مشكلة غياب الرجال عن المنزل. كما انتقد أيضاً لافتراضاته بخصوص حاجة الأطفال إلى أمهاتهم واحتياج الأمهات إلى الأطفال خلال فترات حاسمة من حياتهن. وقد أسهمت ألفا ميردال برؤاها السياسية للحلول السياسية العملية لمآزق النساء بالنسبة إلى إدارة التزامتهن في العمل وفي المنزل، وأسهمت كلين بمعرفتها النظرية الأكاديمية ومهاراتها البحثية في تجميع المعلومات التجريبية المفصلة والمعقدة وتحويلها إلى جداول مقارنة. ولم تكن قواعد البيانات حول النساء موجودة في ذلك الوقت، وكان علم الاجتماع الأمبريقي الدولي المقارن في مرحلة طفولته. وتشاركتا معاً في الرغبة الفاعلة في توصيل أفكارهن حول حقوق النساء إلى القراء العاديين، وعندما نشر الكتاب لاحقاً بالألمانية، خرجت كلين في جولة لإلقاء المحاضرات هناك، فتلقتها الصحافة باعتبارها داعية راديكالية لحقوق النساء اللاتي تركن أزواجهن وأطفالهن بحثاً عن العمل.

وأصبحت فيولا كلين ناشطة في الجمعية الدولية لعلم الاجتماع عام ١٩٦٠، وعضواً مؤسساً لهيئة تحرير **المجلة الدولية لعلم الاجتماع المقارن** التي كتبت لها مقالات حول النساء المتزوجات العاملات، وهو الموضوع الذي دعمه معهد الإدارة الشخصية. كما عملت لصالح منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD) في باريس التي عملت على تجميع المعلومات عن ساعات عمل وخدمات النساء العاملات

لصالحها من ٢١ دولة، موضحة مجالات التفاوت والمعاناة التي تعانيها النساء عالمياً. وكانت تقاريرها المتنوعة حول النساء البريطانيات قد جمعت في كتابها **النساء العاملات المتزوجات البريطانيات**، وبتخليها عن مهاراتها كمنظرة لصالح الأعمال البحثية التي تدر دخلاً - بالرغم من عدم تخليها أبداً عن اهتمامها بالمرأة ـ فإنها تواجه الآن نقداً سوسيولوجياً لتبنيها منهجاً تجريبياً غير نقدي.

وقامت في منصبها الأخير، بوصفها أكاديمية متفرغة، بالتدريس والإشراف على طلاب الدراسات العليا بحماسة والتزام كبيرين، وواصلت اتصالاتها بالأصدقاء والزملاء الألمان، وكتبت مراجعة رئيسة لقراء علم الاجتماع الألمان حول تطورات ما بعد الحرب في علم الاجتماع البريطاني، مؤكدة طبيعته التجريبية، واقترابه من صياغة السياسة الاجتماعية. أعيد نشر كتابها *The Feminist Character* في بريطانيا عام ١٩٧١، وفي الولايات المتحدة في السنة التالية، وكم كان مدهشاً بالنسبة إليها أن يعاد اكتشاف عملها النظري الأصيل حول الأبنية الفكرية للنساء من قبل جيل جديد من نقاد التيار النسوي لسيطرة الرجل على المعرفة عنهن! ونشرت طبعة أخرى في بريطانيا عام ١٩٨٩ في ضوء سمعته باعتباره عملاً سوسيولوجياً رئيساً، وتوفيت فيولا كلين بعد تقاعدها بوقت قصير، تاركة أحلامها حول المزيد من الكتابة والبحوث غير مكتملة.

انظر أيضاً: **آن أوكلي**.

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists*: Karl Mannheim, Gunner Myrdal.

■ أهم الأعمال:

«Stil und Sprache des Louis Ferdinand Celine.» (1937). (Ph. D Thesis, University of Prague. Reading University: Viola Klein Archive).
The Feminine Character: History of an Ideology (1938). London: Routledge and Kegan Paul. (International Library of Sociology and Social Reconstruction)
«The Stereotype of Femininity.» (1950). *Journal of Social Issues*: vol. 6, no. 3.
Women's Two Roles: Home and Work. (1956). With Alva Myrdal. London: Routledge and Kegan Paul.
«Married Women in Employment.» (1960). *International Journal of Comparative Sociology*: vol. 1, September.
Employing Married Women (1961). London: Institute of Personnel Management. (Occasional Papers; no. 17)
«Industrialisation and the Changing Role of Women.» (1963-1964). *Current Sociology*: vol. 12.
Britain's Married Women Workers (1965). London: Routledge and Kegan Paul.
Women Workers: Working Hours and Services: A Survey of 21 Countries (1965). Paris: Organization for Economic Cooperation and Development.
«The Demand for Professional Woman Power.» (1966). *British Journal of Sociology*: vol. 17, no. 2.
«Die gegenwartige Situation der Soziologie in Grossbrittanien.» (1967). in: G. Eiscrmann (ed.). *Die gegenwartige Situation der Soziologie*. Stuttgart: Enke.

■ قراءات إضافية:

Dale Spender (1983). «On Whose Authority? Viola Klein (?-1973).» in: Dale Spender. *Women of Ideas and What Men Have Done to Them: From Aphra Behn to Adrienne Rich*. London; Boston, MA: Routledge and Kegan Paul.
Janet Sayers (1989). «Introduction.» in: Viola Klein. *The Feminine Character: History of an Ideology*. London: Routledge.
Mary Jo Deegan (ed.) (1991). *Women in Sociology: A Bio-Bibliographical Source- Book*. New York: Greenwood Press.

راندل كولينز Randall Collins

هناك العديد من علماء الاجتماع ممن يعتبرون نتاج اللحظة، والمدفوعين بأحدث عاصفة فكرية (مثل تيارات ما بعد الحداثة، تفكيك البنيوية، التيار النسوي الأكاديمي) إلى أن تصبح بالنسبة إليهم تقليدية واهنة. كما أن أغلبية منظري علم الاجتماع الذاتيين لم ينتجوا نظرية سوسيولوجية، بل إنهم ظلوا مجرد شارحين لأعمال الآخرين. أما أعمال راندل كولينز (المولود عام ١٩٤١) فهي مختلفة تماماً. طبق كولينز، طوال أكثر من أربعة عقود، أجندة تتميز بقوتها وتماسكها، عوضاً عن استيعابها للأفكار الجديدة. وكان طالباً متخصصاً في الإرث الكلاسيكي لعلم الاجتماع، لذا كان يصر على أن النظرية السوسيولوجية نظرية تراكمية، ونحن نتعلم الكثير عن المجتمع أكثر من ذي قبل، كما أننا نحقق تقدماً علمياً. هذا في ظل انتشار وجهة نظر، تقول إن علم الاجتماع أكثر قليلاً من كونه مشكالاً (كاليدوسكوب، أي أداة تحتوي على قطع متحركة من الزجاج

الملون) ـ فسيفساء من وجهات النظر، لا يفضل بعضها على البعض الآخر. ويرى كولينز أنه يجب ألا تُقرأ الكلاسيكيات بوصفها مجرد نماذج للتفكير الإبداعي، بل تقرأ أيضاً، بشكل رئيس، من أجل التوصل إلى مفاتيح اللغز والقضايا التي تمكننا من صنع تشكيلة من الروابط، ولا سيما بين الجزئي والكلي، وبين التضامن (بوصفه نوعاً من أنواع الصراع)، والصراع (باعتباره نوعاً من أنواع التضامن).

وترتبط أعمال كولينز نمطياً بـ«نظرية الصراع»، وهي مدرسة فكرية تتضمن في قائمة روادها كلاً من كارل ماركس، وماكس فيبر، وجورج سيمل، ولويس كوزر. ترى هذه النظرية، بصورة أساسية، أن الحياة الاجتماعية تتميز بمحاولات الفاعلين الاجتماعيين تعظيم مكاسبهم إزاء الآخرين، ويصارع الوكلاء (Agents) في سبيل احتكار الموارد أو المشاركة فيها. إن ما نسميه «مجتمع» هو شبكة من جماعات المصالح المهيمنة والتابعة التي تكون دائماً في حركة اصطفاف متغيرة. كما يجب أن يفهم «الصراع» بمفهومه الأوسع، وهو يشمل جوانب أخرى، وليس فقط الأحداث الملموسة، مثل الإضرابات والمظاهرات والهجمات الإرهابية والثورات والحروب، بل هو يشمل النظام الاجتماعي الطبيعي للحياة اليومية، مثل الطقوس الاجتماعية التي تميز مجموعة من أخرى، والقواعد التي تحكم شرعية النشاط الجنسي، ونظم الإيمان التي تحدد ما هو مألوف وما هو ابتداعي (هرطقة).

يشير ما سبق إلى نطاق وتعقيد «نظرية الصراع»، لكن في حال كولينز، فإن هذا الوصف غير كاف لسبب آخر، فكولينز ـ فوق كل شيء ـ منظر متكامل، وتتضمن أعماله العديد من التقاليد النظرية

الأخرى، مثل الدوركهايمية والتقاطعية (Intersectionism)، والاختيار العقلي. وظل لسنوات عديدة يعمل بجد في مجال العلاقات المتعددة بين الأحداث المحلية والشخصية واليومية من جهة، والقوى الكبيرة والعالمية من جهة أخرى. وكان إرفنغ غوفمان وماكس فيبر من أهم ملهميه. وكان منهجه المطبق في علم الاجتماع هو دراسة الأفراد من خلال دراسة المواقف التي يوجودون فيها، لأن الموقف هو الذي يشكل السلوك والعاطفة والتفكير. إضافة إلى ذلك، يرى كولينز النظام «الكلي» ناتجاً وامتداداً وجزءاً من التفاعلات «الجزئية» التي تتم في مكان وزمن، فهو لا يعتبر النظام «الكلي» شريحة من الحقيقة، تعلو «الجزئي» أو تفوقه. إن الترابط، وليس التراتبية، هو المبدأ الحاكم لعلاقة الجزئي بالكلي.

وبينما لا تزال أعمال كولينز في تقدم مستمر، فإنه قدم بالفعل أربعة إسهامات مهمة لعلم الاجتماع، هي: الاعتمادية (Redentialism) (متعلقة بالشهادات العلمية)، والشبكات الفكرية، والجغرافيا السياسية (جيوبوليتيك)، وعادات التفاعل.

كان كولينز محللاً مبكراً لتضخم أوراق الاعتماد، وهو الاهتمام الذي كان واضحاً في أطروحته للدكتوراه عن التعليم والتوظيف (اكتملت عام ١٩٦٩ في جامعة كاليفورنيا ببيركلي). ومن أجل فهم معنى تضخم الاعتماد، يجب الأخذ في الاعتبار حال التناقض بين تزايد الحصول على التعليم (الذي يفترض أن يؤدي إلى تحسين وضع الناس في سوق العمل) وعدم تحقق مجتمع أكثر مساواة بين مواطنيه. ويرى كولينز أن السبب في ذلك هو أن هذه الشهادات (الدبلومات، الدرجات العلمية لما قبل التخرج، ومستوى الدراسات العليا، والعديد

من أنواع شهادات التخرج) تعمل بصورة عمل الأموال نفسها (أي تشبه التضخم النقدي)، إذ إنه عندما تزيد من ضخ الأموال، فإنك تشجع على التضخم. وينطبق الأمر نفسه على الشهادات، إذ يعتبر التعليم سوقاً من بين الأسواق الأخرى، وعندما يتوافر أفراد كثر ذوو شهادات متنوعة تؤهلهم لعمل ما، فإن سعر السوق سوف ينخفض. ومن هنا، فإنه من المتوقع اليوم أن يحصل معظم العمال غير اليدويين على شهادة من دون التخرج، وهو ما يميز تغيراً رئيساً منذ منتصف القرن العشرين، عندما كانت الجامعات ميزة نخبوية، وعندما كانت الدرجات العلمية نادرة. لذا كان الخريجون مصدراً مهماً لسوق العمل، لكن لم يعد الأمر كذلك، ويمكن إحياء مثل هذا المصدر من خلال تكوين سوق بمعايير جديدة لمستوى التخرج. غير أن هذا السوق يتطلب تمييز الجيد من العادي. وهكذا يمضي الأمر، ويصبح التعليم، في الوقت نفسه، أكثر تكلفة بالنسبة إلى الفرد، ويتطلب استثماراً أكبر (مزيداً من الوقت والنقود) من أجل تحقيق عائد ثابت.

ويوجد اهتمام قديم ومتشابك لكولينز في طبيعة النشاط الفكري، إذ تناول مرة أخرى هذا الموضوع بوصفه طالباً في بيركلي، وتحقق المشروع، بعد مرور ثلاثين عاماً، في مؤلفه *Sociology of Philosophies: A Global Theory of Intellectual Change*. ويؤكد كولينز في هذه الدراسة الثقافية أن الشبكات الفكرية هي المفتاح الرئيس لتوضيح كيفية إسهام هذه الجوانب الغامضة في الإبداع، والسمعة، والنفوذ، والعظمة، وحتى الفكر نفسه. إن القوة المحركة للحياة الفكرية هي الصراع: الصراعات في المناصب، الصراعات حول

الموارد الفكرية، والصراع من أجل السيطرة على «مجال الاهتمام» (اهتمام الجمهور) الذي يمكن أن تصاغ داخله الأفكار، وأن تصبح مقنعة اجتماعياً. ونتيجة لطبيعة المجال الفكري أو التخصص العلمي، فإن مجال الاهتمام هذا قاصر للغاية على خمس أو ست مدارس فكرية أو جدل حالي. إن المفكرين العظماء هم من لديهم قدر كبير من صفات القيادة، والمبادرة، والطموح، والطاقة الشعورية التي لا تتحرك في الفراغ، لكنها تتطلب ظروفاً اجتماعية للحفاظ عليها. وتتضمن مكان الشخص في الجدل، الصلات السابقة أو الحالية مع الأساتذة الكبار، والتمكن من التواصل مع وسائل الإعلام، مثل الجامعات، ودور النشر، ومحطات التلفزيون، ومواقع الشبكة الدولية. ومن يملكون الطاقة الشعورية يكونون أكثر عرضة لتراكم القيمة المضافة لديهم مع تقدم شخصيتهم العلمية. ومع ذلك، يمكن أن تفرق الطاقة الشعورية أيضاً، وذلك عندما يخفق المفكر/المفكرة في تحقيق غايته/غايتها، أو عندما تتغير أوتاد النقاش التي تورط/أو تورطت بها بصورة واضحة.

وتبدأ الجغرافيا السياسية في تصور كولينز من الاعتراف بأن الناس الذين يحيون في العالم الحديث يتأثرون بقوة بالدولة، مؤسسات الحكومة السياسية والبرلمان وجهاز الخدمة المدنية والأجهزة الأمنية. وتعيش الدولة بدورها، في ظل نظام عالمي يتألف من دول أخرى، هي في بحث دائم عن القوة والنفوذ. تعرف دراسة العلاقات بين الدول بالجغرافيا السياسية، وهذا يتطلب منا تعليق النظر في الدولة والمجتمع الذي تحكمه من «الداخل»، وتناوُل تعقيدها المحلي (الدستور، والأحزاب السياسية، وسياسة الضرائب، والشرعية

أيضاً). ويصر كتّاب الجغرافيا السياسية على أن الفهم الأعمق للدول يتطلب النظر إليها من الخارج، وكشف كيف أن دولة ما تقع في نظام دولة ككل، والتحديات والتنافس على القوة التي تواجهها من قبل الدول الأخرى، والتحالفات الضرورية للبقاء.

درس كولينز هذه القضايا بتركيز كبير، وقام بقياس آليات العرقية، والتحديث الديمقراطي والثورة طوال فترات زمنية طويلة، ومع ذلك، يكمن أشهر إسهاماته في التوقع الذي قدمه عام ١٩٨٠ حول انهيار الاتحاد السوفياتي، وهو الأمر الذي تحقق أخيراً عام ١٩٩٢. وكان هذا التوقع قائماً على مجموعة من المبادئ الجيوسياسية التي أرساها كولينز في منتصف السبعينيات. إضافة إلى ذلك، فإن الدول التي لها حدود مع العديد من الدول الأخرى، تجد نفسها أضعف، بمرور الوقت، من الدول ذات الحدود مع دول أقل أو ليس لها جيران، نتيجة حواجز جيوسياسية مثل البحار، والمرتفعات، وغيرهما. أما الدول المتسعة للغاية، فإنها تنظر إلى نفسها مقيدة الموارد وعرضة للتفكك. وعلى هذا الأساس ـ المرتبط باعتبارات جيوسياسية أخرى ـ قدم كولينز تنبؤاً بمجموعة من الأحداث، سوف تؤثر سلباً في الاتحاد السوفياتي، وهو ما حدث بالفعل. إن النقطة الأكثر عمومية هي أن مصير أي دولة يجب أن يفهم في ضوء آليات نظام الدولة التي تعمل في داخلها.

وتوضح الاعتبارات السابقة أن كولينز منظر كلي (Macro-theorist) قبل أي شيء آخر. وهذا الانطباع مضلل، لأن معظم عمله كان مكرساً لتوضيح الأسس الشعورية للحياة الاجتماعية. وتقع هذه المشاعر ـ كما يصورها كولينز ـ في إطار الطقوس الاجتماعية أو ما

يسميه تفاعل سلسلة الطقوس. وتحدد الطقوس المتفاعلة أربعة مكونات رئيسة، **أولها** أنه يجب تشارك شخصين أو أكثر، وأن يجتمعاً جسدياً، ويكونا قادرين على المثول في مواقف عامة مهمة. **ثانيها** أن تطلب الطقوس المتفاعلة تحديداً لما هو داخلي وما هو خارجي، وأن تمنح المشاركين شعوراً مميزاً بالضمنية. والملمح **الثالث** للطقوس المتفاعلة هو أن جميع الأطراف يركزون انتباههم على هدف أو نشاط مشترك، ويكونون واعين بصورة متبادلة خلال قيامهم بذلك. أخيراً، إن الطقوس المتفاعلة تتطلب أن يتشارك المشاركون في الحالة أو التجربة الشعورية. وعندما تتحقق معاً هذه العناصر الأربعة بنجاح، تعطي أربع نتائج: (١) يشعر الأفراد بالتماسك مع بعضهم البعض، ويتخيلون أنفسهم أعضاء لديهم هدف واحد. (٢) يغمرهم شعور بالإنجاز والحماسة (الطاقة الشعورية مرة أخرى) يدفعهم إلى المبادرة. (٣) تولّد عضوية الطقوس المتفاعلة رموزاً جماعية لها صفات مهمة، ويتبع ذلك النتيجة الرابعة. (٤) تثير انتهاكات هذه الرموز عقوبات ضد المدانين بالانتهاك. باختصار، إن الطقوس المتفاعلة هي ما يبقي المجتمع متماسكاً في «جيوب التماسك»، وهي ما تمنح الأفراد هوية وهدفاً. وطبق كولينز نظرية الطقس التفاعلي على مجموعة مختلفة من الظاهرات، مثل حركات مكافحة التدخين، أفعال الجماع الجنسي، ردود الفعل تجاه الهجمات الإرهابية، وطقوس العنف الأخرى.

باختصار، هناك عدد قليل من الكتاب لديهم القدر نفسه من تنوع اهتمامات كولينز أو القدرة التحليلية، كما أن عدداً أقل من

الكتّاب لديهم القدرة على التحكم في هذا القدر من المادة التاريخية والتجريبية. ولم يظهر أحد منذ دوركهايم له هذا المستوى الكبير من شروح علم الاجتماع. نصح كولينز تلاميذه قائلاً: طور أكثر من تخصص وأدرك علاقاته المتداخلة، تجنب مجادلات وإغراءات الصدع الحديث؛ شارك في رؤية علم الاجتماع الإشعاعية، اكتسب معرفة مهمة بناء فرع من فروع المعرفة يكون، بين كل العلوم الاجتماعية، له أكثر ما يمكن تقديمه للمفكر الطموح.

انظر أيضاً: **إرفنغ غوفمان**.

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists*: Georg Simmel, Max Weber.

■ **أهم الأعمال:**

Conflict Sociology: Toward an Explanatory Science (1975). With a contribution by Joan Annett. New York: Academic Press.

The Credential Society: An Historical Sociology of Education and Stratification (1979). New York: Academic Press.

Weberian Sociological Theory (1986). Cambridge [Cambridgeshire]; New York: Cambridge University Press.

Theoretical Sociology (1988). San Diego: Harcourt Brace Jovanovich.

The Discovery of Society (1992). With Michael Makowsky. New York: Mc-Graw Hill.

Four Sociological Traditions (1994). New York: Oxford University Press.

The Sociology of Philosophies: A Global Theory of Intellectual Change (1998). Cambridge, MA: Harvard University Press.

Macrohistory: Essays in Sociology of the Long Run (1999). Stanford, CA: Stanford University Press.

Interaction Ritual Chains (2004). Princeton, NJ: Princeton University Press. (Princeton Studies in Cultural Sociology)

إرنستو لاكلو Ernesto Laclau

ولد المنظر الاجتماعي والسياسي الأرجنتيني إرنستو لاكلو عام ١٩٣٦، وهو يدرس حالياً في جامعة إيسيكس وفي جامعات عدة بالولايات المتحدة. وكان في طليعة مؤيدي منهج «ما بعد الماركسية» في التحليل الاجتماعي. وقد اعتمد على تيارات فكرية في نطاق فكر ما بعد البنيوية (مثل جاك دريدا وميشيل فوكو)، وفلسفة لودفيغ ويتنشتاين التي عرفت بما بعد التحليلية (Post-analytical Philosophy) والتحليل النفسي لجاك لوسان لتطوير مفهوم سياسي جديد «للخطاب» (Discourse)، ويمكن تقسيم أعماله إلى ثلاث مراحل رئيسة: **أولاها** محاولة تطوير نظرية ماركسية عن الأيديولوجيا والسياسة من خلال الاعتماد على أعمال أنتونيو غرامشي ولوي ألتوسير، **وثانيتها** تطوير نظرية ما بعد ماركسية عن الهيمنة التي توجد في فلسفة ما بعد البنيوية وتنفصل بصورة ملموسة عن الحتمية والماهوية (الجوهرية) (Essentialism) في الماركسية، **وثالثتها** مواصلة المزيد من تطوير هذا

المنهج ما بعد الماركسي من خلال التعمق في فلسفة دريدا للتفكيك البنيوي وتفسير لوسان للتحليل النفسي الفرويدي. وتعتبر أعمال لاكلو مهمة للغاية في فهم وتفسير ظهور واختفاء الأيديولوجيات السياسية، وفي الدفاع عما يسميه ـ على المستوى المعياري ـ هو وشانتال موف بمشروع ديمقراطية راديكالية وشعبية.

وكما يشير عنوان مؤلفه **السياسة والأيديولوجية في النظرية الماركسية**، يعمل لاكلو على وضع نظرية لما يسميه الماركسيون البناء الفوقي السياسي والأيديولوجي، مقابل القاعدة أو الأساس الاقتصادي، من خلال تناول مشكلتي الحتمية الاقتصادية والاختزال الطبقي (Class Reductionism) في النظرية الماركسية. وإزاء اختزال شخصية ومحتوى الأيديولوجيات السياسية والأشكال المختلفة للدولة لصالح الطبقات ـ الفئات (Classes) الاجتماعية المهيمنة في مجتمع ما، أو قصر هذه الأشكال لعكس عمليات مادية جارية (الحتمية الاقتصادي)، يؤكد لاكلو أنه ليس لجميع العناصر الأيديولوجية «ضرورة انتماء طبقي». وقام من أجل التوصل إلى هذه المقولة، بتطوير أعمال المنظر الألتوسيري اليوناني نيكوس بولانتزاس لتأكيد الاستقلال النسبي للدولة الرأسمالية في ظروف تاريخية محددة. يظهر «عدم ضرورة الانتماء الطبقي» للعناصر الأيديولوجية، بصورة خاصة، في ما يطلق عليه لاكلو الأيديولوجيات الشعبية ـ مثل القومية أو الفاشية ـ حيث توجد مقولات موجهة إلى «الشعب» أو «الأمة» من قبل قوى طبقية معارضة.

وينفصل عمله الذي ألفه بالاشتراك مع شانتال موف **الهيمنة والاستراتيجية الاشتراكية** عن أي التزام بدور «طبقة اجتماعية أساسية»، سواء أكانت برجوازية أم بروليتارية، يمكنه صياغة معنى للعناصر الأيديولوجية مثل «الشعب» أو «الأمة». وطوّر كل من لاكلو وموف فكرة أن العناصر الأيديولوجية كلها هي عناصر «مشروطة» (Contingent) (متوقفة على توافر شروط معينة)، وتوسع هذه المقولة من مجال الصياغة السياسية، وفهمها على أنها تربط معاً مطالب سياسية في معالجة موحدة، وتبدأ التحرك نحو رؤية ما بعد ماركسية. ويمكن أن تتحول هذه المشروطية، التي ينظر فيها «للعناصر» الأيديولوجية على أنها «إشارات طافية» (Floating Signifiers) إلى «لحظات» لمرحلة ما، من خلال ممارسات سيادية، وهو ما يتوقع وفقاً لنظرية اللغة ما بعد البنيوية المعتمدة على أعمال مفكرين مثل دريدا، ورولاند بارثز، وفوكو. إن النظرية البنيوية للغة كنظام من الإشارات المختلفة من دون مصطلحات موجبة التي صاغها فرديناند دوسوسير قد تحولت إلى رصد لمرحلة حيث لا يكون معنى الإشارات ثابتاً ببناء مغلق، لكنه ينتج من ممارسات مقصودة. وفي مرحلة التاتشرية في بريطانيا ـ على سبيل المثال ـ فإن إشارات مثل «الاقتصاد الحر»، و«الدولة القوية»، و«الحرية الفردية» قد انصهرت معاً في أيديولوجيا سياسية واحدة قادرة على حشد أو «توسل» (Interpellate) أفراد المجتمع الذين ابتعدوا (سياسياً) جراء أزمة السبعينيات السياسية والاقتصادية والأيديولوجية (والتي تبلورت في ما يسمى بشتاء السخط Winter of Discontent)، من خلال تدشين هوية جديدة. إن

صياغة معنى الإشارات وتثبيتها الجزئي هو ممارسة اجتماعية وسياسية، لكنها ذات مشروطية كبيرة في معناها.

ومن الأمور الحاسمة بالنسبة إلى تثبيت معنى الإشارات الطافية في نظرية الأيديولوجيا والسياسة هذه هي الطريقة التي تضع بها القوى السياسية حدوداً بين عوامل مختلفة، وهو ما يؤسس حدوداً بين «داخليين» (Insiders) و«خارجيين» (Outsiders) في مرحلة ما. ويتكوّن الخارجيون في المرحلة التاتشرية من النقابات، والاشتراكيين، والمجموعات الاجتماعية المناهضة، مثل الشواذ والمطلقين وبعض البيروقراطيين، وما إلى ذلك، وهو ما كان عاملاً محورياً في تكوين هويات الداخليين، لأنهم اعتبروهم مهددين لقيمهم. ويطور لاكلو مفهوماً للتنافر، في صدد تكوين الحدود السياسية التي تقر وتثبت موقتاً معنى الهويات، ويؤكد دور السلبية في الحياة السياسية أن التنافرات الاجتماعية تتحقق عندما يكون وجود «آخر» مشكلاً لحاجز أو يعوق تحقيق المواطن لهوية ما. على سبيل المثال، واجه عمال مناجم الفحم إغلاق أماكن عملهم وإنهاء نمط حياتهم الخاص، وهو الأمر الذي مكنّهم من اعتبار حكومة تاتشر ومجلس الفحم القومي (National Coal Board) تهديداً آخر يعوق هوياتهم، وهو ما يثير مقاومة وصراعاً مستمرين من خلال نقابتهم.

إن أحد أهم الأهداف الرئيسة لنظرية المرحلة ما بعد الماركسية هو تناول الطريقة التي يتشكل بها التنافر الاجتماعي، والأشكال المحددة التي يتخذها، وكيف يمكن أن تتراكم داخل

أشكال الحياة الاجتماعية الديمقراطية. ومن أجل القيام بذلك، يقوم لاكلو بتطوير منطقي التكافؤ والاختلاف، وهما مشتقان جزئياً من أعمال دوسوسير حول القطبين المثالي والتركيبي للغة. ويشير القطب المثالي إلى بناء أوجه التكافؤ بين المطالب والهويات المختلفة، وهكذا فإنه يقسم العلاقات الاجتماعية إلى معسكرات متعارضة، بينما يشير القطب التركيبي إلى عملية عدم وضوح (Disarticulating) عناصر سلسلة متكافئة وإعادة تشكيلها كمجرد اختلافات، ومن ثم استبعاد التنافرات الاجتماعية وتقسيم الاجتماعي إلى هوامش المجتمع.

وفي المرحلة الثالثة من أعماله، والمتمثلة في كتب، مثل **أضواء جديدة على ثورة زمننا الحالي، والانعتاق، والمشروطية، والهيمنة**، وأخيراً حول التفسير الشعبي On Populist Reason، قام لاكلو بالرد على التعليقات المهمة التي أثيرت حول منهجه والتي قدمها مفكرون مثل سلافوغ زيزك، كما يقوم لاكلو بتطوير صيغ تفكيك بنيوي وتحليل نفسي، وانطلاقاً من وجهة النظر هذه، تكون العلاقات الاجتماعية كلها مبنية على «ترددية بنائية» (Structural Undecidability) أو «نقص» لا يمكن أن يكتمل كلية. ويمكن ترجمة هذه الثغرات في ترتيب رمزي ما إلى شيء ملموس، من خلال نزع الأحداث التي يمكن ترميزها بطرق مختلفة، ويمكن تحقيق أحد أنواع الترميز هذه من خلال بناء تنافرات اجتماعية، تقسم الاجتماعي إلى معسكرات متعارضة، ويمكن أن يحتوي الترميز الآخر على مثل هذه الأبنية

المتنافرة. يتصور النضال من أجل الهيمنة حالياً باعتباره إنتاجاً لإشارات فارغة، تعمل على تمثيل «الاكتمال الغائب» للنظام الاجتماعي.

وهناك عنصران إضافيان موجودان في هذه المرحلة الثالثة، **أولهما** أن لاكلو يتناول مفهومي «العقيدة» و«التخيلي الاجتماعي» لرصد الطريقة التي تقوم بها محاولات محددة لتغطية بناء مستبعد، وتتحول إلى آفاق واسعة، يمكن أن يتراكم بداخلها العديد من المطالب والهويات. **ثانيهما**، يقوم لاكلو بتطوير نظرية عن الذاتية السياسية أو العامل الذي يظهر في الفضاء المفتوح الذي يكونه بناء مستبعد. فإذا كانت «المواقف الذاتية» أماكن متاحة للتحديد في بناء اجتماعي رسوبي، فإن فشل مثل هذه الأبنية في تثبيت المعنى والهوية سيتيح نهوض ذوات سياسية جديدة، تبحث عن إعادة تنظيم (Reorder) العلاقات الاجتماعية بطرق جديدة من خلال اقتراح عقائد بديلة وإقرار تخيل اجتماعي جماعي مختلف.

كما واصل لاكلو توسيع نطاق نظريته ما بعد الماركسية عن الخطاب، لتشمل العديد من مجالات العلوم الاجتماعية والسياسية، ويرصد أحدث كتبه تمييزاً منطقياً للمرحلة الشعبية والممارسة، كما يواصل منهجه في اتباع برنامج بحثي متواصل، مع إصدار كتب ومقالات جديدة، تعمل على فرض تصنيفاتها للعديد من القضايا والمشكلات البحثية، وتتضمن تحليلات للسياسات والمجتمع في أوروبا وجنوب أفريقيا وأمريكا اللاتينية.

انظر أيضاً: لويس ألتوسير.

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists:* Karl Marx.

■ أهم الأعمال:

Politics and Ideology in Marxist Theory: Capitalism, Fascism, Populism (1977). London: New Left Books.

Hegemony and Socialist Strategy: Towards a Radical Democratic Politics (1985). With Chantal Mouffe. Translated by Winston Moore and Paul Cammack. London: Verso.

New Reflections on the Revolution of our Time (1990). London: New York: Verso. (Phronesis)

Emancipation(s) (1996). London; New York: Verso. (Phronesis)

Contingency, Hegemony, Universality: Contemporary Dialogues on the Left (2000). With Ernesto Laclau and Slavoj Zizek. London; New York:Verso. (Phronesis)

On Populist Reason (2005). London; New York: Verso.

■ قراءات إضافية:

Aletta J. Norval (1996). *Deconstructing Apartheid Discourse*. London: Verso.

Jacob Torfing (1999). *New Theories of Discourse: Laclau, Mouffe, and Zizek*. Oxford: Blackwell.

Yannis Stavrakakis (1999). *Lacan and the Political*. London: New York: Routledge. (Thinking the Political)

David Howarth (2000). *Discourse*. Buckingham: Open University.

David Howarth and Jacob Torfing (2004). *Discourse Theory in European Politics*. London: Palgrave.

ديفيد لوكوود David Lockwood

قدم ديفيد لوكوود العديد من الابتكارات المفهومية في خضم النقاشات حول المطابقة الاجتماعية والنظام الاجتماعي التي هيمنت على علم الاجتماع منذ منتصف القرن العشرين، وهي المفاهيم التي أصبحت حالياً عناصر رئيسة في علم الاجتماع، مثل أفكار تكامل النظام ووضع العمل والتكامل المدني، على سبيل المثال لا الحصر، وهي المفاهيم التي نتجت من تأملاته في الأعمال التقويمية لدوركهايم وماركس وفيبر، وعمله النقدي حول أفكار تالكوت بارسونز والوظيفية المعيارية، واستكشافه معاني الوفرة والركود بالنسبة إلى التفاوت الاجتماعي والنظام السياسي.

ولد ديفيد لوكوود في هولمفيرث بيوركشاير عام ١٩٢٩، وبالرغم من حصوله على منحة علمية دراسية في النحو، فإنه اضطر إلى ترك الكلية للعمل في مصنع نسيج. وأتاحت له منحة عسكرية أن يدرس في مدرسة لندن للاقتصاد التي تخرج فيها عام ١٩٥٢،

بوصفه أحد أفراد جيل علم الاجتماع الذي ظهر في أعقاب الحرب العالمية الثانية. كانت دراسته الدكتوراه تتناول تغير الوضع الطبقي لموظفي الأعمال المكتبية الذكور، وبدأ في التناول النقدي لنظرية الطبقة الماركسية ونظريات الوظيفية المستحدثة لتالكوت بارسونز. وقام خلال فترة تدريسه في مدرسة لندن للاقتصاد بعقد حلقة نقاشية، تناول خلالها هذه الأفكار، ودفعته مباشرة إلى كتابة أولى أوراقه العلمية حول النظرية الاجتماعية العامة. واصل اهتماماته بالطبقة الاجتماعية، عندما انتقل إلى جامعة كمبردج عام ١٩٥٨، وشارك جون غولدثورب في مشروع كبير حول «عامل الوفرة» (Affluent Worker) في الصناعات الحديثة والمتقدمة تكنولوجياً التي كانت تحل محل الصور التقليدية لتوظيف الطبقة العاملة. ونشرت نتائج هذه الدراسة عام ١٩٦٨، عندما انتقل لوكوود لتقلد كرسي في جامعة إيسيكس التي عمل فيها على تناول الرصد العام للنظرية الاجتماعية، والذي نشر بعنوان **التماسك والتشرذم** (*Solidarity and Schism*) عام ١٩٩٢، وركز اهتماماته على إنتاج تعريف جديد للتصنيف الطبقي، ليحل محل التصنيف المستخدم في المطبوعات الرسمية.

انطلقت رؤية لوكوود للمطابقة الاجتماعية من تمييز فيبر (Weber) بين الطبقة والوضع باعتبارهما مكونين سببيين متميزين في تحديد فرص الحياة الفردية. وينظر لوكوود إلى الطبقة والوضع الطبقي على أنهما يكونان المظاهر المادية للنظم الاجتماعية، ويميز بين «الأوضاع السوقية» المرتبطة بعلاقات الملكية والتشغيل، من جهة،

و«علاقات العمل» التي تظهر في تقسيم العمل وتوزيع السلطة في مكان العمل. وبناء على ذلك، لا تقتصر مهمة تحليل الطبقة على تناول علاقات السوق الاقتصادية، لكن يجب أن تتناول أيضاً العلاقات الاجتماعية المتغيرة المرتبطة بالتغيير التكنولوجي. وبعد كتاباته هذه في الخمسينيات، رأى أن التكنولوجيا قد حولت أوضاع العمل التي وجد فيها العمال المأجورون. وتحول العمل غير اليدوي للموظفين من خلال توسيع نطاق العمل المكتبي وتدهور سلطة الموظفين مقابل توسع مستويات العمال الإداريين. إن العمل اليدوي في مناجم الفحم وأحواض بناء السفن ومصانع الحديد ومصانع النسيج أفسح الطريق أمام العمل في خطوط إنتاج ومصانع تقوم على تكنولوجيات جديدة لصناعة السيارات والصناعات الكيماوية التي توسعت في فترة منتصف القرن العشرين. ونتيجة ذلك، حدث تغير في الوضع والرؤية الثقافية لكلا الفريقين، ولم يعد يتمتع موظفو الأعمال المكتبية بأي امتيازات ممنوحة من أصحاب الأعمال، ولم يعودوا مختلفين عن الطبقة العاملة، كما لم تعد أعمالهم محل تطلع من قبل الطبقة العاملة. وكانت العمالة اليدوية أبعد، نوعاً ما، عن تجربة الشعور بالتماسك الجماعي، وتتطلع إلى الحصول على أجور أعلى. وتناول مشروع «عامل الوفرة» هذه العلاقات الطبقية المتغيرة، وأظهر أن العمال العاملين في الصناعات الجديدة يتبنون مواقف صناعية وسياسية جديدة، وفهماً أقل التزاماً بعمل النقابات الجماعي، ومزيداً من النفعية في اتخاذ قراراتهم التصويتية والتزاماً أكثر إزاء تحسين ظروفهم العائلية والمنزلية. وبينما لا يتخذون موقفاً اجتماعياً

مماثلاً لموقف «الطبقة الوسطى» ـ كما تشير نظريات «عدم التحول البرجوازي» ـ فإن موقفهم يهتم بالجانب الأكثر أهمية. وتناولت أعمال لوكوود الأكثر حداثة تحليل ت. هـ. مارشال لموقف المواطنة لإظهار أن المجتمعات المعاصرة أصبحت تنقسم بصورة متزايدة، بسبب حقوق المواطنة المختلفة (وبخاصة تلك المتصلة بالعمر، والنوع، والعرقية) وأن أنماط التكون الطبقي والعمل السياسي تتم وفق هذه الحقوق وكذلك وفق موقفي السوق والعمل.

وضعت أعمال لوكوود التنظيرية العامة مضامين هذه الرؤية الأوسع، حيث شخّص لوكوود في تناوله النقدي لعلم الاجتماع لدى بارسونز تشديداً مبالغاً على العوامل الثقافية والمعيارية التي أرجعها في ما بعد لتأثيرات دوركهايم. وتم تهميش العوامل المادية التي كانت محورية في نظرية ماركس، كما همشت هذه النظرية ـ من جانبها ـ الاهتمامات الثقافية. وترى النظرية وجوب أن تستكمل مقولات بارسونز بالتحليلات الماركسية الأكثر مادية، إذا كانت تساعد على تقديم رؤية أكثر شمولية للنظام الاجتماعي. وأكد لوكوود أن النظرية الماركسية ـ والتحليل الفيبري للعلاقات الطبقية الذي كان يتبعه هو نفسه ـ قد مكنت من فهم الشريحة المادية أو «الواقعية» التي تقوم عليها المؤسسات المعيارية والموقف التخيلي. لقد شكلت الشريحة المادية ـ التي تشمل توزيع السلطات والموارد ـ أسس الانقسام والتشرذم الاجتماعي. وأدى ذلك إلى تصنيف لوكوود ـ بجانب كل من رالف دارندورف وجون ركس ـ على أنه «منظر صراعات». على أي حال، اعتبر لوكوود أن القدرة على تحديد مجال واحتواء الصراع الاجتماعي

تتوافر لدى العوامل المعيارية والالتزامات القيمية من خلال إرساء الوعي والتماسك الاجتماعي. وهذا ما يعرف بالمزاوجة بين المادية والمعيارية التي تفسر تحقق النظام الاجتماعي والفوضى.

ويرى لوكوود أن هذا النظام يقوم على عمليات بمستويين متمايزين من النظم الاجتماعية: مستوى «التكامل الإجتماعي» الذي يشير إلى تفاعلات الأفراد والمجموعات، لأنها ترتبط ـ بدرجات متفاوتة ـ بأعمال متسقة أو متصارعة على أساس الأشكال التي تثيرها في تعريف مواقفها والموارد التي يمكنها الاعتماد عليها في القيام بأعمالها. ومن جهة أخرى، يشير «تكامل النظام» إلى مستوى المؤسسات (المستوى الثاني) والعلاقات المادية التي تنتظم الأشكال والموارد من خلالها. ولا يمكن تطبيق أعمال الأفراد والمجموعات على مستوى التكامل الاجتماعي وحده، لكن يجب النظر إليه في علاقته بالاتساقات والتناقضات التي توجد على مستوى تكامل النظام.

وكانت أفكار لوكوود التنظيرية مؤثرة للغاية، وأظهر كل من أنتوني غدنز وجورجن هابرماس تأثرهما بتمييزه بين التكامل الاجتماعي وتكامل النظام. كما أظهر لوكوود كيف يمكن تحقيق فهم تنظيري شامل من دون اللجوء إلى التنوع أو محاولة سابقة لأوانها للجمع بين أفكار مختلفة.

انظر أيضاً: **ألفن وارد غولدنر؛ تالكوت بارسونز.**

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists:* Emile Durkheim, Karl Marx, Max Weber.

■ أهم الأعمال:

«Some Remarks on the Social System.» (1956). *British Journal of Sociology:* vol. 7.

The Blackcoated Worker; a Study in Class Consciousness (1958). 2nd ed. Oxford: Clarendon Press. (Studies in Society)

«The New Working Class.» (1960). *European Journal of Sociology*: vol. 1, no. 2.

«Affluence and the British Class Structure.» (1963). With John Goldthorpe. *Sociological Review*: vol. 11, no. 2.

«System Integration and Social Integration.» (1964). in: George K. Zollschan and Walter Hirsch (eds.). *Explorations in Social Change*. With an introd. by Don Martindale. London: Routledge and Kegan Paul.

The Affluent Worker: Industrial Attitudes and Behaviour (1968). Cambridge, MA: Cambridge University Press. (Cambridge Studies in Sociology; 1)

The Affluent Worker: Political Attitudes and Behaviour. (1968). Cambridge, MA: Cambridge University Press. (Cambridge Studies in Sociology; 2)

The Affluent Worker in the Class Structure (1969). Cambridge, MA: Cambridge University Press. (Cambridge Studies in Sociology; 3)

«Sources of Variation in Working Class Images of Society.» (1975). in: Martin Buliner (ed.). *Working Class Images of Society*. London: Routledge and Kegan Paul. (Routledge Direct Editions)

Solidarity and Schism: «The Problem of Disorder» in Durkheimian and Marxist Sociology. (1992). Oxford: Clarendon Press; New York: Oxford University Press.

«Civic Integration and Class Formation.» (1996). *British Journal of Sociology*: vol. 47, no. 3.

■ قراءة إضافية:

David Rose (ed.) (1996). «For David Lockwood.» *British Journal of Sociology:* vol. 47, no. 4, special issue.

نيكلاس لوهمان Niklas Luhmann

فقدت الوظيفية الكثير من تأثيرها لصالح نظريات «الصراع» و«التفاعل»، وبدت على وشك الموت مع ظهور تالكوت بارسونز. وأصبحت في غضون سنوات قلائل، مرة أخرى، تتصف بكونها «نظرية نظام» أو وظيفية جديدة. وكان نيكلاس لوهمان من الشخصيات الرئيسة في هذا الإحياء، وهو المنظر الوظيفي المخضرم الذي طور شكلاً مميزاً من نظرية النظام التي بدأت في جذب العديد من الأتباع والتأثير في منظرين، مثل جورجن هابرماس.

ولد لوهمان عام ١٩٢٧ في لنبيرغ بألمانيا، ودرس القانون في جامعة فرايبرغ، وعمل محامياً لفترة، الأمر الذي أهله للعمل السياسي في الإقليم. زار الولايات المتحدة في أوائل الستينيات، وبينما كان في هارفرد، اكتشف علم الاجتماع في صورة الوظيفية كما رآها بارسونز. وعندما عاد إلى ألمانيا، درس للحصول على درجة الدكتوراه في جامعة مونستر. أصبح عام ١٩٦٨ أستاذاً لعلم

الاجتماع في جامعة بيلفيلد التي ظل يعمل فيها حتى وفاته عام ١٩٩٨. نشر مجموعة من المقالات حول الوظيفة والنظام خلال الستينيات، مطبقاً ـ في هذه المقالات ـ أفكاره المطورة في كتب حول المنظمات والقوانين. ودخل عام ١٩٧١ في سجال شهير حول استخدام نظرية النظام مع هابرماس، وواصل نشر مجموعة من الكتب حول القوة والثقة والدين. وبالرغم من بدء ظهور بعض المقالات المترجمة إلى الإنكليزية خلال السبعينيات، غير أنه لم يتم جمع مجموعة من مقالاته التنظيرية الرئيسة في كتاب واحد باللغة الإنكليزية إلا في العام ١٩٨٢، وهو الكتاب الذي حمل عنوان **الاختلاف في المجتمع** (*The Differentiation of Society*)، وأرسى ظهور هذا الكتاب دعائم سمعة لوهمان خارج ألمانيا، وبدأت كتبه تظهر منذ ذلك الحين بانتظام، باللغتين الإنكليزية والألمانية. ونشر مؤلفات حول موضوعات، مثل الحب والدين والرفاهية والخطر ووسائل الإعلام والحداثة، وقدم تناولاً عاماً للنظم الاجتماعية.

يرى لوهمان أن النظم الاجتماعية تشكل وتحدد بصورة رمزية الهويات التي ينتجها الاتصال الإنساني الذي يكوّن أيضاً أطر عمل المعاني التي يعيش الإنسان في إطارها، وأنها توجد على شكل مجموعة من الأنشطة المنتظمة التي أصبحت متخصصة في ما يتعلق بمشكلات معينة، ولدتها البيئات التي تعمل في إطارها. ويجب أن «يتكيف» أي نظام ـ الموجود داخل بيئة ما ـ مع الشروط أو المتطلبات التي تفرضها العلاقات بين النظام والبيئة. وتسمح النظم ـ من خلال

تنظيم أعمال أفرادها ـ بتقليل «التعقيد» الذي تسببه البيئة. وينظر لوهمان إلى التكيف ـ وفق تعريف سبنسر ـ على أنه آلية للتطور الاجتماعي.

بالكاد يمكن تمييز «النظام» و«البيئة» في الأشكال المبكرة من المجتمعات على أنهما عناصر في المحيط الاجتماعي ككل الذي يتصرف في إطاره الناس. ويجب على الجامعين ـ الصيادين أن يتكيفوا مع البيئة الطبيعية المحددة التي يعيشون فيها أو أنه يجب عليهم الانتقال إلى بيئات أكثر ملاءمة، لكن لا تزال هناك بعض المشكلات الحقيقية للتكيف. إن تبني نشاط الزراعة وبناء مزيد من أشكال الحياة الاجتماعية الأكثر تعقيداً واستقراراً يفرض مزيداً من مشكلات التكيف. ويمكن أن «تختلف» أنشطة ثقافية خاصة عن النظام ككل، وتتحول إلى مجموعات من الأنشطة المتصلة، في ظل تزايد تعقيد الحياة الاجتماعية. يسمح هذا التكوين «للنظم الفرعية» المميزة للناس بتحكم أفضل في الظروف التي يعيشون ويعملون في ظلها. وتصبح نظم الإنتاج والتسويق والتنظيم والدين وغيرها ثابتة بهذه الطريقة. والقوة الدافعة هنا في تكوين النظام الفرعي هي «تقليل التعقيد» واختلاف شكل النظم، لتصبح نظماً فرعية متخصصة، تسمح بتقليل التعقيد الموجود في بيئة العمل.

عرف لوهمان ثلاثة أشكال من الاختلاف: التجزيء، والمطابقة، والاختلاف الوظيفي. التجزيء هو عبارة عن تكوين وحدات فرعية تشبه كل منها بقية الوحدات الأخرى كلها، وكما

يرى دوركهايم، يعتبر التماسك الاجتماعي في أي مجتمع تجزيئي ذا سمة ميكانيكية، يقوم على التشابه والقدرة على التغير المتبادل للوحدات الاجتماعية. أما المطابقة، فهي شكل من الوحدات الفرعية ذات الاختلاف الرأسي ـ طبقة اجتماعية ـ والمتفاوتة في الموارد والتي ينتهج أفرادها طريقتهم المختلفة في الحياة. وتكون النظم الفرعية في أي مجتمع طبقي، متنوعة ـ وليست متشابهة ـ وتقوم على علاقات القوة والاستغلال لبعضها البعض. واعتبر لوهمان أن الاختلاف الوظيفي أهم شكل للاختلاف في المجتمعات المعقدة. وهناك رؤية تقليدية ترى المجتمعات المقسمة بوصفها اختلافاً للأدوار التي تصبح منتظمة في نظم فرعية مميزة ومختصة «لتوقعات تكاملية» معنية بوظائف محددة. ويمكن أن تعنى بعض الأدوار ـ داخل كل نظام فرعي متخصص ـ عناية خاصة بربط الأدوار الخاصة بالمجتمع الأشمل. على سبيل المثال، خول الواعظون مسؤولية ربط الأدوار الدينية كافة بشعب الكنيسة. وتصبح النظم الفرعية للإنتاج والتسويق والتنظيم ثابتة بهذه الوسيلة، وتكون النظم الدينية والنظم الاقتصادية والنظم السياسية وما إلى ذلك. وهكذا، تصبح المجتمعات مقسمة وفقاً للوظيفة، لكنها تصبح أيضاً تتسم بالاعتماد المتبادل داخلياً، أي أن النظم تصبح متخصصة في وظائف خاصة تنتج من نظم أخرى. وعندها سيتكون أي مجتمع معقد من عدد من النظم الفرعية المختلفة. على أي حال، فإنها يجب أن تعمل وفق نمط الاعتماد المتبادل حتى لا ينقسم المجتمع أو ينهار. ونظراً إلى أنه لا يوجد مركز منسق وحيد لهذه النظم الفرعية الاختلافية، فإنها سوف تواجه مشكلات

«تكامل النظام». ورفض لوهمان رأي بارسونز بأن هذا الإجماع المعياري هو الوسيلة التي يمكن من خلالها حل مشكلة التكامل النظامي. ومن هنا، فإن التكامل النظامي هو مشكلة يجب أن تسويها النظم الحالية كلها.

ويرى لوهمان أن المجتمعات الأوروبية شهدت تطوراً من المجتمعات المتطابقة إلى المجتمعات المختلفة وظيفياً خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر. إن الاختلاف الرأسي الحاد للطبقات الاجتماعية المختلفة التي كانت قد نشأت على اختلافات الثروة والسيطرة، أفسح الطريق أمام المزيد من الانقسامات «الطبقية» المفتوحة المرتبطة بالمواقف المختلفة وظيفياً في تقسيم العمل. ويرى لوهمان أن للنظام الاقتصادي أولوية وظيفية في داخل هذه المجتمعات الحديثة، وأنه جانب مركزي في مشكلة التكامل النظامي في المجتمع ككل. إن علاقات الأسواق والشركات والأسر في نظام التبادل النقدي مميزة ومكونة لنظام مستقل من العمل ليس له نظير في صور المجتمع قبل الحديث. كما تشكل السياسة مجالاً مهماً للنشاط في العالم الحديث، وتتبع لوهمان اختلاف الأدوار والأنشطة السياسية مثل الإدارة البيروقراطية، والسياسة الحزبية، والمواطنة. وظهر هذا النظام السياسي الاختلافي بداية مع نمو الدولة القومية في أوروبا الحديثة. وتتضمن النظم الاختلافية الوظيفية الأخرى التي حللها لوهمان نظام النزعة العلمية الحديثة والمعرفة الفنية ونظام العائلة والقرابة.

كان اختلاف المجالين، الاقتصادي والسياسي، مرتبطاً بتطور «الإعلام» المختلف لكل من المال والسلطة الذي أصبح الآلية الرئيسة التي يمكن من خلالها إنجاز تكامل النظام. إن المال والسلطة ووسائل الإعلام والاتصال الأخرى التي تحققت في مجالات متخصصة من الحياة الاجتماعية، هي الوسائل التي يمكن من خلالها تكامل كل مجال، وهي الأساس الوحيد الذي يمكن أن يتم بناء عليه تكامل النظام ككل. سمح اختراع وسائل الإعلام الحديثة «لوسائل الإعلام الرمزية العامة» هذه بالظهور باعتبارها قوى دافعة لتكامل النظام. وهكذا، يصبح المال وسيلة تبادل عالمية، تسمح بتنسيق التعاملات الاقتصادية وفقاً لقواعد مشتركة. ونظراً إلى مركزية النظام الفرعي الاقتصادي داخل المجتمعات الحديثة، فإنه يعتبر أيضاً آلية رئيسة لتكامل النظام، أي أن المجتمع ككل، يمكن أن يصبح متكاملاً، إذا أصبح لكل شيء ثمن.

انظر أيضاً: **يورغن هابرماس؛ تالكوت بارسونز.**

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists:* Herbert Spencer.

■ **أهم الأعمال:**

Funktionen und Folgen Formaler Organisation (1964). Berlin: Duncker and Humblot. (Spires, Ger. Hochschule für Verwaltungswissenschaften. Schriftenreihe; Bd. 20)

A Sociological Theory of Law (1965). London: Roudedge and Kegan Paul.

Theorie der Gesellschaft oder Sozialtechnologie: Was leistet d. Systemforschung?. (1971). Frankfurt am Main: Suhrkamp. 2 vols. (Theorie, Theorie-Diskussion)

«Trust.» (1979). in: *Trust and Power*. New York: Wiley.

«Power.» (1979). in: *Trust and Power*. New York: Wiley.

The Differentiation of Society. (1982). Translated by Stephen Holmes and Charles Larmore. New York: Columbia University Press. (European Perspectives)

Religious Dogmatics and the Evolution of Societies (1984). Translated with an introduction by Peter Beyer. Lewiston, NY: Edwin Mellen Press. (Studies in Religion and Society; v. 9)

Love as Passion (1986). Cambridge: Polity Press.

Political Theory in the Welfare State (1990). Berlin: W. de Gruyter.

Essays on Self-Reference (1990). New York: Columbia University Press.

Risk (1993). Berlin: W. de Gruyter.

Social Systems (1995). Stanford, CA: Stanford University Press.

Observations on Modernity (1998). Stanford, CA: Stanford University Press.

Art as a Social System (2000). Stanford, CA: Stanford University Press.

The Reality of the Mass Media (2000). Cambridge: Polity Press.

Theories of Distinction: Redescribing the Descriptions of Modernity (2002). Edited and introduced by William Rasch; translations by Joseph O'Neil. Stanford, CA: Stanford University Press.

Law as a Social System (2004). Oxford: Oxford University Press.

■ قراءات إضافية:

William Rasch (2001). *Niklas Luhmann's Modernity: The Paradoxes of Differentiation*. Stanford, CA: Stanford University Press. (Cultural Memory in the Present)

Michael King and Chris Thornhill (2005). *Niklas Luhmann's Theory of Politics and Law*. Basingstoke: Palgrave.

كلود ليفي ـ شتراوس Claude Lévi-Strauss

ولد في بروكسل عام ١٩٠٨، لأبوين فرنسيين، ودرس في كلية القانون بباريس والسوربون. حصل على إجازة الفلسفة عام ١٩٣١، وقرر عام ١٩٣٤، عندما كان عمره ٢٦ عاماً، أن يدرس علم الاجتماع في جامعة ساو باولو وأن يصبح عالم عرقيات. قدم كتابه *Tristes Tropiques* قصة رحلاته إلى البرازيل وعمله الميداني الأول في ماتو جروسو وأمازونيا.

غادر ليفي ـ شتراوس ـ الذي كان يهودياً ـ بلاده إلى الولايات المتحدة عام ١٩٣٩ ـ ١٩٤٠، ودرس هناك في المدرسة الجديدة للبحوث الاجتماعية في نيويورك، وأسس ـ بالتعاون مع زملائه الفرنسيين هنري فوسيلو، وجاك ماريتا، وج. بيري ـ مكتبة الدراسات العليا (L'Ecole Libre des Hautes Etudes). اكتشف في هذه الفترة أعمال عالم اللغويات رومان جوكبسون وكتب أطروحته للدكتوراه التي نشرت لاحقا بعنوان، **بنى القرابة الابتدائية** (١٩٤٩)، وأكد ليفي ـ شتراوس في هذا الكتاب أن علاقات القرابة ـ التي تعتبر جوانب أساسية

لأي تنظيم ثقافي ـ تمثل نوعاً محدداً من البناء: تعتبر الرسوم الجينية، ورموزها للآباء والأمهات، والأخوات والإخوة، نموذجاً لنظم القرابة التي تم تمثيلها في صورة أبنية.

عمل ليفي ـ شتراوس في العام نفسه مديراً مساعداً لمتحف الإنسان، وبعدها بعام عيّن أستاذاً (مديراً للدراسات) في مدرسة براتك للدراسات العليا، حيث أصبح رئيس قسم «الأديان المقارنة للشعوب البدائية». حرر ليفي ـ شتراوس عام ١٩٥٠ مجموعة مارسيل موس عن علم الاجتماع والأنثربولوجيا، وهي المجموعة التي ضمت العديد من الدراسات المهمة (بما فيها دراسة «الهبة» The Gift) التي قام بها مؤسس الأنثربولوجيا الفرنسية المعاصرة (مارسيل موس). لم يكن ليفي ـ شتراوس تلميذاً لموس، لكن موس كان قد ساعده في بداية حياته العملية في الحصول على منحة لسفرياته إلى البرازيل، كما كان الدين الفكري لموس على ليفي ـ شتراوس على قدر كبير من الأهمية.

انتخب ليفي ـ شتراوس عام ١٩٥٩، وكان يبلغ عندها ٥١ عاماً، لكرسي الأنثربولوجيا الاجتماعية في كوليدج دوفرانس، حيث أسس معمل الأنثربولوجيا الاجتماعية. وقبل ذلك بعام نشر كتابه **الأنثربولوجيا البنائية** الذي أصبح سفراً مرجعياً لمدرسة فكرية جديدة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، وهي البنيوية. وطبق ليفي ـ شتراوس وجهة النظر البنائية على تحليل المنهجية في كتب، مثل *The Raw and the Cooked*. وشرح كيف تقدم بنى العقائد الفهم الأساسي للعلاقات الثقافية التي تظهر في شكل أزواج ثنائية أو متعارضة، كما يشير عنوان كتابه: **إن ما هو «نيء» يناقض ما هو «مطهو»**،

ويرتبط «النيء» بالطبيعة، بينما يرتبط «المطهو» بالثقافة. وتمثل هذه التناقضات البناء الأساسي لجميع أفكار ومفاهيم أي ثقافة.

وأصبحت البنيوية باعتبارها مدرسة فكرية أداة مهمة للتحليل، ليس في الأنثربولوجيا فحسب، ولكن في مجالات متنوعة من العلوم الإنسانية أيضاً: في علم الرموز (رولاند بارثز)، والفلسفة والعلوم السياسية (لويس ألتوسير)، والتحليل النفسي (جاك لاكان). وكان الجدل الرئيس في العلوم الاجتماعية في السبعينيات والثمانينيات يدور حول أن تكون بنيوياً أو لا تكون.

انتخب كلود ليفي ـ شتراوس عضواً في الأكاديمية الفرنسية في أيار/مايو عام ١٩٧٣، وهو أعظم تكريم لمفكر فرنسي، وكان في الوقت نفسه كاتباً.

انظر أيضاً: **لويس ألتوسير؛ رولاند بارثز.**

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists*: Emile Durkheim, Marcel Mauss.

■ **أهم الأعمال:**

La Vie familiale et sociale des Indiens Nambikwara (1948). Paris: Société des américanistes.

Race and History (1952). Paris: United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization (UNESCO).

Tristes tropiques (1955). Harmondsworth: Penguin.

Structural Anthropology (1968). Harmondsworth: Penguin.
Vol. 1: *Essays of 1944-57.*

Totemism (1964). Translated from the French by Rodney Needham. London: Merlin Press.

The Savage Mind (1966). London: George Weidenfeld and Nicholson.

The Elementary Structures of Kinship. Translated from the French by James Harle Bell and John Richard von Sturmer; edited by Rodney Needham. New York: Beacon Press.

The Raw and the Cooked (1969). Translated from the French by John and Doreen Weightman. London: Cape. (Introduction to a Science of Mythology; 1)

From Honey to Ashes (1973). Translated from the French by John and Doreen Weightman. London: J. Cape. (Introduction to a Science of Mythology; 2)

The Origin of Table Manners (1978). Translated from the French by John and Doreen Weightman. London: J. Cape. (Introduction to a Science of Mythology; 3)

The Naked Man (1981). Translated from the French by John and Doreen Weightman. London: J. Cape. (Introduction to a Science of Mythology; 4)

Structural Anthropology (1983). Chicago, IL: University of Chicago Press. Vol. 2: *Essays of 1952-73.*

Anthropology and Myth: Lectures, 1951-1982 (1987). Translated by Roy Willis. Oxford: Basil Blackwell.

The Way of the Masks (1988). Translated from the French by Sylvia Modelski. Washington, DC: University of Washington Press.

De Près et de Loin (1990). With Didier Eribon. Paris: Odile Jacob.

The View from Afar (1992). Translated by Joachim Neugroschel and Phoebe Hoss. Chicago, IL: University of Chicago Press.

The Jealous Potter (1996). Translated by Bénédicte Chorier. Chicago, IL: University of Chicago Press.

The Story of Lynx (1996). Chicago. IL: University of Chicago Press.

Look, Listen, Read (1997). Translated by Brian C. J. Singer. New York: Basic Books.

■ قراءات إضافية:

Miriam Glucksmann (1974). *Structuralist Analysis in Contemporary Social Thought; a Comparison of the Theories of Claude Lévi-Strauss and Louis Althusser*. London; Boston, MA: Routledge and K. Paul. (International Library of Sociology)

Alan Jenkins (1979). *The Social Theory of Claude Levi-Strauss*. London: Macmillan.

Edmund Leach (1989). *Lévi-Strauss*. Chicago, IL: University of Chicago Press.

Marcel Hénaff (1998). *Claude Lévi-Strauss and the Making of Structural Anthropology*. Minneapolis, MN: University of Minnesota Press.

روبرت ميرتون Robert Merton

ينتمي ميرتون إلى أهم مدارس علم الاجتماع في القرن العشرين، وكان مؤسساً لمجموعة متنوعة من الوظيفية البنيوية، ومنشئ علم اجتماع العلم المعاصر، ومساهماً بارزاً في المصادر المفهومية والتنظيرية للعديد من التخصصات السوسيولوجية.

ولد روبرت كينغ ميرتون في ٤ تموز/يوليو عام ١٩١٠ في فيلادلفيا، وتخرج في كلية تمبل عام ١٩٣١، والتحق بالدراسات العليا في هارفرد، حيث عمل مع بيتيريم سوروكين وتالكوت بارسونز. وفي العام ١٩٣٦ قدم أطروحته لدرجة الدكتوراه حول *Technology and Society in Seventeenth Century England.* كانت دراسة ميرتون حول التأثير الديني في ظهور العلم الطبيعي التجريبي ـ التي صيغت بالرجوع الى الأعمال الكلاسيكية لماكس فيبر ـ لا تزال محل سجال بين مؤرخي العلوم. كان تأثير بارسونز كبيراً في توجيه ميرتون نحو الاعتبارات النظرية، لكن ميرتون ظل قرابة

أربعين عاماً، بعد الاجتماع الذي لا ينسى للجمعية السوسيولوجية الأمريكية في الأربعينيات، رافضاً أسلوب بارسونز المختزل في التنظير، وهو الأمر الذي دفعه إلى أن يقترح عام ١٩٤٥ «نظرية المدى المتوسط». كما تعرضت فكرة بارسونز عن «الوظيفية البنائية» الثابتة وغير التاريخية للنقد القوي من قبل ميرتون، وهو النقد الذي أسهم في ولادة «تحليله الوظيفي» الديناميكي في العام ١٩٤٩.

انتقل ميرتون إلى جامعة كولومبيا عام ١٩٤١، وظل يعمل في قسم الاجتماع لمدة ٣٨ سنة قبل أن يتقاعد. شارك في الأربعينيات والخمسينيات في العديد من المشروعات التجريبية التي نفذت في مكتب البحوث الاجتماعية التطبيقية (الذي أسسه هو نفسه مع بول لازارسفيلد)، وكانت إحداها دراسة عن حملة إذاعية، عرفت باسم آلة الحرب (War-bond Drive) تم تلخيصها عام ١٩٤٦ في مجلد بعنوان **الاقناع الجماهيري** (*Mass Persuasion*). وكان من إسهاماته الأخرى إعادة تفسيره نتائج الدراسات التي أجراها صمويل ستوفر وفريقه وقت الحرب حول الجندي الأمريكي التي أسفرت عن مقالة ذائعة الصيت ومؤثرة حول الجماعات المرجعية، ونشرت عام ١٩٥٠. وكاد ميرتون أن يتوجه كلية، في السنوات الأخيرة، نحو الأعمال التنظيرية، لكنه حاول دائماً أن يربط النظرية بالبيانات التطبيقية الغنية.

حصل ميرتون على أعلى آيات التقدير الأكاديمي، ومن بينها حصوله على ٢٤ درجة دكتوراه فخرية من جامعات من مختلف أنحاء العالم، ومنحه الرئيس الأمريكي عام ١٩٩٤ أرفع تقدير أكاديمي،

وهو الميدالية الوطنية للعلوم. صدرت كتبه في طبعات دولية متعددة، وبخاصة أبرزها، أي **النظرية الاجتماعية والبناء الاجتماعي** الذي ظهر في أكثر من عشرين لغة. وضمن هذا الكتاب لنفسه مكاناً بين أهم خمسة كتب في علم الاجتماع في القرن العشرين، وفق رصد الجمعية السوسيولوجية الدولية، ليقف بجوار الأعمال الكلاسيكية لفيبر ودوركهايم. توفي ميرتون في ٢٤ شباط/فبراير عام ٢٠٠٣ في نيويورك.

هناك سببان رئيسان يجعلاننا نشير عادة إلى أعمال ميرتون على أنها أعمال «كلاسيكية سوسيولوجية حديثة». **أولهما** أنه قدم إسهاماً مستمراً في النظرية السوسيولوجية العامة، وكذلك في بعض النظريات الخاصة في الفروع السوسيولوجية الدقيقة. وكان ذلك الإسهام على قدر كبير من الأهمية في تخصصي علم اجتماع العلوم وعلم اجتماع الشذوذ، حيث لا تزال هناك «مدارس» تتبع ميرتون، تعمل في هذه التخصصات. **وثانيهما** أنه قام بتبسيط موضوع محدد مميز وهو الأسلوب «الكلاسيكي» للتنظير السوسيولوجي ومفهوم التكون (Formation).

قدّم ميرتون وصفاً لتوجهين نظريين، هما: التحليل الوظيفي والتحليل البنائي (وقد وصف التحليل البنائي بمنأى عن الاستخدام الحالي لـ«البنيوية» أو «ما بعد البنيوية»). يعتبر ميرتون أن الوظيفية تعني ممارسة تفسير البيانات من خلال تطبيق نتائجها على الأبنية الأكبر التي ترتبط بها. ونشر ميرتون عام ١٩٤٩ عمله الشهير حول

التحليل الوظيفي الذي أرسى رؤية مرنة ومراجعة عميقة للوظيفية، تسمح بصيغ مفهومية للصراع الاجتماعي والتغيير الاجتماعي. ولم يؤكد ميرتون الوظائف فحسب، بل أكد أيضاً المعوقات (Dysfunctions) المتنوعة في النظام الاجتماعي، مع ما أطلق عليه متغير «توازن النتائج الوظيفية» الذي يمكن أن يظهر في العلاقات المتوافقة والمتضاربة أيضاً. إن تأثير توازن بعينه ليس بالضرورة توزاناً متكافئاً ومنتظماً وذا استمرارية (كما هي الحال في «الوظيفية البنائية المبكرة» لتالكوت بارسونز)، بل قد يكون أحياناً غير متوازن وغير منتظم وغير مرتب، ويحدث بالتالي تغييراً اجتماعياً. وبعد ربع قرن ـ عام ١٩٧٥ تحديداً ـ كتب ورقة علمية مهمة حول «التحليل البنائي في علم الاجتماع» بسط فيه تأصيلاً سوسيولوجياً، مؤكداً شبكة العلاقات التي تقع في داخلها مكونات النظام. إن التحليل البنائي هو نتاج طبيعي، ومكمل للتحليل الوظيفي. وبينما يحدد التحليل الوظيفي نتائج الظاهرة الاجتماعية على سياقها البنائي المختلف، فإن التحليل البنائي يبحث في محددات الظاهرة في سياقها البنائي.

يوجد أفضل نماذج التحليل الوظيفي ـ البنائي لميرتون في نظريته الشهيرة عن الاضطراب الاجتماعي (Anomie)، وهي الحال التي تفهم على أنها حال بنائية للتفاوت بين مطالب النجاح الثقافية وفرص النجاح الفعلية، وتظهر حال الاضطراب الاجتماعي لخلق عدة أشكال من السلوك غير المألوف ـ مثل السلوك «الإبداعي»، أو

«الطقوسي»، أو «الانسحابي»، أو «المتمرد» ـ اعتماداً على السياق البنائي الأوسع الذي يظهر في داخله. وفي المقابل، فإن هذه الصور العديدة من الابتعاد عن النظام القيمي السائد لها تأثيرات مختلفة في وظيفية النظام ككل، وتؤدي أحياناً إلى حدوث التغيير الاجتماعي. ويشير التوجهان بوضوح إلى وجهين لعملة واحدة، ويتناولان وسيطين للعلاقة نفسها بين الظاهرة الاجتماعية ووضعها البنائي.

ويوجد تطبيق خاص للتوجه البنائي في علم الاجتماع لدى ميرتون، وهو المجال الذي يكون علم الاجتماع التطبيقي لدى التجمعات العلمية باعتباره منتقياً وموزعاً للمعرفة العلمية. وبجانب تناوله الشامل لجوانب هذا التخصص السوسيولوجي العلمي الدقيق، أسهم ميرتون بأفكار مهمة في موضوعاته البؤرية الثلاثة: الأخلاقيات العلمية، والجماعة العلمية، وجذور العلم الحديث.

كان تحليل الأخلاقيات العلمية قد تم في سياق النقد السائد لمصير العلم في ظل النظام النازي الشمولي في ألمانيا، وأظهر ميرتون أن النظام الذي يعمل وظيفياً بصورة جيدة هو النظام الديمقراطي الليبرالي، وآمن بأن مستقبل العلوم مرتبط بانتشار الوضع والمؤسسات الديمقراطية. ويرى ميرتون أن الأخلاقيات العلمية تبدو على أنها نموذج مصغر للأخلاقيات الديمقراطية، وهي تعرف كما يلي: «إن الأخلاقيات العلمية هي بدرجة كبيرة عبارة عن مجموعة معقدة من القيم والمعايير التي تفرض على العلماء». والقيمتان الرئيستان هما: الموضوعية (الالتزام بتحصيل المعرفة بالقدر الملائم والتام بقدر

الإمكان)، والأصالة (الالتزام بتحصيل معرفة جديدة)، وتحدد المعايير أو «الاحتياجات المؤسسية» الوسائل المقبولة أو المفضلة لتحقيق هذه القيم. وهناك أربعة منها، وهي: «النزعة العالمية» التي تتطلب من العلم أن يكون غير شخصي، و«الشيوعية» التي تتطلب أن تعامل المعرفة العلمية، ليس بوصفها ملكية خاصة لمبتكرها، بل باعتبارها سلعة عامة، يتم الوصول إليها وتوزيعها مجاناً، و«نزعة عدم وجود المصلحة» التي تطالب بإخضاع المصالح الخارجية (العرضية) لحالة الرضا الداخلية (الجوهرية) في التوصل إلى الحقيقة، ثم نزعة «الشكوكية المنظمة» التي تتطلب من العالم أن يكون شكاكاً، ثم يختبر هذا الشك ومدى صحة وجوده من عدمها. ويتم ذلك من خلال النقد العام الذي يقوم به العلماء وإسهاماتهم في المعرفة العلمية.

كان ميرتون مدركاً جيداً هذه الصورة المثالية للأخلاقيات العلمية التي نادراً ما توجد في الواقع العملي. يكمن السبب الأكثر أهمية للشذوذ عن هذه الأخلاقيات في الأخلاقيات العلمية نفسها، فالسلوك غير المألوف في العلوم يشتق أساساً من القيم الكبرى المفروضة على الأصالة، حيث تكون فرص وإمكانات إنجاز نتائج أصيلة أكثر اعتماداً على المهارات الشخصية (مثل الذكاء والقدرات والتنافس)، وعلى القيود البنائية (محدودية المصادر، وتخلف الثقافة العلمية، وعدم توافر التكنولوجيات التجريبية، وما إلى ذلك): «وفي هذا المجال، فإنه يتم استدعاء جميع وسائل السلوكيات للتطبيق، ويكون بعضها متجاوزاً القيم العلمية». ويمكن أن تتضمن النماذج

تزوير أو تلفيق المعلومات أو إدانة المنافسين، أو العدوانية الشخصية أو الاستسهال.

يتناول ميرتون مظهراً آخر للعلم، هو الجماعة (المجتمع) العلمية، وهو عبارة عن نوع محدد من التنظيم الاجتماعي الذي يكونه العلماء في دور علاقاتهم السلوكية والمتبادلة والتفاعلية. وهناك العديد من النظم الفرعية داخل المجتمع العلمي، **أولها** «نظام اليقظة المؤسسية» لتناول وتقييم ونقد والتأكد من النتائج العلمية من قبل النظراء الأكاديميين. **وثانيها** «النظام الاتصالي للعلم» وهو الآلية المعقدة للنشر العلمي التي تجعل النتائج ملموسة. وهنا يقوم ميرتون بإدخال الاستعارة الإنجيلية (نسبة إلى الكتاب المقدس) ومفهوم «أثر ماثيو» (كاتب السفر الأول في العهد الجديد) ملاحظاً أن الأعمال المنشورة من قبل علماء معترف بهم كان لديها حظٌ أوفر في المجتمع العلمي، مقارنة بأعمال تساويها في الأهمية والأصالة لعلماء آخرين أقل شهرة منهم. وهناك مفهوم آخر وهو «المحو من خلال الإدراج» (Obliteration by Incorporation) الذي يوجد في وضع يكون فيه كل من المصادر الأصلية والصياغة الدالة للفكرة أمراً مغفوراً بالنظر إلى الاستخدام الشائع والمتواصل لها. تشير عبارة «الوسائط المعرفية» (Cognitive Conduits) إلى انتشار وتوارث الأفكار بمرور الزمن. وهناك نظام فرعي آخر للمجتمع العلمي هو الآليات المعقدة للتقدير العلمي وتخصيص الجوائز التي يتم الانحياز فيها ـ مرة أخرى ـ لصالح علماء معروفين. وتؤدي هذه العمليات كلها إلى ظهور نظام علمي متعدد

الفئات، ويرتبط باختلاف العلماء النمطي وفقاً لمعايير محددة. أخيراً، هناك «النظام العلمي الخاضع للتأثير غير الرسمي»، وهو عبارة عن شبكة من الصلات والمصالح والصداقات والولاءات الشخصية التي تتقاطع مع النظم الأخرى، وتقوم بإحداث تعديل ملموس في طريقة عملها. وأولى ميرتون أكبر قدر من اهتمامه هذا المجال غير الواضح، مركزاً بصورة كبيرة على المفهوم الذي ظهر في القرن السابع عشر، وهو «الرابطة العلمية الخفية» (Invisible College) (الذي استخدم للمرة الأولى على يد ديريك دي سولا بريس)، وكذا فكرة «الفكر الجمعي» التي ظهرت في القرن العشرين على يد لودفيغ فليك.

وفي الواقع، فإن ثالث أهم اهتمامات ميرتون بالعلوم، وحصل ذلك منذ بداياته العلمية الأولى، هو الأصول التاريخية للعلوم وتطورها التالي. وفي أطروحته للدكتوراه، قام ميرتون بدراسة جذور العلوم التجريبية في إنكلترا في القرن السابع عشر، ولاحظ فيها وجود صلة بين الالتزامات الدينية والاهتمام المستمر بالعلم. وذكر أن العلماء الإنكليز في هذه الفترة كانوا بروتستانت أو بيوريتانيين. واعتبرت القيم والمواقف التي تتسم بالجنوح إلى البروتستانتية ذات تأثير كبير في تيسير عمل البحوث العلمية من خلال ابتكار الرهان التجريبي للتعريف بالنظام الذي خلقه الرب في العالم وتطبيقاته العملية، ولأنهم قاموا بشرعنة البحث العلمي من خلال التبرير الديني. وبمجرد حصول العلم على الشرعية المؤسسية، فإنه عمد إلى خدمة صلته بالدين، ثم أصبح في النهاية قوة مضادة ومحداً من نفوذ الدين، لكنه اعتبر الدين أمراً مهماً للغاية.

ويرتبط فكر ميرتون كثيراً بالأعمال السوسيولوجية الكلاسيكية للقرن التاسع عشر، وهي الأعمال التي قام بتطويرها وبسطها أمام القراء. واتخذ ميرتون مواقف متوازنة ومعتدلة حول العديد من القضايا التقليدية، وكشف أوجه صعوبتها للوصول إلى لب منطقها. وكان صاحب موقف قوي للغاية ضد المواقف المتطرفة، ولعل أشهر تجسيد لذلك هو استراتيجيته حول «نظرية المدى المتوسط» القائمة على رفض النزعة التجريبية الضيقة والتنظير المختزل والمفرط في النزعة العلمية. وكانت السمة الدائمة في أعماله قد رسخت من خلال تكرار استخدام ما أطلق عليه «النماذج» (Paradigms) قبل قيام توماس كون بنشر الكلمة بمعنى مختلف. وبالنسبة إلى ميرتون، فإن النموذج (المعبر عن حقيقة شيء ما) عبارة عن وسيلة عملية تهدف إلى إدخال قياس للنظام في التحليل السوسيولوجي النوعي والتسلسلي، من خلال تقنين (Codifying) نتائج التقصي السابق وتحديد الاتجاهات لمزيد من الأبحاث، وهو ما سمح له بإدخال مزيد من مقاييس النظام والتنظيم (Systemization) في الإرث الكلاسيكي، بحيث يصبح توليف الأفكار أكثر من مجرد تلخيص للأفكار السابقة بجمعها انتقائياً، ويصبح أيضاً صياغة نقدية وتراكماً للمعرفة.

وتتنوع اهتمامات ميرتون التجريبية بالموضوعات المختلفة تنوعاً كبيراً، تتراوح من متعاطي المخدرات إلى المتخصصين، ومن الانقسام إلى الزمن الاجتماعي، ومن تكوين الصداقات إلى تصارع الأدوار، ومن التحليل الوظيفي إلى الأخلاقيات العلمية، ومن التعليم

الطبي إلى الاكتشافات المتنوعة، ومن البناء البيروقراطي إلى جذور العبارات الحكيمة القصيرة في العصور الوسطى، وما إلى ذلك. وعمد ميرتون إلى تناول العديد من الموضوعات هنا وهناك، ثم تناولها تناولاً منهجياً متعمقاً، استغرق أحياناً عدة سنوات. وكان من أقوى إسهاماته سكه العديد من المفاهيم الدقيقة، وكما عرف جوانب جديدة للحياة الاجتماعية التي وجد أنها ذات أهمية سوسيولوجية، فإنه سك مفاهيم وعبارات جديدة لتحديدها. ودخل العديد منها ليس في مفردات العلوم الاجتماعية فحسب، بل في مفردات الحياة اليومية أيضاً. ويمكن أن تشمل قائمة المصطلحات التي سكها ميرتون ودخلت في سياق علم الاجتماع المعاصر: الوظائف الواضحة والكامنة، والمعوقات (Dysfunctions)، وتنبؤ الإشباع الذاتي (Self-Fulfilling Prophecy)، وحب الذات وحب الغير، وصور المكانة وصور الوضع، وأبنية الفرصة، والتحول الاشتراكي المتوقع، ونظريات المدى المتوسط، وغير ذلك من المفاهيم والمصطلحات.

وكانت أهم خدمة أسداها ميرتون لتطور علم الاجتماع المعاصر هي تبرير استخدام الأسلوب الكلاسيكي في علم الاجتماع والإرث الكلاسيكي للأفكار التنظيرية. واكتسبت مظاهر الفكر الكلاسيكي أهمية جديدة في أعمال ميرتون لأنها بدت مفيدة للغاية، سواء من الناحية التفسيرية كوسائل لحل الألغاز التي تواجه الأطراف الاجتماعيين، أم من الناحية العملية كوسائل لإثارة قضايا جديدة واقتراح حلول جديدة.

انظر أيضاً: تالكوت بارسونز.

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists:* Emile Durkheim, Max Weber.

■ أهم الأعمال:

Social Theory and Social Structure (1949). New York: Free Press. Revised ed. (1957); enlarged and revised ed. (1968).

Science, Technology and Society in Seventeenth-century England. (1970). New York: Harper and Row.

The Sociology of Science: Theoretical and Empirical Investigations (1973). Chicago, IL: University of Chicago Press.

Sociological Ambivalence and Other Essays (1976). New York: Free Press.

هناك اقتباسات مختلفة موجودة في: Piotr Sztompka (ed.) (1996). *On Social Structure and Science*. Chicago, IL: University of Chicago Press. (Heritage of Sociology)

Mass Persuasion: The Social Psychology of a War Bond Drive (2004). With the assistance of Marjorie Fiske and Alberta Curtis; introduction by Peter Simonson. New York: H. Fertig.

■ قراءات إضافية:

Piotr Sztompka (1986). *Robert K. Merton: An Intellectual Profile.* London: Macmillan; New York: St. Martin's Press.

Charles Crothers (1987). *Robert K. Merton.* London: Tavistock.

Jon Clark, Celia Modgil and Sohan Modgil (eds.) (1990). *Robert K. Merton: Consensus and Controversy*. London: Falmer Press.

س. رايت ميلز C. Wright Mills

هو مفكر وعالم اجتماع راديكالي، كتب القسم الأكبر من مؤلفاته خلال الحرب الباردة، وكان شخصية مثيرة للجدل للغاية في العلوم الاجتماعية الأمريكية في عهده. ولد ميلز في واكو (Waco) بتكساس في ٢٨ آب/أغسطس عام ١٩١٦، لأبوين من الطبقة المتوسطة ومن ذوي أصول إنكليزية إيرلندية، وعرف دائماً خارج أسرته باسم رايت. يقول عن حياته، في مخطوط غير منشور مرسل إلى صديق سوفياتي متخيل، ما يلي:

«ابن رجل من ذوي الياقات البيضاء ويسافر طوال الوقت، ترعرعت برعاية أم، وكنت بذلك فتى مدللاً حتى عامي الجامعي الأول، وهكذا أرسلت إلى الأكاديمية العسكرية «لتجعل مني رجلاً». لكن ذلك الأمر لم يفلح، لقد أفلح، لقد كان ذلك غلطة، كان أفضل شيء، ثم قمت بثورة. وتحولت هذه الثورة، بفضل أساتذة محددين، إلى منحى ثقافي. كما جعلتني العزلة غير مستقر روحانياً. وأصبحت

هذه الحالة الروحانية حالة سياسية بسبب طبيعة هذه الفترة. ولأنني اعتدت أن أكون ذكياً، بأي قدر كان، فابتعدت عن ذلك. وأحببت ذلك كثيراً بفضل الحظ والظروف والغريزة والإدمان الأيرلندي للكلمات».

التحق ميلز بعد المدرسة الثانوية بكلية تكساس الزراعية والميكانيكية في العام ١٩٣٤ ـ ١٩٣٥، وفي الأعوام الأربعة التالية التحق طالباً في جامعة تكساس بأوستين، حيث حصل منها على درجتي البكالوريوس والماجستير في علم الاجتماع معاً في العام ١٩٣٩. وحصل على زمالة بحثية، وتم قبوله في برنامج للدكتوراه في علم الاجتماع في جامعة ويسكونسن في ماديسون بإشراف ب. بيكر.

قبلت دراسته للدكتوراه التي حملت عنوان: رصد سوسيولوجي للبراغماتية: دراسة حول علم اجتماع المعرفة، وحصل على الدرجة في أيلول/سبتمبر عام ١٩٤٢. وفي العام السابق على إتمام دراسته هذه عين أستاذاً مساعداً لعلم الاجتماع في جامعة ميريلاند في كلية بارك. وحصل في العام ١٩٤٥ على وظيفة باحث في مكتب البحوث الاجتماعية التطبيقية في جامعة كولومبيا بنيويورك، حيث عمل مع بول لازارسفيلد. وقبل العمل في منصب أستاذ مساعد في جامعة كولومبيا، واستقال من وظيفته في ميريلاند. وظل ملتحقاً حتى نهاية حياته بالعمل في جامعة كولومبيا التي منح فيها عام ١٩٥٦ منصب أستاذ. على أي حال، فإنه قضى الكثير من

الوقت أستاذاً زائراً إلى جامعات أخرى في الولايات المتحدة وأوروبا، بما فيها جامعات شيكاغو وبرانديز وكوبنهاغن.

تناول ميلز في دراسته الدكتوراه دور البراغماتية الأمريكية في التحول المؤسسي للتخصصية في التعليم العالي. وركز على تأثير كل من تشارلز بيرس ووليام جيمس وجون ديوي، وندم لاحقاً على تجاوزه لجورج هربرت ميد. وكانت البراغماتية أول مصادره وأهمها في الإلهام التنظيري. وناقش قضايا فلسفة المعرفة، مع الإشارة إلى أعمال ميد وديوي على وجه الخصوص، في الأوراق العلمية التي نشرها خلال وجوده في تكساس. وكما يشير إرفنغ ل. هوروفتز في كتابه عن السيرة الذاتية لميلز، فإن فكرة ميد عن الذات، على أنها أمر اجتماعي، أصبحت نقطة بدء مهمة لأفكار ميلز حول العلاقة بين الأبنية الفردية والاجتماعية، أو ـ كما أشار لاحقاً في كتابه **التخيل السوسيولوجي** ـ العلاقة بين التاريخ والسيرة الذاتية. وفي إحدى الأوراق العلمية المبكرة التي نشرت عام ١٩٣٩ حول «اللغة والمنطق والثقافة» استكمل ميلز البناء فوق نظرية ميد عن الذات وفوق أفكار كارل مانهايم لعلم اجتماع المعرفة لتطوير فهم أكثر نضالية وتوجيهاً للاتصال الاجتماعي، أكثر مما احتوته أفكار ميد الأصلية.

اهتم ميلز أيضاً بالفكر السوسيولوجي الأوروبي المعاصر، وعلم اجتماع المعرفة، كما يراه مانهايم حاضراً بقوة في كتابات ميلز. وكان أحد كتبه الأولى ـ الذي ألفه بالاشتراك مع هانز جيرث مدرس مساعد سابق لكارل مانهايم ـ ترجمة وتحريراً لأعمال ماكس فيبر.

ونشر ميلز عام ١٩٤٨ كتابه **الأول**: *The New Men of Power America's Labor Leaders* الذي كان قائماً على دراسة النقابات والقيادات النقابية في الولايات المتحدة قبيل الحرب الباردة، من ضمن ما يعتبر ثلاثية ميلز عن المجتمع الطبقي الأمريكي وبناء السلطة. ونشر كتابه **الثاني** ـ في هذه الثلاثية ـ *White Collar, The American Middle Classes* عام ١٩٥١، أما الكتاب **الأخير** *The Power Elite* فقد نشر عام ١٩٥٦. ارتكز الكتاب الأول على دراسة حول خمسمئة شخص من قيادات العمال الأمريكيين الأكثر تأثيراً، وأجريت الدراسة بمعرفة مكتب كولومبيا للبحوث الاجتماعية التطبيقية (BASR) ، وتحتم أن تأخذ شكل دراسة كمية. وكما أشار ميليباند، كانت الدراستان الأخريان أكثر أصالة وتفوقاً، لكن يجب النظر إلى الدراسة الأولى في ضوء الوضع المعاصر التي وضعت في سياقه. ويمكن اعتبار قيادات العمال نخبة بين أقرانهم، ومع هذا، فكر ميلز حقيقة في أن النقابات ستؤدي إلى تحقيق وضع مختلف للأفراد العاديين في الولايات المتحدة. على أي حال، كان ذلك قبيل الحرب الباردة وحلول مناخ سياسي مختلف.

يمثل كتاب *White Collar* استمراراً لدراسته حول المطابقة الاجتماعية، ويركز على الفئة الوسطى الأمريكية الناشئة من أصحاب الوظائف: عمال المكاتب، الممرضات، المدرسون، مديرو ومندوبو التأمين الذين تعتبر قيمهم غير سياسية، لكنها قيم محافظة في الوقت ذاته وتتعارض مع النزعة الفردية التقليدية للفئات الوسطى الأمريكية.

ويرى ميلز أن «التحول من مهارات الأشياء إلى مهارات الأشخاص» يعني أن «أصحاب الياقات البيضاء» سيبيعون خدماتهم، وستظهر «سوق شخصية» حيث سيتم تدريس ردود الفعل الشعورية «الصائبة» في مقررات. ومن ثم، سوف ترتبط وظائف ذوي الياقات بنوع مختلف من الاغتراب عن العمل الإنتاجي. وحظي هذا العمل بأكثر ردود الفعل إيجابية وإشادة تجاه أعمال ميلز من جانب النقاد والقراء العاديين.

ويركز الكتاب الثالث في هذه الثلاثية، *The Power Elite*، على ثلاثة مراكز للسلطة في المجتمع الأمريكي، وهي الأثرياء المتحدون، والقيادة العسكرية، والإدارة السياسية. ونظراً إلى حيازة الطرف الأول قاعدة قوة تقليدية في الأعمال الإقليمية، فإن الشركات أصبحت نخبة قومية وإدارية بصورة متزايدة داخل الشركات التي حلت محل فئة الملاك التي كونت أرباحها من الملكية. وكان الجيش قد أصبح خلال الحرب الباردة أكثر استقلالاً وبعداً عن السيطرة السياسية، وهي السمة التي اهتم ميلز بها كثيراً. وتتكون ما يطلق عليه ميلز الإدارة السياسية من عدد قليل من الأشخاص النافذين في الفرع التنفيذي للدولة، والذين دعموا قوتهم في المجال السياسي في فترة ما بعد الحرب الباردة. وكانت الشخصيات السياسية الأكثر قوة هي تلك الشخصيات الأوثق صلة بعالم الشركات وذات الصلات الوثيقة داخل الجيش. وجسّد ميلز هذا المزيج من المجموعات الثلاث في «نخبة سلطة» واحدة.

كونت هذه الكتب الثلاثة معاً أهم دراسات ميلز التطبيقية. وما زال كتابا *White Collar* و*The Power Elite* يقرآن على نطاق واسع، ويلهمان البحوث المعاصرة، مثل عمل أرلي هوشكيلد الذي يحمل عنوان *The Managed Heart*، ومؤلف ريتشارد سينيت *The Corrosion of Character*.

ولم يكن ميلز باحثاً تطبيقياً فحسب، بل كان محللاً وكاتباً سياسياً وراديكالياً أيضاً، وعندما وصل كاسترو إلى السلطة في كوبا عام ١٩٥٩، لم يكن ميلز ـ وفقاً لما تورده خطاباته الشخصية - مدركاً، بدرجة ما، أهمية الحدث بالنسبة إلى أمريكا اللاتينية والولايات المتحدة نفسها أيضاً. وقام بعد ذلك، عام ١٩٦٠، بزيارة كوبا مدة أسبوعين، وقابل كاسترو وتشي غيفارا من بين آخرين خلال هذه الزيارة. ويبدو أن أكثر ما أدهشه هناك هو الرعاية الصحية والنظم التعليمية، وما فسره ميلز بأنه اشتراكية مستقلة. ووضع ميلز كتاب *Listen Yankee: The Cuban Case against the United States* من وجهة نظر الثورة الكوبية التي فسرت الوضع في بلاده وعلاقتها بالولايات المتحدة أمام القراء الأمريكيين. ووصل ميلز في هذا الكتاب إلى دائرة من القراء أوسع مما كان يتمتع به من قبل: نصف مليون نسخة بيعت، وترجم الكتاب إلى الأسبانية واليونانية والإيطالية. وجذبت وجهات نظر ميلز السياسية الراديكالية خلال ذروة الحرب الباردة، وبخاصة دفاعه المستميت عن الثورة الكوبية، انتباه مكتب التحقيقات الفيدرالي نحوه، وواصل التجسس عليه لعدة سنوات،

وتلقى تهديدات متعددة بالاغتيال على يد عملاء أمريكيين في زيارته التالية إلى كوبا.

كانت النقاشات العامة حول كتاب *Listen Yankee* والاهتمام بشخصية ميلز أمراً متعباً، كما رأى هو شخصياً، وظل يعاني التوتر الزائد لسنوات. وتقرر في بداية عام ١٩٦١ أن يظهر في مقابلة تلفزيونية مع سناتور محافظ حول موضوع كوبا، لكنه أصيب بأزمة قلبية حادة قبيل الموعد المحدد بيومين. وبالرغم من تعافيه من هذه الأزمة، فقد مات من أزمة قلبية أخرى بعدها بخمسة عشر شهراً في ٢٠ آذار/مارس عام ١٩٦٢، تاركاً وراءه ثلاثة أطفال وزوجة وزوجتين سابقتين.

كان ميلز كاتباً وعالماً متحمساً، ومع الأخذ في الاعتبار حياته القصيرة، فإن الكتب الثمانية التي ألفها بمفرده، والأربعة كتب التي ألفها بالاشتراك مع آخرين، مضافاً إليها العديد من المقالات والأوراق العلمية تظهر جميعها أنه مؤلف منتج، وكانت وجهات نظره مميزة ومباشرة. يقال إنه كان يصنع أعداء أكثر من الأصدقاء في يومه، وأنه شخص صعب المراس لا يمكن مرافقته بسهولة. وكانت الفترة التاريخية التي قام فيها بالبحث والنشر تتسم بمواقف وقيم تسير عكس اتجاهه، إذ كان المجتمع الأمريكي خلال فترة الحرب الباردة متأثراً بشدة بالتحفظ والشك إزاء الأفكار العلمية السياسية والاجتماعية الراديكالية. وكان علم الاجتماع الأمريكي متأثراً بهذا المناخ، ورأى ميلز أن ذلك أمر

ناقص ورأى أيضاً أن التوجهات الأكثر هيمنة هي تلك المرتبطة «بالنظرية» (النظرية الكبرى) أو «المنهج» (التجريبية المختزلة). ويعتبر الممثل الأبرز لما سبق هو تالكوت بارسونز، وبول لازارسفيلد المشرف على ميلز في مكتب البحوث الاجتماعية التطبيقية والشخصية الأهم فيه. وتزايد انتقاد ميلز السابق في عمله **التخيل السوسيولوجي** وهو الكتاب الذي يختصر الكثير من أفكار ومثل ميلز طوال حياته الفكرية. ويضع فيه رؤية لما يعتقد أنه يجب أن تكون عليه حال علم الاجتماع، إضافة إلى نقده أخطاء علم الاجتماع المعاصر، ويقول فيه: «يمكننا التخيل السوسيولوجي من فهم التاريخ والسيرة الذاتية والعلاقات بينهما داخل المجتمع». وأحد وجهات النظر الرئيسة في هذا الكتاب، وأهمها أيضاً في أعمال ميلز ككل، هي فكرة وجوب أن يركز جوهر علم الاجتماع على كيف تتحول «المشكلات الخاصة» إلى «مشكلات عامة» أيضاً. ولا يمكن للسيرة الذاتية أن تفهم إلا في سياق التاريخ، ولا يمكن للتاريخ أن يصبح مفهوماً من دون فهم الناس الذين يعيشون في سياقه. إن علم الاجتماع هو حول تقاطع الاثنين، وهو أحد الأهداف الرئيسة للتخصص العلمي لمساعدة الناس على فهم أفضل للمجتمعات الأكبر التي يعيشون فيها. وسيتعلم أي قارئ أو طالب أو عالم شيئاً ما من أفكار ميلز حول القيام بالأبحاث ومن تصميم المشروعات لتطوير المفاهيم المحددة في الملحق الذي يحمل عنوان «حول الاحتراف الفكري».

انظر أيضاً: رالف ميليباند.

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists:* George Herbert Mead, Karl Marx, Max Weber.

■ أهم الأعمال:

The New Men of Power: America's Labor Leaders (1948). New York: Harcourt, Brace and Company.

White Collar: The American Middle Classes (1951). New York: Oxford University Press.

The Power Elite (1956). New York: Oxford University Press.

The Sociological Imagination (1959). London: Penguin.

Listen Yankee: The Cuban Case against the United States (1960). New York: Ballantine.

Power, Politics and People: Collected Essays (*Essays of 1930s and 1940s*) (1963). New York: Oxford University Press.

Sociology and Pragmatism: The Higher Learning in America (1964). Edited with an introd. by Irving Louis Horowitz. New York: Oxford University Press.

■ قراءات إضافية:

Irving Louis Horowitz (ed.) (1964). *The New Sociology: Essays in Social Science and Social Theory in Honor of C. Wright Mills*. New York: Oxford University Press.

Irving Louis Horowitz (1984). *C. Wright Mills: An American Utopian*. New York: Free Press.

Kathryn Mills, Pamela Mills and Dan Wakefield Mills (eds.) (2000). *C. Wright Mills: Letters and Autobiographical Writings*. Berkeley, CA: University of California Press.

رالف ميليباند Ralph Miliband

قد يكون رالف ميليباند أكثر علماء الاجتماع السياسي الماركسيين شهرة من بين الذين كتبوا باللغة الإنكليزية في النصف الثاني من القرن العشرين، وتركز إسهامه في أجندة البحوث الاجتماعية وفي حركات الاحتجاج الطلابية في تلك الفترة. كان ذلك متسقاً مع تفكيره الشخصي، لأنه اعتبر دائماً أن الأعمال العلمية جزء لا يتجزأ من النشاط السياسي.

ولد ميليباند في ٧ كانون الثاني/يناير عام ١٩٢٤ في بروكسل لأسرة من المهاجرين اليهود البولنديين، وفر إلى بريطانيا مع أبيه في أيار/مايو عام ١٩٤٠ قبيل استسلام بلجيكا لألمانيا. وبالرغم من وصوله إلى لندن بقدر يسير من إتقان اللغة الإنكليزية، إلا أنه تمكن في خريف العام ١٩٤١ من الحصول على فرصة للالتحاق بمدرسة لندن للاقتصاد التي درس فيها السياسة حتى انضمامه للبحرية في حزيران/يونيو عام ١٩٤٣. عاد بعد الحرب ليكمل درجته العلمية في

مدرسة لندن للاقتصاد، حيث كوّن الجانب الأكبر من شخصيته العلمية. تأثر بشدة بالرد القمعي على حركة الاحتجاج الطلابية في أواخر الستينيات، وانتقل إلى جامعة ليدز عام ١٩٧٢، وأصبح أستاذاً للسياسة ورئيساً لأحد الأقسام. غير أن ذلك لم يكن يناسبه، فاستقال عام ١٩٧٨، وقام بتقسيم وقته بين أمريكا الشمالية، حيث حصل على عدة مراكز أستاذية (Professorships)، ولندن التي قضى فيها غالبية وقته المخصص لكتابة أعماله وأبحاثه. توفي في العام ١٩٩٤.

من أوائل من أثروا في فكره هارولد لاسكي الذي كان يعمل في مدرسة لندن للاقتصاد، وأصبح لاسكي ذو الالتزام الاشتراكي القوي المتداخل مع الحياة الأكاديمية، مشرفاً على ميليباند وصديقاً له، وشجعه على دراسة تاريخ الأفكار السياسية. على أي حال، فإن تطور شخصية ميليباند الفكرية دفعه إلى عدم الاقتناع بهذا النمط من التحليل في ما يتعلق بالدور الذي تؤديه القوة الاجتماعية والسياسية بوصفه الدور الرئيس في تشكيل السلوك السياسي والمؤسسي. وكان التأثير الثاني الذي لا يزال أكثر أهمية هو تأثير س. رايت ميلز الذي كوّن معه صداقة حميمة عام ١٩٥٧. كان كتاب **نخبة السلطة** *The Power Elite* (لميلز) قد نشر للتو، وأسفر عن تأثر ميليباند القوي بمنهجه ودفعه إلى تبني منهج أكثر نزوعاً نحو علم الاجتماع. ومع هذا، فقد اختلف الاثنان في جانبين أساسيين: بينما أكد ميلز تكامل الحركة العمالية وأهمية المثقفين في إحداث التغيير، فإن ميليباند نظر إلى الصراع الطبقي على أنه أمر محوري، وآمن بوجوب أن تلعب

الطبقة العاملة الدور الرئيس في إحداث تحولها. على أي حال، كان تصوره السابق مرتبطاً بالعلاقات المعقدة بين السياسة وأبعاد السلطة الأخرى.

كانت هذه الاهتمامات ملموسة في أول كتبه الكبيرة **الاشتراكية البرلمانية: دراسة في سياسات حزب العمال** الذي كان نقداً ذائع الصيت ومؤثراً للغاية في سياسة حكومة حزب العمال (في بريطانيا)، ورأى ميليباند في هذا الكتاب أن فشل حكومات العمال يعود في المقام الأول إلى طبيعة الحزب نفسه، وبدرجة أقل إلى قيادته الخادعة. وتناول مفهوم «النزعة العمالية» الاختلافات بين الاشتراكيين وغير الاشتراكيين، وعنى أن تفضيل البرلمان والدستور سيظل مهيمناً على النشطاء الذين يعملون أساساً على مطالب الطبقة العاملة. ولا يمكن تحقيق التغيير الاجتماعي، كما يرى ميليباند، إلا بتبني الحزب التزاماً شاملاً بالاشتراكية، وليس بمجرد إحداث إصلاح اجتماعي. وبالرغم من تركيز هذا الكتاب على بريطانيا، فإنه أثار العديد من القضايا العامة حول السلطة والأيديولوجيا بطريقة لافتة، ونوقشت هذه القضايا بوضوح أكثر من خلال التحليل المقارن في كتابه **الدولة في المجتمع الرأسمالي**.

كانت التعددية الاتجاه السائد في العلوم السياسية الغربية وقت نشر هذا الكتاب (عام ١٩٦٩). وهو أن هذه السلطة موزعة بين عدد أكبر من المجموعات المتنافسة في المجتمع. وكان الهدف الرئيس لميليباند دحض هذا الادعاء، بإظهار تركز السلطة في المجتمعات

الرأسمالية. وبينما يؤكد أنصار التعددية أن الحكومة تكون منفتحة على التأثر بالأطراف والمجموعات المتنافسة، فإن ميليباند أكد أن المنافسة كانت جائرة دائماً مع قيام الطبقة المهيمنة بدور رئيس مسبق.

وأدى كتابه إلى ظهور العديد من النقاشات داخل علم الاجتماع السياسي، نظراً إلى أن الكتاب كان متخماً بقدر كبير من الأدلة، وكذلك لأنه أثار جدلاً كبيراً داخل الدوائر الأكاديمية الماركسية. وبالرغم من إقرار ميليباند بالإسهام الإيجابي لغرامشي، فإنه أكد أن الماركسيين أفرطوا في الاعتماد على ذكر الدولة بوصفها أداة طيعة في يد الطبقة الحاكمة من دون تقديم تحليل كافٍ للطريقة التي تعمل بها المجتمعات المعاصرة. على أي حال، فإن نيكوس بولانزاس (١٩٣٦ـ١٩٧٩) ـ الذي كان متأثراً آنذاك بصورة كبيرة بألتوسير ومدرسته في الفكر الماركسي ـ انتقد الكتاب لكونه مفرطاً في التجريبية وفي قبول مفاهيم العلوم السياسية السائدة. وهو هاجم ميليباند على وجه الخصوص لتركيزه على الأصول الاجتماعية والشبكات الحالية لموظفي الدولة. وكان توكيده الخاص أن السياسات الحكومية تتخذ انطلاقاً من وضع بنائي للدولة داخل أي مجتمع رأسمالي، وليس من أصول أو علاقات اجتماعية للناس الذي يشغلون مناصب سياسية أو بيروقراطية معينة. وأدى ذلك إلى جدل أكبر حول العلاقات بين أشكال السلطة المختلفة، وأسهم في تجدد الاهتمام بنظرية الدولة.

وركزت غالبية أعمال ميليباند على المجتمعات الرأسمالية المتقدمة، لكنه لم ينظر إلى النظم الشيوعية القائمة على أنها تشكل

أي درجة من «نموذج» الاشتراكية، وأصبح منتقداً بصورة متزايدة للنظم التي تتبع الأسلوب السوفياتي بعد أواخر الستينيات. كان كتابه **الماركسية والسياسة** (*Marxism and Politics*) محاولة لتفسير رجعية هذه النظم وتقديم وجهات نظر بخصوص احتمالات التحول الاشتراكي إلى الديمقراطية، بدلاً من الدكتاتورية. على أي حال، كان المناخ السياسي آخذاً في التحول بسرعة، وعكست ذلك مؤلفاته المتعاقبة. ونشر كتاب **الديمقراطية الرأسمالية في بريطانيا** (*Capitalist Democracy in Britain*)، مع قيام أول حكومة لتاتشر بإعادة بناء حال الرفاهية، وحاول الكتاب تفسير كيف أن المؤسسات والثقافة السياسية البريطانية قيدت من احتمالات الاحتجاج والتغيير. وعمد كتابه **المجتمعات المنقسمة: النضالات الطبقية في الرأسمالية المعاصرة** *(Divided Societies: Class Struggles in Contemporary Capitalism)* إلى إظهار أن الاختلافات في المجتمعات الرأسمالية تظل قائمة بقوة في العلاقات الطبقية، بالرغم من نهوض حركات اجتماعية جديدة وأيديولوجيات مشتركة لسياسة الهوية. أخيراً، أقر في كتابه البارز **الاشتراكية من أجل عصر الشك** (*Socialism for a Sceptical Age*) بفشل الماركسية في القرن العشرين، لكنه أعاد توكيد مقولاته بأن الاشتراكية وحدها هي التي يمكن أن تعمل بوصفها أساساً للمساواة والديمقراطية.

لم يخف ميليباند أبداً انشغاله باعتباره نصيراً، وكان أحد المؤثرين المهمين في اليسار الجديد. ومع هذا، تمكن بوضوح أسلوبه وقدرته على بسط الأفكار المعقدة بطريقة مبسطة، واستقلالية فكره

من أن يتجاوز تأثيره هذه الدوائر المحددة. واكتسبت أعماله أهمية لآرائها الخاصة في أبنية السلطة، ولأنه كان يتحدى القراء ويحثهم على النظر برؤية نقدية في فرضياتهم السياسية والاجتماعية.

انظر أيضاً: س. رايت ميلز.

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists:* Karl Marx.

■ **أهم الأعمال:**

Parliamentary Socialism: A Study in the Politics of Labour (1961). London: Merlin Press. 2nd ed., with new postscript (1972).

The State in Capitalist Society (1969). London: Weidenfeld and Nicolson.

Marxism and Politics (1977). Oxford: Oxford University Press.

Capitalist Democracy in Britain (1982). Oxford: Oxford University Press.

Class, Power and State Power (Essays from the 1970s and 1980s) (1983). London; New York: Verso.

Divided Societies: Class Struggle in Contemporary Capitalism (1989). Oxford: Oxford University Press.

Socialism for a Sceptical Age (1994). Cambridge, UK: Polity Press.

■ **قراءات إضافية:**

Stanley Aronowitz and Peter Bratsis (eds.) (2002). *Paradigm Lost: State Theory Reconsidered*. London; Minneapolis, MN: University of Minnesota Press.

Michael Newman (2002). *Ralph Miliband and the Politics of the New Left*. London: Merlin Press.

David Coates and Leo Panitch (2003). «The Continuing Relevance of the Milibandian Perspective.» in: John Callaghan, Steven Fielding, Steve Ludlam (eds.). *Interpreting the Labour Party: Approaches to Labour Politics and History*. Manchester: Manchester University Press. (Critical Labour Movement Studies Series)

يورغن هابرماس Jurgen Habermas

منظر، وفيلسوف، وناقد اجتماعي وسياسي، وهو معروف بإسهاماته في النظرية النقدية. ويرتكز بعض أهم إسهاماته على اللغة واستخدامها. تدرب أصلاً في (Institut fur Socialforschung) في فرانكفورت، وينتمي هابرماس للجيل الثاني في مدرسة فرانكفورت، وقد بدأ ـ مثل ماكس هوركيمير وتيودور أدورنو ـ في بناء نظرية نقدية في إطار مدرسة هيغل وماركس الألمانية، لكنه سرعان ما اتبع منحى فكرياً مختلفاً. وعلى العكس من مدرسة فرانكفورت الأولى، فإنه كان معنياً بتأكيد الملامح الإيجابية لأفكار عصر التنوير، واعتمد في ذلك على مجموعة كبيرة من المصادر الفكرية التي تتراوح بين التأويلات ونظرية النظام إلى البراغماتية الأمريكية ونظرية الفعل القولي (Speech Act Theory). كما كان له تأثير في العديد من واضعي النظريات الاجتماعيين والسياسيين، سواء أكانوا طلاباً سابقين له ـ مثل هانز جوس، وآكسل هونيث، وتوماس ماكارثي،

وكلو أوفي ـ أم غيرهم مثل كريغ كالون، وجان ـ مارك فيري، ووليام أوثويت، وديفيد راسموسن.

ولد في دوسلدرف عام ١٩٢٩، ودرس في جامعات غوتنجن وزوريخ وبون وفرانكفورت، حيث كان مساعداً لأدورنو، وكتب أطروحة الدكتوراه حول فلسفة فردريك شيلينغ والتطور التاريخي للمجال العام في المجتمع الحديث. قام بالتدريس في هيدلبرغ وفرانكفورت قبل أن يصبح مديراً مشاركاً لمعهد ماكس بلانك في سترانبرغ عام ١٩٧١. وفي الفترة من العام ١٩٨٣ حتى تقاعده عام ١٩٩٣، كان مديراً لمعهد (Sozialforschung) وأستاذاً للفلسفة في جامعة فرانكفورت، كما أصبح هابرماس طرفاً في العديد من السجالات العامة، مثل نقاشه مع بوبر وفلاسفة العلوم الوضعيين، والفيلسوف الألماني مارتن هايدغر، وعالم الاجتماع نيكلاس لوهمان، وفيلسوف التأويل هانز–جورج جادامر، ومفكري ما بعد الحداثة الفرنسيين، وبعض المؤرخين الألمان. وتراوحت كتاباته من أعمال فلسفية خالصة إلى تعليقات نقدية على أعمال المجتمع المعاصر. وهناك مثال على الأعمال الفلسفية الصرفة متمثلاً في عمله الفذ **نظرية العمل الاتصالي** الذي يقترح نظرية متعلقة بالمجتمع، تقوم على التفاعل واستخدام اللغة. وبالنسبة إلى نماذج التعليقات النقدية، هناك مثال هو *Legitimation Crisis* الذي يؤكد أن الحكومات اليوم تشتق شرعيتها من الإدارة الاقتصادية السليمة (وليس من المواقف الأيديولوجية)، ولكن هذه الشرعية تصبح عرضة للخطر في حال تجدد الأزمات الاقتصادية في الرأسمالية المتقدمة.

كان أول كتب هابرماس بعنوان **التحول الهيكلي في المجال العام** قد ظهر عام ١٩٦٢. وكان رصداً تاريخياً لظهور ونمو وتدهور «المجال العام» (Public Sphere) بين القرنين الثامن عشر والعشرين. ويشير هابرماس من خلال المجال العام إلى سجال حر بين متساوين. وكان ظهور المجتمع البرجوازي في القرن الثامن عشر وأواخر القرن التاسع عشر نتيجة النقاش المفتوح وغير القهري، كما هو واضح في مناقشات القضايا الاجتماعية والسياسية المعاصرة التي كانت تتم بانتظام في الصالونات والمقاهي في المراكز الحضرية الأوروبية. كما أدت وسائل الإعلام دوراً محورياً في تطوير ثقافة النقاش المفتوح ـ كما شاركت المقالات الصحافية عادة في هذه النقاشات ـ لكن التحول التجاري اللاحق لها جعلها على وشك التدهور السريع «وإعادة التحول الإقطاعي» (Refeudalization) للمجال العام. حظيت السمة العامة لرصد هابرماس لهذا التحول التاريخي للمجال العام بتقدير كبير، لكن النقاد أشاروا إلى قطاعات كبيرة من السكان، ولا سيما النساء ورجال الطبقة العاملة، تم استبعادها من هذه التجمعات بالصالونات والمقاهي. وعلاوة على ذلك، أكد النسويون أن انتقال النساء في مجال خاص كان مؤدياً إلى ظهور المجال العام. أخيراً، أكد بعض علماء الاجتماع أن الإنترنت أدت إلى إحياء المجال العام.

وجه هابرماس انتباهه إلى فلسفة العلوم الاجتماعية في النصف الثاني من الستينيات. وتراكمت هذه الأبحاث حتى ظهرت في مؤلفيه **النظرية والممارسة والمعرفة والاهتمامات الإنسانية** حول منطق العلوم الاجتماعية. وكان هابرماس في هذين العملين مناهضاً للوضعية

التقليدية في العلوم الاجتماعية، فانحاز إلى المدرسة الوضعية «النزاع الوضعي» لكن آراءه المعرفية تحولت الآن إلى إطار عمل براغماتي.

وتناول هابرماس ـ بتأثير من كتابات تشارلز بيرس ـ العلاقة المعقدة بين أنواع المعرفة، وما يسميه «اهتمامات لها أولوية». وأشار هابرماس بالاهتمامات إلى توجيهات أساسية مرتبطة بظروف إعادة الإنتاج والتكوين الذاتي للكائنات البشرية. وهو يميز بين ثلاثة أنواع من الاهتمامات، هي: الضبط ـ السيطرة (Control) (وترتبط بالتوقع)، والفهم والانعتاق. وهناك ثلاثة أنواع من المعرفة ترتبط بهذه الاهتمامات، وأشار هابرماس إلى نوع المعرفة الذي يهدف إلى التوجيه والتوقع على أنه «نوع معرفي تحليلي تجريبي». إن المعرفة التي تسعى إلى الفهم يشار إليها على أنها «تأويل»، بينما يشار إلى المعرفة المرتبطة بالانعتاق على أنها «نظرية نقدية». وبالنسبة إلى هابرماس، فإن مشكلة الفلاسفة المبالغين في تبني الوضعية هي أنهم يفشلون في معرفة أن هذه الغايات يمكن السعي إلى تحقيقها مثلما هو الحال بالنسبة إلى التوقع، ومن ثم فإنهم يتناولون ـ وهو ما يعتبر تناولاً على سبيل الخطأ ـ المعرفة التحليلية التجريبية على أنها النوع المعرفي الوحيد المتاح. وهناك غايات أخرى مثل الفهم والانعتاق يتم السعي إلى تحقيقها بكل تأكيد.

وتهدف النظرية النقدية إلى الانعتاق، ومن هنا محاولة هابرماس تفسير ما يعنيه هذا الاهتمام المعرفي على وجه الدقة. ويتم الانعتاق عندما يصبح الأفراد مدركين ومواجهين للقيود المجتمعية. ومن ثم فإن النظرية النقدية تقدم مزيجاً من المعرفة التحليلية التجريبية والمعرفة التأويلية للتوصل إلى القدرة على التخلص من مثل هذه

القيود. ويؤخذ في الاعتبار هنا التحليل النفسي، إذ يوجه المحلل من يتم تحليله نحو إعادة بناء الذكريات والخبرات المقهورة، وهو ما ينتج منه تحرر لمن يتم تحليله من القهر وما يرتبط به من أعراض. وفي ما يتشابه مع ذلك، تتناول المادية التاريخية الانعتاق ـ لكن على مستوى جماعي وليس فردياً ـ يزيد من الوعي النقدي للناس إزاء الظروف المجتمعية القهرية للرأسمالية المعاصرة.

وامتن النقاد لاهتمام هابرماس بالعلاقة البراغماتية بين المعرفة والاهتمامات، لكنهم كانوا أقل احتفاء برؤيته التحليل النفسي أساساً صلباً للنظرية النقدية للمجتمع. كما أشاروا سريعاً إلى أن هابرماس قد دمج نوعين من التفكير: نوع هيغلي، يتأمل الظروف التي تكون القيود، ونوع كانطي يتأمل ظروف إمكانات المعرفة والعمل. وقبل هابرماس بهذين النوعين، وسمّاهما على التوالي: «النقد الذاتي» و«إعادة البناء العقلاني». ورأى هابرماس أن إعادة البناء العقلاني سوف يؤدي دوراً محورياً في نظريته بالعمل الاتصالي. وتعتمد هذه النظرية على «العلوم القائمة على إعادة البناء» مثل النحو التوليدي (Generative Grammar) لدى نعوم تشومسكي، ونظرية التطور الإدراكي لجان بياجيه، ونظرية التطور الأخلاقي للورانس كولبرغ، وهو الأمر الذي ساعده على كشف القواعد الأساسية «لمعرفتنا الكيفية» قبل التنظيرية. وعلى العكس من هذه الكتابات المعرفية المبكرة، نحا هابرماس بنظرية العمل الاتصالي إلى تحول اجتماعي جديد بتأكيده الطبيعة الاجتماعية للممارسات الاتصالية وإنتاج المعرفة.

ونشر هابرماس في أوائل الثمانينيات مجلدي كتاب **نظرية العمل الاتصالي**. وتتعامل هذه النظرية في جوهرها مع العقلانية. ويعتبر مفهوم هابرماس عن العقلانية مفهوماً إجرائياً، وهو لا يشير إلى أسس معرفية مطلقة، لكنه يشير إلى إجراءات لتحصيل المعرفة. وعلى العكس من كل من ماكس فيبر وأدورنو وهوركيمير الذين صوروا التحول نحو الحداثة وفقاً لتزايد «العقلانية الذرائعية» (Instrumental Rationality)، يؤكد هابرماس الصلة المعقدة بين الحداثة و«العقلانية الاتصالية». ويشير هابرماس بالعقلانية الاتصالية إلى تطبيق إجراءات مناقشة مفتوحة بين متساوين، وهو إرث إيجابي من عصر التنوير، جعله هابرماس محورياً في نظريته عن «الغايات العالمية» (Universal Pragmatics). وتميز هذه النظرية ـ بعد نظرية فعل القول لأوستين ـ بين الاتصال (Communicating) من جهة، وفعل (Acting) شيء ما من جهة أخرى. ووفقاً لهابرماس، فإنه عندما يقوم الأفراد بالاتصال، يفترض مسبقاً وقوع أربعة «ادعاءات صحيحة»، وهي: «الوضوح»، و«الحقيقة»، و«الصواب الأخلاقي»، و«الصدق». ويتضمن أي فعل اتصال افتراض أن محتوى ما يتم قوله (أو كتابته) هو محتوى شامل، وهو قول سليم لأن الناس الذين يقولونه أو يكتبونه، يفعلون ذلك وهم لا يحاولون أن يضللوا أي شخص بقول هذا المحتوى (أو كتابته). ويتم استخدام العقلانية الاتصالية عندما تتوافر الإجراءات، وهو الأمر الذي يضمن نقاشاً مفتوحاً بخصوص هذه الادعاءات الصحيحة. إن جوهر العقلانية الاتصالية هو «موقف الحديث المثالي» الذي يتم فيه رفع جميع العوائق المفروضة على النقاش غير الإجباري، وتسود فقط «قوة الحجة الأفضل».

استخدم هابرماس نظرية العمل الاتصالي لأغراض متنوعة، **أولها**، حاول في كتابه **النقاش الفلسفي للحداثة**، أن يظهر أن النقاد المعاصرين للتنوير، ومنهم ميشيل فوكو وجان ـ فرانسوا لوتارد، قد رسموا صورة ناقصة لأفكار التنوير، وفشلوا في التوصل إلى قدرتها الانعتاقية الحقيقية. واتفق مع النقاد على أن نموذج الوعي قد بلغ مداه، لكنه لا يتفق مع الاتجاه الجديد الذي اتخذه. وبالنسبة إلى هابرماس، فإنه يجب ألا يتم التخلي عن مشروع التنوير، لكن أن يعاد اكتشافه. **ثانياً**، اقترح في كتابه *Justification and Application: Remarks on Discourse Ethics* «أخلاقيات للمحادثة» وتطبيقاً لنظرية الغايات العالمية في مجال الأخلاق. وفي أخلاقيات المحادثة، فإن إرساء مقولات معيارية يتطلب حواراً. وهكذا تتفادى أخلاقيات المحادثة وجهات النظر «الشكلية» و«الاتصالية» حول الأخلاق، إذ ليست الأحكام الأخلاقية ببساطة نتيجة تفكير خاص أو أنها مجرد عاكس لقوانين اجتماعية. وبدلاً من ذلك، فإن مقترح هابرماس هو مقترح إجرائي ومحدد شروط الحوار المفتوح الذي يسمح للأفراد أن يتناولوا افتراضات معيارية. ويفترض هذا الهيكل الحواري أن الأفراد يلقون تشجيعاً على تبني وجهات نظر جميع الأفراد الآخرين قبل تقرير معيارهم الخاص. **ثالثاً**، عارض هابرماس في كتابه *Between Facts and Norms; Contributions to a Discourse Theory of Law and Democracy* الرؤية القائلة إن المجتمع الحالي قد أصبح معقداً للغاية للدرجة التي يجب أن يتم ترك القرارات القانونية والسياسية للخبراء. ومال هابرماس إلى «الديمقراطية الاستطرادية»، وإلى أن المعايير تكتسب صحة فقط، إذا

قبلها الأفراد الذين يتأثرون بمثل هذه المعايير، وإذا كان هذا القبول قائماً على معالجة عقلانية. وباختصار، فإننا يجب أن نحاول أن نخبر أكبر عدد ممكن من الناس بالنقاش وأن نشركهم فيه.

ومن بين أبرز إسهامات هابرماس في النظرية الاجتماعية وأكثرها تأثيراً ما عرف باسم نظرية العمل الاتصالي، لكن ذلك لا يعني عدم تعرضها للانتقاد. إن «العلوم القائمة على إعادة البناء» (Reconstructive Sciences) التي ألهمت هابرماس ـ والتي أسهم فيها بياجيه وكولبرغ وليفي ـ شتراوس ـ تعامل حالياً بمزيد من التشكك، لعدم اعتمادها على أسس تجريبية كافية. يثير قول هابرماس إن العمل الاتصالي هو عمل قائم على «الاتصال» (Verstandigung) مشكلة، لأن الاتصال يعني الفهم والاتفاق، في حين أنه يمكن لأي نقاش مفتوح وغير مقيد بالفعل أن يؤدي إلى فهم أكبر بين الأطراف المختلفة المشاركة وليس بالضرورة إلى الإجماع. وفي ما يتشابه مع ذلك، لم يتواصل ميل هابرماس إلى «قوة الحجة الأفضل» لأنه يفترض أن الأفراد سوف يتفقون على ما يعتبرونه حجة أعلى (أو أقل)، ولسوء الحظ، كان الناس في حالات قليلة للغاية، غير متفقين على قضايا كبيرة، بينما اتفقوا على ما يعتبر طريقة مناسبة لبسط الحجة. وتظهر هذه المشكلة بصورة خاصة عندما لا يتشارك الأفراد المعنيون في إطار عمل أو ثقافة واحدة.

انظر أيضاً: **أنتوني غدنز**.

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists:* Theodor Adorno, Karl Marx, Max Weber.

■ أهم الأعمال:

Theory of Communicative Action (1984-1987). Translated by Thomas McCarthy. Cambridge, UK: Polity Press. 2 vols.

The Philosophical Discourse of Modernity: Twelve Lectures (1985). Cambridge, MA: MIT Press. (Studies in Contemporary German Social Thought)

Knowledge and Human Interests (1986). Cambridge, UK: Polity Press.

Legitimation Crisis (1988). Translated by Thomas McCarthy. Cambridge, UK: Polity Press.

The Structural Transformation of the Public Sphere: An Inquiry into a Category of Bourgeois Society (1989). Cambridge, UK: Polity Press. (Studies in Contemporary German Social Thought)

Justification and Application: Remarks on Discourse Ethics (1991). Cambridge, UK: Polity Press.

Between Facts and Norms: Contributions to a Discourse Theory of Law and Democracy (1996). Cambridge, UK: Polity Press.

The Postnational Constellation (2001). Translated, edited, and with an introduction by Max Pensky. Cambridge, UK: Polity Press.

■ قراءات إضافية:

Axel Honneth and Hans Joas (eds.) (1991). *Communicative Action: Essays on Jurgen Habermas's Theory of Communicative Action*. Edited by Axel Honneth and Hans Joas; translated by Jeremy Gaines and Doris L. Jones. Cambridge, UK: Polity Press.

Craig Calhoun (ed.) (1993). *Habermas and the Public Sphere*. Cambridge, MA: MIT Press. (Studies in Contemporary German Social Thought)

William Outhwaite (1994). *Habermas: A Critical Introduction*. Cambridge, UK: Polity Press. (Studies in Contemporary German Social Thought)

Michel Rosenfeld and Andrew Arato (eds.) (1998). *Habermas on Law and Democracy: Critical Exchanges*. Berkeley, CA: University of California Press. (Philosophy, Social Theory, and the Rule of Law; 6)

دونا هاراواي Donna Haraway

ولـدت دونـا هـاراواي في ٦ أيـلـول/سـبـتـمبر عـام ١٩٤٤، وتـرعـرعـت في دنـفـر بـولايـة كـولـورادو في أسـرة بـيضـاء مـن الـطـبـقـة الـوسـطى وذات أصـول أيرلـنـديـة كـاثـولـيكـيـة، والتـحقـت بالمدارس الكاثوليكية، وظلت خلال فترة مراهقتها ملتزمة بالكاثوليكية. درست هاراواي في كلية كلورادو، وتخرجت فيها عام ١٩٦٦، وتتمتع بمعرفة دراسية متنوعة التخصصات تماماً كشخصيتها العلمية. تخصصت في عـلـم الحيـوان مع اهتمـامـات محدودة بالفلسفة والأدب الإنكليزي. حصلت عام ١٩٧٧ على درجة الدكتوراه في علم الأحياء من جامعة ييـل لدراستها التي حملت عنـوان *Crystal, Fabrics, and Fields: Metaphors of Organicism in 20th Century Developmental Biology* حولت تركيزها العلمي من علم الأحياء كممارسة تجريبية إلى تاريخ وفلسفة علم الأحياء. وأصبحت هاراواي عام ١٩٧٤ أستاذاً مساعداً في قسم تاريخ العلوم في جامعة هوبكنز، حيث ظلت فيه لمدة ستة

أعوام، حتى انتقلت إلى تخصص علمي ووحدة تجريبية جديدة في جامعة كاليفورنيا بسانتا كروز، تسمى مجلس تاريخ الوعي.

وكانت هذه الوحدة آنذاك قيد التكوين برئاسة المؤرخ الأدبي والفيلسوف هايدن هوايت الذي كان يبحث عن علماء شبان، تم إعدادهم علمياً ليكونوا ذوي قدرة على الانتقال بين التخصصات المختلفة بسهولة، ووظف هاراواي لتعليم نظرية النسوية والدراسات العلمية متأثراً بأطروحتها ومقالاتها الجيدة عن الجنس والنوع والعرق التي نشرت في مجلة (*Signs*) المعنية بالدراسات النسوية. وتولت هاراواي منصباً متخصصاً في نظرية النسوية في الولايات المتحدة، كان الأول من نوعه، طبقاً لسيرة ذاتية ألّفها عنها جوزيف شنايدر. وهي عضو في مجلس تاريخ الوعي منذ ذلك الوقت، وبوصفها أستاذاً منذ عام ١٩٨٤.

وكانت هاراواي ناشطة سياسية، كما هي حال عديدين من أبناء جيلها، بجانب كونها ذات شخصية علمية أكاديمية وملتزمة بالطرق البديلة للحياة. شاركت في الحركة المعادية لحرب فيتنام، وأصبحت اشتراكية وناشطة نسوية معارضة للنزعة العرقية في السبعينيات، والتحقت خلال وجودها في جامعة هوبكنز باتحاد النساء النسوي ـ الماركسي، وعلى الرغم من اهتمامها المتعمق بتنوع صور الحياة، إلا أن النسوية الماركسية كانت ملهمة بصورة كبيرة لأعمال هاراواي العلمية والتزاماتها السياسية وحياتها الشخصية، إذ أوضحت إحدى تلميذاتها، وهي ترزا نيقولس جوديف،

كيفية تداخل الشخصي مع النظري والسياسي، في مقالة بعنوان «How Like a Leaf» عن حياتها وأفكارها. وكانت أعمال هاراواي العلمية متنوعة للغاية في تناول التخصصات العلمية المختلفة، كما كان لها تأثير كبير على الصعيد الدولي. وكان لها تأثير كبير في مجالات النظرية النسوية، والدراسات العلمية الفنية، ودراسات النوع الثقافية، والأجساد والتكنولوجيا. علاوة على ذلك، كانت هاراواي تحظى بقاعدة قراء كبيرة خارج المجال الأكاديمي، وجذبت نظرياتها انتباه العديد من القراء في أنحاء العالم.

وكانت مقالتها (A Cyborg Manifesto) قد حظيت بقراءة موسعة، وكلمة (Cyborg) هي اختصار لكلمة العضوية المختلطة (Cybernetic Organism) وتشير إلى العضوية (بشرية أو حيوانية) التي انصهرت مع التكنولوجيا لتكون الإنسان الآلة أو الحيوان الآلة. وسك المصطلح عام ١٩٦٠ بوصفه جزءاً من أبحاث الفضاء الأمريكية المبكرة في سياق توقعات إحداث تغيرات راديكالية على الأجساد، وهي التغيرات التي تجعل من أجساد الإنسان والحيوان ملائمة للحياة في الفضاء الخارجي، كما ورد مصطلح (Cyborg) في أدبيات الخيال العلمي، كما ورد في سلسلة أفلام (Terminator). وتقوم هاراواي في (A Cyborg Manifesto) بإخضاع المفهوم للنسوية النقدية وسياسة مكافحة العنصرية ودراسات الثقافة التقنية، وتؤكد أن هذه الظاهرة يجب أن ينظر إليها من وجهات نظر متعددة، فمن جهة هي خليط بين الرأسمالية والعلاقات الاجتماعية شاملاً جميع أوجه التفاوت النوعي

والعنصري والجنسي والطبقي، ومن جهة أخرى فإن هذه الصورة لها قدرات نقدية. وتشير هاراواي ـ بصدد توضيحها هذه القدرات ـ إلى أن هذه الصورة ليست طبيعية صرفة ولا ثقافية صرفة ولا واقعية صرفة أو خيالية صرفة، وتحدد موقعها على أنها صورة تقف على الحدود، وهي التي تكون عابرة لحدود كل من الطبيعة ـ الثقافة، والجسد ـ العقل، والجنس ـ النوع، والواقع ـ الخيال. وبذلك، يتحدى الخليط التجانس والتفاوت اللذين اكتسبا شرعية من خلال إبقاء مثل هذه الحدود. وينظر إليه ـ الخليط ـ من وجهة نظر نسوية على أنه من الأهمية أن يؤخذ في الاعتبار قدرة الخليط على القضاء على أي نوع من الأساس النظري للمقولات المعنية بالجنس البيولوجي، باعتباره محدداً للمواقف النوعية غير المتساوية في الثقافة والمجتمع. ولا يمكن فهم الأجساد، وفقاً لنظرية هاراواي في الخليط (Cyborg)، بوصفها كيانات ثابتة ولا تشرع إطلاقاً أي نوع من البنى الثقافية الاجتماعية للصور النمطية. وعندما تؤخذ في الاعتبار الأجساد الجنسية ـ النوعية على أنها أجساد مخلطة، فإنه يجب أن ينظر إليها باعتبارها شبكات متدفقة من الكلمات، ومسألة مرتبطة بالعمليات المستمرة لإعادة التجميع. وتستخدم هاراواي مصطلح الرمزية المادية لتوضيح عمليات إعادة التجميع المعقدة للأجساد المخلطة. وتحدد بهذه الطريقة أن مادية الأجساد والمعاني المرتبطة بها متبادلة، ولا ينبغي الفصل بين المادية وصنع المعاني.

وبجانب الصورة المخلطة والنسوية المخلطة يوجد شريط أحمر آخر في أعمال هاراواي، يتمثل في اهتمامها بالعلاقات البشرية ـ

الحيوانية، فالحيوانات تتصرف ـ مثلها في ذلك، مثل الخليط ـ على أنها صور حدودية بين عالم الإنسان وعالم الجماد (Non-humans) (وهو العالم المكون من الحيوانات والآلات)، وهناك نموذج مهم جداً في هذا الصدد هو دراستها: رؤى أولية، النوع، والعرق، والطبيعة في عالم العلم الحديث. وتتناول نقدياً هنا، كيف يمكن أن تتم قراءة تاريخ علم الأحياء باعتباره عادة لسرد القصص عن الجنس والنوع والعرق. وهناك نموذج آخر هو فأر التجارب، وهو فأر المعامل المعالج بالهندسة الوراثية الذي طور لأغراض بحوث سرطان الثدي، وأصبح أول حيوان في العالم من نوعه. ويظهر فأر التجارب على أنه ملمح رئيس في كتاب *Modest_* *Witness@Second_Millennium.Female_man_Meets_OncoMouseTM*، وهو كتاب يتناول مثل هذه الأمور في شكل قصص وأحلام ونظريات ووسائل إعلانية. وهناك نموذج آخر هو عمل هاراواي الحالي حول العلاقات بين الكلاب والبشر التي نشرت عنه مؤخراً بياناً آخر، وهو *The Companion Species Manigesto. Dogs, People, and Significant Otherness*.

عندما يدخل الباحث في مناقشات ذات مغزى مع أمثال هذه النماذج الحدودية (بين البشري والآلي والحيواني) فإنه من الضروري ـ كما ترى هاراواي ـ تطوير أساليب نظرية ومنهجية جديدة، أو تكنولوجيات تفكير، كما تفكر أن تطلق عليها. وفي سبيل ذلك، فإنها تستغل مهاراتها بوصفها عالمة أحياء، وعالمة أدبية، وفيلسوفة، ومؤرخة علوم بطرق غير تقليدية وطرق أصلية، وهو ما يجعل وأسلوب كتابتها

الأكاديمية نصوصها معقدة وغنية للغاية من النواحي التجريبية والنظرية والمنهجية أيضاً.

وتعرف هاراواي دولياً بأفكارها المنهجية وإسهاماتها في نقاشات نظرية المعرفة المتعلقة بالنسوية وما بعد الحداثة. وكان لمقالتها: «Situated Knowledge: The Science Question in Femmenism and the Privilege of Partial Perspective» تأثيرات قوية في إلقاء الضوء على سياسة موقع إنتاج المعرفة. وتؤكد هاراواي أن إنتاج المعرفة ليس عالمياً، وبدلاً من ذلك، فإنه يجب أن يتجلى باعتباره جزءاً من سياقات محلية محددة، وعلى النقيض من ما بعد الحداثة النسبية الكلاسيكية، تكرر هاراواي ادعاءها بسعيها نحو تحقيق الموضوعية، وضرورة أن يلزم الباحث نفسه بإعطاء رصد للواقع كهدف بقدر الإمكان، انطلاقاً من موقفه الجزئي.

انظر أيضاً: **جوديث باتلر؛ شولاميث فايرستون.**

■ **أهم الأعمال:**

Crystals, Fabrics, and Fields: Metaphors of Organicism in Twentieth-century Developmental Biology (1976). New Haven, CT: Yale University Press.

أعيد نشره تحت عنوان: *Crystals, Fabrics, and Fields: Metaphors that Shape Embryos*. Berkeley, CA: North Atlantic Press (2004).

«A Cyborg Manifesto: Science, Technology, and Socialist-Feminism in the Late Twentieth Century.» (1985). *Socialist Review*: vol. 80.

«Situated Knowledge: The Science Question in Feminism and the Privilege of Partial Perspective.» (1988). *Feminist Studies*: vol. 14.

Primate Visions: Gender, Race, and Nature in the World of Modern Science (1989). London: Routledge.

Simians, Cyborgs, and Women: The Reinvention of Nature (1991). (Essays from 1978-89). London: Free Association Books.

«The Promises of Monsters: A Regenerative Politics for Inappropriate/d Others.» (1992). in: *Cultural Studies*. Edited, and with an introduction, by Lawrence Grossberg, Cary Nelson and Paula A. Treichler, with Linda Baughman and assistance from John Macgregor Wise. London; New York: Routledge.

Modest_Witness@Second_Millennium. FemaleMan_Meets_Onco Mouse™: *Feminism and Technoscience* (1996). London; New York: Routledge.

The Companion Species Manifesto. Dogs, People, and Significant Otherness (2003). Chicago, IL: Prickly Paradigm Press. (Paradigm; 8)

The Haraway Reader (2004). London; New York: Routledge.

اقتباسات أخرى نشرت في:

■ قراءات إضافية:

Donna J. Haraway and Thyrza N. Goodeve (2000). *How Like a Leaf: An Interview with Thyrza Nichols Goodeve*. London; New York: Routledge.

Nina Lykke, Randi Markussen and Finn Olesen, «Cyborgs, Coyotes and Dogs; A Kinship of Feminist Figurations, and There Are Always More Things Going on Than You Thought! Methodologies as Thinking Technologies: An Interview with Donna Haraway.» (2004) in: Donna Haraway, *The Haraway Reader*. London; New York: Routledge.

Joseph Schneider (2005). *Donna Haraway: Live Theory*. London: Continuum.

ستيوارت هول Stuart Hall

هو أحد كبار الشخصيات المؤسسة في مجال الدراسات الثقافية، يتجاوز تأثيره الحدود الأكاديمية، وهو معروف للجمهور بوصفه معلقاً سياسياً، سك مصطلح «التاتشرية» ليصف التحولات الاجتماعية الراديكالية في المجتمع البريطاني خلال السبعينيات والثمانينيات تحت قيادة حكومة تاتشر. وتتضمن أعماله الأخيرة المتعلقة بالحياة العامة إسهاماته المميزة في مهمة حول مستقبل بريطانيا المتعددة الإثنيات (**تقرير باريخ** *The Parekh Report*) لعام ٢٠٠٠) الذي تناول فيه العرقية والتعددية الثقافية في ظل الحاجة المثارة إلى إعادة التفكير في الهوية القومية البريطانية، وسيظل هول نفسه يؤكد أنه مدرس في المقام الأول والأهم، لكنه لا يزال مثقفاً مستعداً ليدلو بدلوه في القضايا الملحة الجارية في المجال العام.

ولد هول في كينغستون بجامايكا عام ١٩٣٢، وترعرع في «أسرة من الطبقة الوسطى ـ الدنيا، كانت تحاول أن تكون أسرة

منتمية إلى الطبقة الوسطى العليا حتى تصبح أسرة فيكتورية إنكليزية» كما وصف هو ذلك لاحقاً. ولأنه كان أصغر أطفال الأسرة الثلاثة وأكثرهم سواداً، فإنه واجه تجربة الأغيار والاختلاف من سن مبكرة. ولمواجهته التوترات الناجمة عن الطبقة واللون والاستعمار، أصبح ذلك جزءاً من تاريخه الشخصي وتطوره الثقافي في ما بعد. انتقل في العام ١٩٥١ إلى بريطانيا لدراسة الإنكليزية في جامعة أكسفورد، حيث واصل ارتباطه بسياسة مكافحة الاستعمار، وساعد على تكوين «اليسار الجديد» في بريطانيا في الخمسينيات. وتخلى عن خططه بكتابة أطروحة دكتوراه حول الروائي هنري جيمس خلال عام ١٩٥٦، عقب الغزو السوفياتي للمجر، والاجتياح البريطاني للسويس، وشعر هول بقوة أن هذه التطورات السياسية تعني أنه لم يعد ممكناً «مواصلة التفكير في قضايا ثقافية بمصطلحات أدبية «صرفة»».

غادر هول أكسفورد متجهاً إلى لندن، ليعمل مدرساً في النهار ويقوم مساء بتحرير *Universities and Left Review* وهي الجريدة التي أصبحت تعرف عام ١٩٦٠ باسم *New Left Review*. وحصل على منصب ـ كان يعتبر آنذاك منصباً مميزاً ـ تدريس الدراسات الإعلامية في كلية تشيلسي بجامعة لندن، عقب بعض الاختلافات العميقة حول أسلوب التحرير. وتزامن تدريسه هذا مع القيام ببعض الأبحاث مع بادي فانيل (P. Whannel) حول فيلم، تم نشره باسم الفنون الجماهيرية عام ١٩٦٤. وعين زميلاً بحثياً في العام نفسه

بمركز الدراسات الثقافية المعاصرة، الحديث النشأة في جامعة برمنغهام. وأصبح مديراً له عام ١٩٦٨، وقام بتوجيه المركز في فترة حساسة، وهي الفترة التي شهدت إدخال الأساليب المبتكرة في الثقافة والسياسة والمجتمع. وفي سنة حاسمة أخرى ـ بالنسبة إليه ـ عُين أستاذاً لعلم الاجتماع في الجامعة المفتوحة، ليصل إلى عدد أوسع من الطلاب. ومن خلال ذلك ـ وأمور أخرى ـ أعاد الحيوية إلى صلب الموضوع من خلال القيام بجعل أشياء، مثل التمثيل والهوية والحداثة، أموراً محورية في المنهج الدراسي.

تطور تفكير هول في مراحل مميزة، وفي مناقشته أصول الدراسات الثقافية، يحدد هول «عاملين» كانا على قدر خاص من الأهمية في تكوينه الفكري الخاص. ويطلق على **الأول** «النزعة الثقافية» (Culturalism) وهي قيمة بريطانية أصيلة، كانت لها جذورها في اليسار الجديد. وهي مرتبطة بالأسلوب الذي ارتاده في البداية ريتشارد هوغارت في مؤلفه *The Uses of Literacy*، وهو رصد ماضوي لكيفية ضعف ثقافة الطبقة العاملة في ظل بزوغ «ثقافة جماهيرية جديدة». وكان التأثير الرئيس فيه من الناقد الأدبي الاشتراكي رايموند وليامز الذي اعتبر أن «الثقافة طريقة حياة خاصة» ـ على العكس من رؤية النخبويين لها على أنها «تقليد اختياري» ـ وهي الرؤية التي أرساها في كتب، مثل **الثقافة والمجتمع**، **والثورة الممتدة**. كما كان هول متأثراً بالمؤرخ الاجتماعي الماركسي إدوارد طومبسون الذي كان مؤلفه *The Making of the English Working Class* (وهو

من أمهات الكتب في تناول الطبقة العاملة على مستوى العالم) مقدماً للتاريخ برؤية من أسفل والتي تفهم الثقافة ـ بوضوح ـ على أنها «طريقة للنضال». ومكنت إسهامات كل من هوغارت وويليامز وطومبسون من تحقيق فهم أكثر ديمقراطية للثقافة، وأكدت إبداع الأفراد في صنع التاريخ.

ومن الواضح أن أعمال هول المبكرة قد تأثرت بالنزعة الثقافية، لكن مع نهاية الستينيات لم يكن هو ومن يعملون في مركز الدراسات الثقافية المعاصرة راضين بذلك، وتوجهوا نحو كيان نظري جديد، نشأ عبر القنال (الإنكليزي)، وهو البنيوية التي كانت العامل الثاني الذي حدده هول (في تطوره الفكري). كانت البنيوية نتاج مجهودات مفكرين أوروبيين، ودخلت في مركز الدراسات الثقافية المعاصرة طريقة لتجاوز أوجه القصور في النزعة الثقافية التي كان ينظر إليها ـ بصفتها نوعاً من أنواع التحليل ـ على أنها بسيطة تحليلياً وذات نزعة إنسانية من خلال تركيزها على الخبرة الفردية وفشلها الكبير في فهم «الشمولية الثقافية». ومن أجل تجاوز هذه القيود، تحول من يعملون في مركز الدراسات الثقافية المعاصرة إلى الاستفادة من أعمال العديد من المفكرين الأوروبيين، بمن فيهم عالم الأنثربولوجيا البنيوي كلود ليفي-شتراوس الذي تبنى مناهج تستخدم في دراسة اللغة لفهم ممارسات المجتمعات «البدائية». كما أدى الفيلسوف البنيوي لويس ألتوسير دوراً محورياً في تجديد الماركسية من خلال الانحياز إلى شكل «مضاد للإنسانيين» (Anti-

(humanist وأكثر علمية، بإمكانه أن يتحدى بقوة التخريب الستاليني الذي لحق بالماركسية. ووراء تأثير ألتوسير، كانت هناك الأعمال المبكرة للفيلسوف الإيطالي أنتونيو غرامشي الذي يمكن أن يكون لمفهومه عن الهيمنة ـ وهي العملية التي تضمن بها الفئات الحاكمة إخضاع من يهيمنون عليهم ـ أكبر تأثير في أعمال هول.

ويظهر المؤشر الواضح لهذا التحول في عمل هول حول الإعلام في أوائل السبعينيات، حيث يستعرض تأثيرات البنيوية والرمزية. يعتمد تحليله الأخبار المصورة فوتوغرافياً على رولاند بارثز لتوضيح كيف أن «المضمون البلاغي الأجوف يشبع الأحداث العالمية بالمعاني الأيديولوجية»، كما أنه انفصل عن أساليب وسائل الإعلام التقليدية التي كانت شائعة آنذاك في علم الاجتماع. إن دراسة هول حول الترميز ـ وفك الترميز التي نشرت أصلاً عام ١٩٧٣، تدين بالكثير لألتوسير وغرامشي في محاولتها التوصل إلى التخريب المستمر للتمثيل الإعلامي. وأكد هول أن إنتاج واستهلاك الرسائل الإعلامية يتم تحديدها بصور كبيرة بمجموعة من التأثيرات القوية ـ بما فيها الوسيط المستخدم والقيود المؤسسية وما إلى ذلك. كما يؤكد أن النضال الثقافي حول المعنى في تصنيف الأنواع المختلفة من قراءة الجمهور (الذي يقسم مواقفه إلى «مفضل» و«مفاوض» و«معارض» كمواقف يمكن للمشاهدين تبنيها إزاء النص الإعلامي).

وأفضل تطبيق مستمر لمركز الدراسات الثقافية المعاصرة هو مؤلف *Policing the Crisis* الذي يحلل أزمة الهيمنة في بريطانيا التي

بدأت في أواخر الستينيات، وزادت حدتها مع انتصار مارغريت تاتشر في الانتخابات العامة عام ١٩٧٩. ويتناول الكتاب الهلع الأخلاقي في بريطانيا في أوائل السبعينيات إزاء ظاهرة السرقة بالإكراه (Mugging). وأظهر هول وزملاؤه كيف أن الشرطة والإعلام والقضاء قد تفاعلوا لإنتاج مضمون أيديولوجي حول القضية. وصور الشباب الأسود على أنهم أشرار في دوائر الشرطة والإعلام، وأنهم القائمون أساساً على حوادث السرقة بالإكراه والمسؤولون عن جميع الاضطرابات الاجتماعية الناجمة عن التغيرات في مجتمع غير مستقر. ومن هنا، فقد أعاد الكتاب هول إلى قضايا العرق بطرق مشابهة لما هو عليه شأن زميله بول جيلروي الذي كان ينتقد الاحتفاء القومي والإطلاق العرقي الضمنيين لإنكلترا في مشروع الدراسات الثقافية. كما قاد كتاب *Policing the Crisis* هول إلى مواجهة مع السياسة التاتشرية، وهي المواجهة التي استهلكت الكثير من المقالات التي نشرت بالتتابع في سلسلة مقالات في مجلة *Marxism Today*، وسك هول مصطلح «الشعبوية السلطوية» (Authoritarian Populism) لوصف التصاحب المميز للنزعة المحافظة الاجتماعية الشعبية واقتصاد السوق الحر الذي دافع عنه مشروع تاتشر بشراسة. وأكد هول أنه لا يمكن لليسار السياسي البدء في التفكير في مضمون التاتشرية في هذه «العصور الحديثة» إلا بفهم التغير العميق نحو النزعة السلطوية على المستوى الشعبي.

ومن الواضح أنه بحلول منتصف الثمانينيات كان هول يعيد التفكير مرة أخرى في موقفه النظري، وبالرغم من مواصلته إصراره

على الصلة بين الهيمنة والتمثيل والأهمية، فإنه تراجع عن التصور المسبق للطبقة والأيديولوجيا، متوجهاً نحو «سياسة الاختلاف» و«الهوية العليا». واكتظ عمله الأخير بمفردات مستقاة من أعمال جاك دريدا وميشيل فوكو وجاك لوسان وإدوارد سعيد، بدلاً من الاعتماد المفرط سابقاً على غرامشي. ويؤكد في رصده «للعرقيات الجديدة» ضرورة وجود «وعي بالتجربة السوداء على أنها تجربة شتات، ونتائج حملتها هذه التجربة لعملية عدم الاستقرار وإعادة الترافق والانقطاع والامتزاج (Cut an mix).» وما يعرف باختصار بعملية تكون الشتات (Diaspora-ization). ويكتسب رصد هول السابق أهمية للمقولات التي تشكل الهوية القومية على أنها موحدة ومتكاملة، ومن هنا كان إصراره على أن هذا التصنيف «للفاعل الأسود» لا يمكن أن يستمر أساساً لسياسة الهوية في ظل هذه الظروف الهشة.

وفي السنوات التي تلت تقاعده عام ١٩٩٧، واصل هول نشر مقالات متبصرة، بما فيها من نقد لاذع لحكومة بلير، يعيد للأذهان تحليلاته المعارضة للتاتشرية سابقاً، وأكد البعض بوضوح تام أن حزب العمال الجديد قد تعلم من دروس هول النقدية جيداً. غير أن أفكار هول حظيت أيضاً بنوع من الاعتراضات بمرور السنوات، إذ هاجم إدوارد طومبسون في كتابه *The Poverty of Theory* الصيغ المختزلة والضيقة والآلية للتحليل البنيوي. وأكد بوب جيسوب أن هول بالغ، وهو يشخص الشعبوية السلطوية،

في التشديد على الأيديولوجيا على حساب الاقتصاد. غير أن أهم الانتقادات الموجهة إلى أعمال هول وأخطرها هي ما يسميه كريس روجك «انزلاق» (Slippage) وكيف أن هول يعمد إلى اتخاذ مواقف (فكرية) جديدة ورائجة، يمكنها أن تحدث فجوات في إطار عمله المفهومي، وهو الأمر الذي كان يتجاهله باستمرار. على أي حال، لا تثبت هذه التهمة طويلاً نظراً إلى ارتباط هول، الطويل المدى، بأفكار غرامشي، ومع هذا، فإن هناك إشارة إلى أن انتقاله من موقف إلى آخر هو استجابة بمعرفة حدود طرق التفكير الراسخة ومحاولة تكوين الصلات بينها نموذجاً للممارسة النظرية المبتكرة.

انظر أيضاً: **لويس ألتوسير؛ رولاند بارثز؛ ميشيل فوكو؛ بول جيلروي؛ إرنستو لاكلو؛ كلود ليفي ـ شتراوس؛ إدوارد سعيد.**

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists:* Antonio Gramsci, Karl Marx, Ferdinand de Saussure.

■ **أهم الأعمال:**

The Popular Arts (1964). With Paddy Whannel. London: Hutchinson.

«Encoding/Decoding.» (1973). in: Stuart Hall [et al.] (eds.). *Culture, Media, Language: Working Papers in Cultural Studies*. London: Hutchinson.

«The Determination of News Photographs.» (1973). in: Stan Cohen and Jock Young (eds.). *The Manufacture of News; a Reader*. London: Constable.

Resistance through Rituals: Youth Subcultures in Post-war Britain (1976). Edited with Tony Jefferson. London: Hutchinson.

Policing the Crisis: Mugging, the State and Law and Order (1978). With Chas Critcher, Tony Jefferson, John Clarke and Brian Roberts. London: Macmillan. (Critical Social Studies)

«Cultural Studies: Two Paradigms.» (1980). *Media, Culture and Society:* vol. 2.

«Popular Democratic Versus Authoritarian Populism.» (1980). in: Alan Hunt (ed.). *Marxism and Democracy*. London: Lawrence and Wishart.

The Hard Road to Renewal: Thatcherism and the Crisis of the Left (1988). London: Verso.

«Minimal Selve.» (1993). Ann Gray and Jim McGuigan (eds.). *Studying Culture*. London: Arnold.

«New Ethnicities.» (1996). in: David Morley and Kuan-Hsing Chen (eds.). *Stuart Hall: Critical Dialogues in Cultural Studies*. London: Routledge.

بعض المقالات والتعليقات المهمة، موجودة في: David Morley and Kuan-Hsing Chen (eds.) (1996). *Stuart Hall: Critical Dialogues in Cultural Studies*. London: Routledge.

«New Labour's Double Shuffle.» (2003). Soundings, November.

■ **قراءات إضافية:**

«The Formation of a Diasporic Intellectual: An Interview with Stuart Hall by Kuan-Hsing Chen.» (1996). in: David Morley and Kuan-Hsing Chen (eds.). *Stuart Hall: Critical Dialogues in Cultural Studies*. London: Routledge.

Chris Rojek (2003). *Stuart Hall*. Cambridge, UK: Polity Press.

Helen Davis (2004). *Understanding Stuart Hall*. London: Sage.

James Proctor (2004). *Stuart Hall*. London: Routledge.

جورج هومانز George Homans

ولد عام ١٩١٠ في أسرة تنتمي إلى البراهمنيين في بوسطن ـ وهي أسر عريقة وذات تعليم جيد من أصول بريطانية. وصل أجداده إلى أمريكا في العصور الاستعمارية، وثبتوا أنفسهم بوصفهم متخصصين ناجحين في الساحل الشرقي، والتحق الكثير من أجداده الذكور بهارفرد، وكان اثنان منهم من بين رؤساء الولايات المتحدة. وكما يوضح هومانز في سيرته الذاتية، فإن مواقفه وميوله كانت تجاه الطبقة العليا، وقضى وقتاً محدوداً في التفكير الرومانسي لليبراليين أو الراديكاليين، لكنه تطوع ـ من جهة أخرى ـ في الخدمة لصالح أمريكا في الحرب العالمية الثانية، وقضى أغلب فترة الحرب في الخدمة النشطة في السفن البحرية.

كان هومانز ـ مثل أبيه وجده ـ طالباً في هارفرد، وبجانب الخدمة العسكرية (وفترة البطالة بعد تخرجه خلال فترة الكساد الكبير) فإنه قضى معظم فترة نضج شخصيته العلمية في هارفرد، طالباً

ومدرساً وأستاذاً، ولم تكن شخصيته العلمية هذه شيئاً نادر الوجود بالنسبة إلى عائلة براهمنية، لكن شخصيته العالمية بوصفه عالم اجتماع هي التي كانت أمراً مفاجئاً، وكان ذلك صدفة صرفة بدرجة كبيرة. كان قد درس الأدب الإنكليزي، وكانت له آمال بأن يصبح شاعراً، لكن لورانس هندرسون (أستاذ الكيمياء الحيوية وذا الاهتمامات الفكرية واسعة المجال، بما فيها نظرية النظام) طلب منه ـ خلال فترة بطالته ـ مساعدته في تنظيم سلسلة حلقات نقاشية حول عالم الاجتماع الإيطالي الكبير فلفردو باريتو، وكان من بين المشاركين في هذه الحلقات النقاشية إلتون مايو، وفريتس روتليسبرغر (Fritz Roethlisberger)، وتالكوت بارسونز، وروبرت ميرتون، وبيتيريم سوروكين (لفترة وجيزة)، وبعدها طلب من هومانز مساعدة تشارلز كيرتس في كتابة مقدمة لأعمال باريتو للجمهور الأمريكي، ثم اقترح هندرسون عليه أن يخوض انتخابات جمعية (Society of Fellows) حديثة التأسيس كعالم اجتماع، وهكذا ثبتت شخصيته العلمية بوصفه عالم اجتماع.

وكان التأثير الفكري الرئيس في هومانز في هذه المرحلة من شخصيته العلمية نابعاً من إلتون مايو وليس من كل من سوروكين أو بارسونز. وكان مايو عالم نفس بمدرسة خريجي هارفرد لإدارة الأعمال، وأدار الدراسة التي عرفت باسم (Hawthorne Study) التي أصبحت دراسة كلاسيكية في ما بعد، وكان مايو مؤسساً لمدرسة العلاقات الإنسانية لعلم النفس الصناعي، وكان مهتماً بصورة خاصة

بالعلاقات الاجتماعية المتطورة في مجموعات صغيرة. وشجع هومانز على القيام بعمل ميداني من هذا القبيل الذي أرساه بنفسه، وهي الأعمال الميدانية التي تراكمت في ما بعد، لتظهر في كتاب هومانز الأول بعنوان *The Human Group*.

يتناول هومانز في هذا الكتاب خمس دراسات حالة قائمة لمجموعات صغيرة، مثل تقرير روتليسبرغر وديكسون لبنك غرفة المراقبة السلكية، ودراسة وليام هوايت لمجتمع ناصية الشارع، وقام هومانز بإعادة تحليلها باستخدام إطاره المفهومي للأفعال والصيغ والتفاعلات والأشكال. وقام ـ انطلاقاً من إعادة التحليل السابق ـ بتطوير تعميمات (أو كما يسميها هو فرضيات تحليلية) يتم تطبيقها على جميع المجموعات محل الدراسة. وهكذا، فإنه يرى ـ على سبيل المثال ـ أن استمرار التفاعل بين الناس يقوي مشاعر رغبتهم في أن يكونوا شخصاً آخر، وهو الأمر الذي يذيع أكثر بين المتقاربين في الرتبة الاجتماعية، وكان هومانز يحاول تأكيد أنه بينما قد يتنوع محتوى السلوك من سياق لآخر (عاكساً طبيعة القيود الخاصة التي تفرضها البيئة الخارجية) فإن هناك نوعاً من الانتظام في شكل العلاقات بين المتغيرات التي كانت شائعة في الأوضاع كلها. وهناك ـ في هذا الصدد ـ أوجه تشابه قوية بين برنامجه وبرنامج جورج سيمل وتحليله للملامح المشتركة للتفاعل في الجماعات الصغيرة.

كما أن عمل هومانز عن المجموعة البشرية قد دفعه إلى تقديم رصد خاص لطبيعة التفسير العلمي وبرنامج مميز لعلم اجتماعه. وكانت

وجهة نظره التي وصفها في كتابه الصغير **طبيعة العلوم الاجتماعية** أن رأي «القانون غير المعلن» للتفسير العلمي، الذي سنّه هيمبل وآخرون، يطبق على علم الاجتماع تماماً كما هو مطبق على العلوم الأخرى والعلوم الاجتماعية. وهكذا، يجب أن يقدم التفسير السوسيولوجي مقترحات عامة (مثل تلك التي تم اقتراحها في كتابه *The Human Group*) إضافة إلى ظروف محددة لاشتقاق التفسيرية منطقياً (التي سيتم تفسيرها). والأمر المثير للجدل أنه رأى هذه المقترحات العامة على أنها نفسية في المقام الأول، ويرى أن السلوك الإنساني يخضع للتفسير من خلال الانتظامات النفسية (Psychological Regularities) المختلفة، باختلاف الثقافات والمجتمعات.

ويجب أن نذكر سريعاً أن رؤية هومانز التفسير السوسيولوجي كانت تختلف أساساً عن رؤية زميله في هارفرد تالكوت بارسونز الذي اعتبر أعماله في جوهرها تصنيفية أكثر من كونها تفسيرية، والذي لم ينظر إليه على أنه مؤهل لعمل نظرية. كما كانت له اعتراضات فكرية أساسية على الوظيفية الغائية (Teleological Functionalism) التي دعا إليها بارسونز.

ومثلما كان برنامج هومانز برنامجاً علمياً، يمكننا الآن وصفه بأنه برنامج يبحث عن أسس جزئية للسلوك الاجتماعي أو عن آليات تفسيرية تتناول الانتظامات السوسيولوجية. يأتي التبسيط الأكمل لهذا البرنامج في كتابه **السلوك الاجتماعي: أشكاله الأولية**، إذ قام هومانز في هذا الكتاب بمراجعة العديد من الموضوعات التي أدرجها

في عـمـلـه المبـكـر *The Human Group* (مثل النفوذ والتقدير والتفضيل)، لكنه أضاف أيضاً عدالة توزيعية، ورأى أن غايات تحقيق العدالة، مثل نسبية العوائد والتكاليف، يمكن أن تستمد من غايات أكثر أصولية من علم النفس السلوكي. وأقر هومانز بأن الكثير من هذه الغايات الأساسية لها أوجه شبه قوية مع غايات الاختيار المنطقي للاقتصاد الجزئي، كما أن اللغة التي استخدمها لوصف هذه الغايات الأساسية قد ارتبطت بمصطلحات الأرباح والتكاليف التي مكنته من تضمين تعبيرات ومشاعر (مثل الغضب الذي ينجم عن انتهاك أحد قيم العدالة الرئيسة) وسلوك أيضاً.

أصبحت مقاربة هومانز تعرف بوصفها نظرية تبادل (وهو التصنيـف الـذي منـحه لـنفـسه في مقالتـه «Social Behavior as Exchange»، بالرغم من رفضه ذلك لاحقاً). كان مصطلح «تبادل» صحيحاً في الإشارة إلى أن النظرية كانت ـ جزئياً ـ حول التفاعل الاجتماعي (Social Interaction) بوصفه شكلاً من أشكال تبادل الخدمات بتعريفها الواسع. على أي حال، يشير «التبادل» إلى تشابه جزئي اقتصادي (Economic Analogy)، وبينما يلاحظ أن التشابه الجزئي كان قوياً في الإصدار المعاصر لبيتر بلاو من نظرية التبادل، إلا أنه كان على قدر أقل أهمية في نسخة هومانز.

وفي الواقع، أصبح التشابه الجزئي الاقتصادي ذا أهمية أكبر بعد وفاة هومانز عام ١٩٨٩، مقارنة بتصور هومانز حول علم النفس السلوكي. قام رجال اقتصاد، مثل غاري بيكر، بتطبيق

النماذج الاقتصادية على الموضوعات السوسيولوجية، مثل الاختيارات المثمرة وتقسيم العمل المنزلي، كما استخدم علماء اجتماع، مثل جيمس كولمان، الاختيار المنطقي على أنه أسس جزئية للنظريات السوسيولوجية. كان هومانز عموماً ملهماً مهماً لأعمال كولمان، من خلال إصراره على الحاجة إلى علم اجتماع جزئي تفسيري، وبمقاومته للتنميط المقيد الوارد في أعمال تالكوت بارسونز. على أي حال، يبدو أن هومانز لم يكن ليرضى عن المفهوم الضيق للعمل المنطقي الذي انتهجه كولمان وأتباعه على أنه أساس للنظرية الاجتماعية. كما يبدو أنه كان سيذكرنا بعدد كبير من الظواهر الاجتماعية، مثل الحب والتقدير ومبادئ العدالة الاجتماعية التي لا يمكن للتنميط الاقتصادي أن يشرحها. وفي الواقع، كانت أعظم تأثيرات هومانز في علم النفس الاجتماعي وفي الدراسة التجريبية للعدالة الاجتماعية أكثر من تأثيره في علم الاجتماع السائد.

انظر أيضاً: **تالكوت بارسونز.**

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists*:
Vilfredo Pareto, Georg Simmel, Lloyd Warner.

■ **أهم الأعمال:**

An Introduction to Pareto, his Sociology (1934). With Charles Curtis. New York: Alfred A. Knopf.

English Villagers of the Thirteenth Century (1941). Cambridge, MA: Harvard University Press.

The Human Group (1950). New York: Harcourt Brace.

Marriage, Authority, and Final Causes: A Study of Unilateral Cross-Cousin Marriage (1955). With David M. Schneider. Glencoe, IL: Free Press.

Social Behaviour: Its Elementary Forms (1961). New York: Harcourt Brace and World. Rev. ed. New York: Harcourt Brace Jovanovich.

Sentiments and Activities: Essays in Social Science. (Essays of 1946-59) (1962). New York: Free Press of Glencoe.

The Nature of Social Science (1967). New York: Harcourt Brace.

Coming to My Senses: Autobiography of a Sociologist (1985). New Brunswick, NJ: Transaction.

Certainties and Doubts. (Essays of 1962-85) (1987). New Brunswick, NJ: Transaction.

■ قراءات إضافية:

A. H. Heath (1976). *Rational Choice and Social Exchange: A Critique of Exchange Theory*. Cambridge: Cambridge University Press.

Robert L. Hamblin and John H. Kunkel (eds.) (1977). *Behavioural Theory in Sociology: Essays in Honor of George C. Homans*. New Brunswick, NJ: Transaction Books.

Jerald Greenberg. Ronald L. Cohen (eds.) (1982). *Equity and Justice in Social Behavior*. With a foreword by George C. Homans. New York: Academic Press.

James S. Coleman (1990). *Foundations of Social Theory*. Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University Press.

Charles Tilly (1990). «George Caspar Homans and the Rest of Us.» *Theory and Society*: vol. 19.

إيمانويل ولرشتاين Immanuel Wallerstein

ولد إيمانويل ولرشتاين في نيويورك عام ١٩٣٠ لأسرة تتمتع بوعي وإدراك سياسي، والتحق بالخدمة العسكرية خلال فترة دراسته في جامعة كولومبيا، وبعد عودته للدراسة قرر استكمال دراسة للماجستير حول تفشي المكارثية في الحياة الفكرية الأمريكية. من أهم الأعمال التي أثرت في إنتاجه الفكري الأعمال المبكرة لرايت ميلز. حصل على درجة الدكتوراه عام ١٩٥٩ في دراسته حول السياسة في غانا وساحل العاج. وخلال حياته الأكاديمية التي درس خلالها في جامعة ماكجيل وجامعة نيويورك في بنجامبتون، أجرى العديد من الزيارات العلمية ـ ولا سيما في مدرسة الدراسات العليا بباريس ـ التي تناول خلالها قضايا سياسية ناتجة من الصراعات الاقتصادية الدولية، وأسس مركز فرناند برودیل لدراسة الاقتصادات والنظم التاريخية والحضارة، بتأثير من أعمال فرناند برودیل الوفيرة والممتدة تاريخياً حول الحضارات المقارنة. وانطلاقاً من هذه

القاعدة، قدم دراسات *The Modern World System* التي أرست شهرته العلمية، وأحدثت تحولاً في دراسة التطور الاقتصادي. تقاعد من التدريس الجامعي عام ١٩٩٩، لكنه يواصل الكتابة حول جوانب النظام العالمي المعاصر.

اهتمت الأعمال المبكرة لولرشتاين القائمة على أطروحته للدكتوراه بالتغيير السياسي في أفريقيا. كما نشر عدداً من الكتب المؤثرة في هذا المجال خلال الستينيات وأوائل السبعينيات، وأصبح عام ١٩٧٣ رئيس جمعية الدراسات الأفريقية. دفعته هذه الدراسات إلى التناول النقدي لأدبيات التنمية ثم النظريات الشهيرة عن «التحديث» (Modernization) و«التخلف» (Underdevelopment). وبدأ ولرشتاين، مثل أندريه غوندر فرانك، في تطوير أفكار نقدية، شكلت أساساً لدراسته عام ١٩٧٤ عن **جذور الاقتصاد الرأسمالي العالمي الحديث في القرن السادس عشر**. وأصبح هذا الكتاب أول مجلد في ثلاثيته حول النظام العالمي الجديد، والتي نشرت في الفترة من ١٩٧٤ إلى ١٩٨٩، وجعلت هذه المجلدات السرد التاريخي متواصلاً إلى هذه اللحظة. وكانت الأفكار الرئيسة التي تقوم عليها هذه الثلاثية عبارة عن تطبيقات لمقولات فرناند بروديل الذي كان رائداً في الدراسة التاريخية للتغيرات الطويلة الأجل في أبنية النظم الاقتصادية والسياسية والثقافية. واصل ولرشتاين تناول تطبيقات موقفه في سلسلة دراسات نشرت باسم *The Capitalist World Economy*، بالتعاون مع سمير أمين وأندريه فرانك وجيوفاني أريجي وتيرينس هوبكنز. وأنتج مع هؤلاء الزملاء عدداً من الأعمال

المهمة، وأرسى دراسة النظم العالمية، باعتبارها تخصصاً مميزاً داخل علم الاجتماع. ويتضح في جميع أعمال ولرشتاين انشغاله بالأفكار المنهجية حول طبيعة التوجه العلمي التاريخي في العلوم الاجتماعية، والقضايا المتعلقة بنظرية المعرفة التي تنشأ من البحث السوسيولوجي، والعلاقة بين النظرية والممارسة.

يرى ولرشتاين أن المجتمعات كلها، باستثناء أكثرها بساطة، توجد في إطار بناءات اقتصادية وسياسية وثقافية أكبر، وأنه من الضروري دراسة أبنية هذه «النظم العالمية» الأكبر. إن أي نظام عالمي هو نظام مختلف ثقافياً عن تقسيم العمل الأحادي، بل هو عبارة عن وحدات اجتماعية مميزة ثقافياً، لكنها ذات اعتماد مترابط اقتصادياً. ويمكن أن يتضمن النظام العالمي العديد من التجمعات المميزة إثنياً. ويميز ولرشتاين بين «إمبراطوريات عالمية» و«اقتصاديات عالمية» باعتبارهما شكلين رئيسين للنظام العالمي. إن الإمبراطورية العالمية هي مجموعة من المجتمعات الموحدة بإطار سياسي مشترك، ويمكن أن تظل وحداته متمايزة إثنياً، لكن اعتماداته الاقتصادية المترابطة تكون مرتبطة ببناء سياسي أكبر، يمكن لمجتمع ما من خلاله أن يسيطر على المجتمعات الأخرى. ويمكن هنا طرح أمثلة بالإمبراطوريتين الصينية والرومانية. أما الاقتصاد العالمي ـ من جهة أخرى ـ فإنه مختلف سياسياً، ويتكون من العديد من الوحدات السياسية المتمايزة، لكنه متكامل اقتصادياً. بدأ النظام العالمي الذي يمتاز بالحداثة في الفترة الوسيطة اقتصاداً عالمياً. بدأ نظاماً من دول أو دولاً في طور التكوين (Proto-States) انخرطت في شبكة معقدة من التبادلات الاقتصادية.

ظهر في أنحاء أوروبا اقتصاد عالمي، ارتكز على سوق واسعة للإنتاج الزراعي، أدير من خلال شبكة من المدن التجارية، ولا سيما تلك التي تقع في فلاندرز وإقليم الهانزا (Hanseatic Region). هيمنت في هذه المدن برجوازية التجار على التجارة، وأقامت أبنية النظام العالمي الحديث. وكان الاقتصاد العالمي الأوروبي محاطاً بالإمبراطوريات العالمية ذات القوة المختلفة، لكن توسع النظام العالمي الحديث أدى إلى تدهورها واندماجها في الاقتصاد العالمي. وكان تطور الاقتصاد العالمي الذي تمركز في إنكلترا وهولندا وشمال غرب فرنسا قاعدة انطلاق الصناعة الرأسمالية والعملية التي وصفها منظرو التحديث (Modernization) بالتصنيع (Industrialization).

ويقر ولرشتاين بثلاثة قطاعات متمايزة داخل الاقتصاد العالمي الحديث، وهي القطاعات (المتقدمة) التي يسميها بالقلب (Core)، والنطاق الخارجي (Periphery) (المتخلفة)، والمتوسطة بينهما (Semi-Periphery) (الأقل تقدماً). ويتكون القلب من الاقتصادات الأكثر تقدماً تكنولوجياً واقتصادياً، وهي الاقتصادات التي استفادت بلا شك من الطريقة التي يعمل بها هذا النظام. والاقتصادات المتقدمة (Core Economies) هي الهيئات المهيمنة داخل النظام العالمي التي تشكل أنماط الاستثمار والتدفق التجاري. ويتمثل قلب الاقتصاد العالمي الرأسمالي في المرحلة الحالية من التطور في غرب أوروبا والولايات المتحدة واليابان في الفترة الأخيرة. أما الاقتصادات الخارجية، فإنها تلك الاقتصادات التي تخضع للعلاقات التجارية

الاستغلالية والاختلالات المشابهة في التبادل، والتي أنتج من خلالها الأشكال المميزة لما يعرف بـ«التخلف». ويصف ولرشتاين ـ مثل أندريه فرانك ـ التطور والتخلف على أنهما عمليتان مترابطتان داخل النظام الاقتصادي المعقد. وتتسم العلاقات الاقتصادية الدولية بالتبادل غير العادل. وتتضمن الاقتصادات الخارجية ـ الحدودية معظم أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية. أما الاقتصادات البينية، فإنها تشترك في بعض سمات كل من الاقتصادات المتقدمة والخارجية. ويمكن أن تكون اقتصادات متقدمة سابقاً، تعاني التدهور والركود، أو اقتصادات خارجية سابقة حققت درجة من النمو. وتتضمن الاقتصادات البينية شرق أوروبا والصين والبرازيل. إن الاقتصاد العالمي هو نظام ديناميكي، وفيه اقتصادات معينة تكون في داخله عرضة للنمو والسقوط أو التحول من قطاع إلى آخر. تعكس أنماط التحالف والانحياز الجيوسياسي، ونضال الحركات الاجتماعية الحظوظ المتغيرة لاقتصادات بعينها داخل النظام العالمي.

تمركزت أعمال ولرشتاين الأخيرة بصورة أكثر خصوصية على الوضعية الحالية للاقتصاد العالمي الرأسمالي وخطوط تقسيماته الاجتماعية الرئيسة. وهذه التقسيمات هي العرق والأمة والطبقة والعرقية والجندر، وتناول ولرشتاين تكوين الحركات الاجتماعية «المضادة للنظامية» (Antisystematic) حول هذه الخطوط من التقسيمات. وكانت دراسته عن تدهور القوة الأمريكية قد تناولت نتائج هذه التقسيمات داخل المجتمع الأمريكي نفسه، لأن مكانه بالنسبة إلى الهيمنة العالمية آخذ في التدهور منذ السبعينيات.

انظر أيضاً: تشارلز تيلي.

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists:* Karl Marx, Max Weber.

■ أهم الأعمال:

Africa, the Politics of Independence; an Interpretation of Modern African History (1961). New York: Vintage.

The Road to Independence: Ghana and the Ivory Coast (1964). Paris: Mouton.

Africa, the Politics of Unity; an Analysis of a Contemporary Social Movement (1967). New York: Random House.

The Modern World-system: Capitalist Agriculture and the Origins of the European World-economy in the Sixteenth Century (1974). New York: Academic Press. 3 vols. (Studies in Social Discontinuity)

Vol. 1: *Capitalist Agriculture and the Origins of the European World-economy in the Sixteenth Century.*

Vol. 2: *Mercantilism and the consolidation of the European World-economy, 1600-1750.*

Vol. 3: *The Second Era of Great Expansion of the Capitalist World-Economy, 1730-1840s.*

World-Systems Analysis: Theory and Methodology (1982). Edited with Terence K. Hopkins. Beverly Hills, CA: Sage. (Explorations in the World-economy; v. 1)

Dynamics of Global Crisis (1982). With Samir Amin, Giovanni Arrighi and André Frank. New York: Monthly Review Press; London: Macmillan.

Historical Capitalism (1983). London: Verso.

The Politics of the World-Economy: The States, the Movements and the Civilizations: Essays (1984). Cambridge, MA: Cambridge University Press. (Studies in Modern Capitalism = Etudes sur le capitalisme moderne)

Antisystemic Movements (1989). With Terence K. Hopkins and Immanuel Wallerstein. London: Verso.

Transforming the Revolution: Social Movements and the World System (1990). With Samir Amin, Giovanni Arrighi and André Frank. New York: Monthly Review Press.

Race, Nation, Class: Ambiguous Identities (1991). With Etienne Balibar. London: Verso.

Unthinking Social Science: The Limits of Nineteenth Century Paradigms (1991). Cambridge, UK: Polity Press.

Historical Capitalism, with Capitalist Civilization (1995). London: Verso.

The End of the World as We Know It: Social Science for the Twenty-first Century (1999). Minneapolis, MN: University of Minnesota Press.

Decline of American Power: The US in a Chaotic World (2003). New York: New Press.

The Uncertainties of Knowledge (2004). Philadelphia: Temple University Press.

■ قراءات إضافية:

Dennis Smith (1991). *The Rise of Historical Sociology*. Philadelphia: Temple University Press. Chap. 4.

Thomas R. Shannon (1996). *An Introduction to the World System Perspective*. 2nd ed. Boulder, CO: Westview Press.

William Julius Wilson وليام يوليوس ويلسون

أصبح وليام يوليوس ويلسون أحد أشهر علماء الاجتماع الأمريكيين طوال فترة عمله في علم الاجتماع الأمريكي في أستاذية لويس ب. وليندا ل. جيسير بجامعة هارفرد. ولد في ٢٠ كانون الأول/ديسمبر عام ١٩٣٥ لأسرة متواضعة، تعيش في ضاحية ديري بينسلفانيا. وحصل على درجات علمية من جامعة ولبيرفورس (البكالوريوس عام ١٩٥٨)، وجامعة بولينغ غرين ستيت (الماجستير عام ١٩٦١)، وجامعة واشنطن ستيت (الدكتوراه عام ١٩٦٦). وبدأ بعد حصوله على الدكتوراه في العمل الأكاديمي في جامعة ماساشستس في أمهرست (Amherst) ثم التحق بكلية جامعة شيكاغو عام ١٩٧٢ (وأصبح أستاذاً بأستاذية جامعة لوسي فلاور عام ١٩٩٢). والتحق بكلية جامعة هارفرد في العام ١٩٩٦.

لم يقتصر عمل ويلسون على علم الاجتماع فحسب، بل عمد أيضاً إلى التقريب بين علم الاجتماع والسياسة العامة من خلال تقديم

أعمال علمية، تتناول القضايا العرقية والفقر في حواضر الولايات المتحدة الأمريكية. وأهم إسهاماته في هذا المجال قيامه بتوضيح دور الظروف البنيوية في تزايد الفقر في الحضر. وتشمل هذه العوامل آليات سوق العمل في الحضر، والتنظيم الاجتماعي، والمواقع الجغرافية للتجمعات السكنية، وسبل حصول (أو عدم حصولهم) هؤلاء الأفراد المحرومين اجتماعياً واقتصادياً على خدمات من المؤسسات الاجتماعية أو الأفراد العاملين في عالم العمل الرسمي. لم يؤكد ويلسون أهمية الظروف البنيوية أكثر من العوامل الثقافية في فهم ظهور فقر الحضر في المدن والأقاليم المحلية الأمريكية فحسب، بل أكد أيضاً أن هذه الظروف هي التي تبرر عادة ظهور هذه العوامل الثقافية (والتي تشمل المواقف والمعتقدات والقيم التي يحافظ عليها هؤلاء الأفراد المتواضعون). وفي سبيل قيامه بذلك، كان على ويلسون أن يواجه بشدة الثقافة السائدة حول الفقر التي تضع قيوداً ثقافية وحرماناً نفسياً (مثل الفهم الأولي لعالم العمل، وسبل الحصول على وظائف جيدة، وتعميم مشاعر اليأس والاستسلام) باعتبارها عوامل سببية رئيسة للفقر في الحضر الأمريكي.

ويعتبر الإسهام الأبرز لويلسون في هذا المجال من علم الاجتماع مؤلفه *The Truly Disadvantaged: The Inner City, the Underclass and Public Policy*، الذي تناول فيه كيف أدت المناقشات المبكرة للعوامل البنيوية إلى العزل الاجتماعي للفقراء من الأمريكيين الأفارقة في الحضر عن القطاعات الأخرى للمجتمع الحضري المرتبط بصورة أكثر أماناً مع عالم العمل، وأيضاً إلى وضعهم

في فقر مدقع (أو العيش في تجمعات ذات كثافة سكانية عالية مع سكان آخرين من ذوي الدخول المنخفضة). وتشير العزلة الاجتماعية إلى الافتقار إلى الاتصال أو التفاعل المستمر مع أفراد أو مؤسسات تمثل المجتمع الأوسع. ويوضح ويلسون أن مثل هذه العزلة تصعب على الناس الذين يمرون بها مسألة ارتباطهم بالشبكات الاجتماعية المرتبطة بالوظائف، كما أنها تنتج سلوكيات غير لائقة، تضر بسير العمل الجيد. إضافة إلى ذلك، فإنه نظراً إلى أن العمل المتواصل يؤدي إلى بقاء درجة من النظام والتنظيم في الحياة اليومية، فإن عدم توافر العمل لا يتيح لأولئك الذين يمرون بهذه التجربة إلا وسائل محدودة للحفاظ على هذا التنظيم في الحياة اليومية. وتقلل هذه الحال من قدرتهم على الالتحاق بالعمل.

هناك مفهوم آخر، على قدر كبير من الأهمية في مفردات ويلسون، هو «الطبقة الدنيا» (Underclass)، وأصبح هذا المفهوم معبراً عن جملة تصف الوضع الاقتصادي الاجتماعي المتوتر للسكان المهمشين في المدن الأمريكية في الثلث الأخير من القرن العشرين. وبالرغم من اهتمام ويلسون المبكر في أعماله بتناول مفهوم العرق والفقر في الحضر، إلا أنه استغنى في النهاية عن هذا المفهوم، في ضوء تطبيقاته الشديدة التضليل وغير الضرورية.

ونشر ويلسون ـ قبل نشره *The Truly Disadvantaged* ـ مؤلفه *Power, Racism, and Privilege; Race Relations in Theoretical and Sociohistorical Perspectives*، ومؤلفه *The*

Declining Significance of Race: Blacks and Changing American Institutions. وقدم الكتاب الأول نظرية اجتماعية ذات أساس تاريخي عن العرقية، من خلال المقارنة بين الولايات المتحدة وجنوب أفريقيا، وصاغ فيه ويلسون نظرية الصراع في إطار تاريخي، بحيث يمكنه تناول الطرق المختلفة التي حافظ بها البيض على مكانتهم العليا داخل التراتبية الاقتصادية الاجتماعية في كلتا الدولتين.

ومن أجل التوجه الكامل نحو تناول قضايا متعلقة بالحراك والتقسيم الطبقي والمعاني المتعلقة بهاتين العمليتين قام ويلسون بتأليف *The Declining Significance of Race*. وينظر إلى هذا الكتاب عادة ـ على سبيل الخطأ ـ على أنه متعلق بمهاجمة الأهمية الاجتماعية للعرق في عصر حركة ما بعد الحقوق المدنية. واضطر البعض إلى الاعتقاد في ذلك، لأن الكتاب صدر في توقيت، كانت تثار فيه قضايا نقدية في الولايات المتحدة حول ملاءمة المبادرات السياسية والبرامج الاجتماعية الأخرى ذات الأسس العرقية التي نظر إليها على أنها استهدفت تحقيق مصالح محددة للأمريكيين الأفارقة.

وعلى الرغم من النقد الموجه إليه، أكد ويلسون في ذلك الكتاب أن الأمريكيين الأفارقة من الطبقتين العليا والمتوسطة كان يمكنهم الوصول إلى المصادر والمعلومات من أجل الحراك الاقتصادي والاجتماعي، بينما لم تكن مثل هذه الإمكانية متاحة أمام الأمريكيين

الأفارقة ذوي الدخول المنخفضة. ومن هنا، أكد ويلسون - من دون مهاجمة الأهمية الاجتماعية للنزعة العرقية ـ أنه في نهاية عصر حركة الحقوق المدنية الأمريكية (في العام ١٩٧٠ تقريباً)، فإن القضايا الطبقية المحددة أثرت في توافر الفرص المتاحة أمام الأمريكيين الأفارقة أكثر من تأثير العرق فيها. ومن ثم، أصبح مؤلف ويلسون *The Truly Disadvantaged* رد فعل على ما اعتبره هجوماً عاماً متزايداً على الأمريكيين الأفارقة ذوي الدخل المنخفض والمقيمين في الحضر، وهو الأمر الذي لم يتم جزئياً إزاء الطبقة الوسطى من الأمريكيين الأفارقة التي بدت أكثر استقراراً ومتكاملة جزئياً بعد فترة الستينيات.

قام ويلسون مؤخراً بنشر مؤلفه *When Work Disappears: The World of the New Urban Poor* الذي أكد بصورة أكبر مما هي عليه الحال في أعماله المبكرة ما تصوره المادة النوعية عن حياة فقراء الحضر. أخيراً، يعكس أحدث أعماله *The Bridge Over the Racial Divide: Rising Inequality and Coalition Politics* عودة ويلسون إلى التفكير في العرق والنزعة العرقية ودورها في التفاوت الاجتماعي المعاصر.

امتد تأثير أعمال وليام يوليوس ويلسون ليتجاوز نطاق المحافل الأكاديمية، الأمر الذي جعله عالماً له قاعدة عريضة من القراء، وحظي بتقدير عام واسع النطاق. وفاز مؤلفه **تدهور أهمية العرق** بجائزة سيدني سبيفاك التابعة للجمعية السوسيولوجية الأمريكية. بينما اختار محررو مراجعات الكتب في جريدة **نيويورك تايمز** مؤلفه *The Truly*

Disadvantaged باعتباره أحد أفضل ١٦ كتاباً صادراً عام ١٩٨٦، وحصل على جائزة (Washington Monthly Annual Book) وجائزة س. رايت ميلز التابعة لجمعية دراسة المشكلات الاجتماعية. واختير عمله **عندما يختفي العمل** بوصفه أحد أهم كتب العام ١٩٩٦ من قبل محرري مراجعات الكتب في جريدة **نيويورك تايمز**، وحصل على جائزة مؤسسة سيدني هيلمان. كما كان ويلسون رئيساً للجمعية السوسيولوجية الأمريكية وعضواً منتخباً في الأكاديمية القومية للعلوم، والأكاديمية القومية للتعليم، والجمعية الفلسفية الأمريكية. ومنح عام ١٩٩٨ الميدالية الوطنية للعلوم، وهي أرفع تكريم علمي في الولايات المتحدة.

انظر أيضاً: *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists:* W. E. B. DuBois.

■ **أهم الأعمال:**

Power, Racism, and Privilege; Race Relations in Theoretical and Sociohistorical Perspectives (1973). New York: Macmillan.

The Declining Significance of Race: Blacks and Changing American Institutions (1978). Chicago, IL: University of Chicago Press.

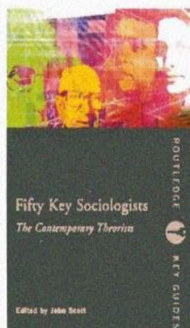
The Truly Disadvantaged: The Inner-City, the Underclass, and Public Policy (1987). Chicago, IL: University of Chicago Press.

When Work Disappears: The World of the New Urban Poor (1996). New York: Alfred Knopf.

The Bridge Over the Racial Divide: Rising Inequality and Coalition Politics (1999). Berkeley, CA: University of California Press. (Aaron Wildavsky Forum for Public Policy; 2)

هذا الكتاب

خمسون عالماً اجتماعياً أساسياً



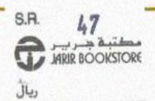
يتناول كتاب **خمسون عالماً اجتماعياً أساسياً: المنظّرون المعاصرون**، حياة وعمل وأفكار أهم **خمسون** مفكراً برزت أفكارهم ولمعت نظرياتهم في النصف الثاني من القرن العشرين.

يشتمل هذا الكتاب على مداخل مرتبة أبجدياً بحسب اللقب، ومُعدة من قبل مجموعة من الخبراء المتميزين بأسلوبهم ونهجهم. وفي كل مدخل، هناك نبذة مفصلة عن شخصية أساسية، معروضة في سياق تاريخي وفكري وتتناول حياة العالم وعمله ودراساته وتطورها.

وبغية تعزيز فهم القارئ، اختتم كل مدخل بقائمتين مرتبتين زمنياً: **الأولى** تتناول أهم أعمال الكاتب، موضوع المدخل، و**الثانية** تتناول مقترحات لقراءات إضافية ذات صلة بالموضوع.

فهذا الكتاب، بما يقدمه من معلومات، هو مرجع بارز لكل من يريد أن يميز بين علماء الاجتماع ونظرياتهم.

جون سكوت: أستاذ علم الاجتماع في جامعة إيسيكس.



ISBN 978-9953-533-19-3



الشبكة العربية للأبحاث والنشر
بناية «سادات تاور»، شارع ليون، ص.ب: ٥٢٨٥ ـ ١١٣
الحمراء ـ بيروت ٢٠٣٧ ٤٠٠١ ـ لبنان
هاتف: ٧٨٩٤٥٣ (١-٩٦١)
فاكس: ٧٨٩٤٥٤ (١-٩٦١)
E-mail: info@arabiyanetwork.com